



شرح
ثلاثة الأصول وأدلتها



جميع الحقوق محفوظة
١٤٤٢ هـ - ٢٠٢٠ م

هذه الطبعة منقحة من الطبقات السابقة، وتم استدراك بعض الأخطاء المطبعية، أسأل المولى القدير أن يطرح في هذا الكتاب البركة، وأن يجعله خالصاً لوجه الكريم جل في علاه.





شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

لشيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي

(١١١٥ - ١٢٠٦هـ)

شرح الفقير إلى ربه

عبد الرحمن بن عبد المحسن بن عبد اللطيف آل الشيخ

غفر الله له ولوالديه ولمشايقه وللمسلمين



قال - تعالى - :

﴿رَبَّنَا اقْبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

[البقرة: ١٢٧]

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال :

سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ : «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ
أَمْرٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهَاجَرَتْهُ إِلَى اللَّهِ
وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِلدُّنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهَاجَرَتْهُ
إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ».

[رواه البخاري ومسلم]



مقدمة الشيخ
صالح بن فوزان الفوزان



شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

مقدمة معالي الشيخ

صالح بن فوزان الفوزان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فقد اطلعتُ على كتاب «شرح القواعد الأربع» وكتاب «شرح ثلاثة الأصول وأدلتها»، للشيخ محمد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ وَالشَّرْحُ لعبد الرحمن بن عبد المحسن بن عبد اللطيف آل الشيخ، فوجدتُ هذين الكتابين مفيدَين في موضوعهما، جيدَين في أسلوبهما، فجزاه الله خيرَ الجزاء ونفع بعلمه.

كتبه

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة

في

١/٥/١٤٣٩ هـ



مقدمة الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ



مقدمة الشيخ

صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ



شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

مقدمة محالي الوزير الشيخ

صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد اطلعتُ على الكتابين النافعين اللذين ألفهما فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن عبد المحسن آل الشيخ، وهما «شرح ثلاثة الأصول» و«شرح القواعد الأربع»، وظهر فيهما أن المؤلف - بارك الله في عمله - جدّ في تبين عبارات المتنين العظيمين، اللذين ألفهما الإمام المجدّد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى -، واجتهد في تقريب شرحه إلى فهم عامّة القراء، لينتشر ما في المتنين «ثلاثة الأصول» و«القواعد الأربع» من معاني التوحيد ومهمّات الدّين؛ فشكر الله للمؤلف الشيخ عبد الرحمن بن عبد المحسن آل الشيخ، وزاده علماً، ونفع بكتابه المسلمين.

وصلى الله وسلّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلّم.

وزير الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد

صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ



مقدمة

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

أما بعد:

فإنَّ بين أيدينا رسالةً مُهمَّةً؛ ألا وهي «ثلاثة الأصول وأدلتها» لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهَّاب بن سليمان بن علي التيمي، المولود سنة (١١١٥هـ)، والمتوفى سنة (١٢٠٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ، وتظهر أهمية هذه الرسالة في أمور؛ منها:

١ - أنها من المتون المختصرة المعتمدة:

وطالبُ العلم ينبغي أن يبدأ بالمتون المختصرة في أول الطلب، ثم يتدرَّج منها إلى ما فوقها، وهكذا إلى أن تتحقَّق فيه أهلية النظر في المطوَّلات، والشروح والحواشي، وهذه المنهجية - أعني: منهجية التدرُّج - هي التي كان عليها السلف الصالح؛ كما ورد عن يونس بن يزيد قال: قال لي ابنُ شهاب: «يا يونس لا تُكابر العلم؛ فإن العلم أودية، فأيتها أخذت فيه قطع بك قبل أن تبلغه، ولكن خذ مع الأيام

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

والليالي، ولا تأخذ العلم جملة؛ فإنَّ مَنْ رامَ أخذه جملة ذهب عنه جملة، ولكن الشيء بعد الشيء مع الليالي والأيام»^(١).

وعلى هذا التَّهَجَّ سارَ علماؤنا الكبارُ قديماً وحديثاً؛ يقولُ الشيخُ محمدُ بنُ صالحِ العثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «فلا بد لطالب العلم أن يُتَقَرَّنَ المختصراتِ أولاً؛ حتى ترسخ العلومُ في ذهنه، ثم يُفِيضَ إلى المطوَّلاتِ، ولكن بعض الطلبة قد يُعْرِبُ؛ فيُطالِعُ المطوَّلاتِ، ثم إذا جلس مجلساً قال: قال صاحبُ المغني، قال صاحبُ المجموع، قال صاحبُ الإنصاف، ليُظْهِرَ أنه واسعُ الاطلاع، وهذا خطأ»^(٢).

ويقولُ فضيلةُ الشيخِ صالحِ بنِ الفوزان: «فينبغي أن يُلَقَّنَ الصغارُ المتونَ المختصرة؛ لأنها مدخلٌ إلى العلوم؛ فهي الأصولُ، ولهذا يقولون: مَنْ حُرِّمَ الأصولُ حُرِّمَ الوصولُ، والأصولُ هي: المختصراتُ؛ مَنْ حُرِّمَ منها حُرِّمَ الوصولُ إلى العلمِ النافع؛ فالمبتدئُ - صغيراً كان أو كبيراً - لا يُبتدأُ له بالمجاميعِ الكبارِ من مجاميعِ العلم؛ فيقرأ في البخاري وفي مسلم وفي المغني وفي كتابِ سيبويه؛ بل المبتدئُ يُتدرَّجُ معه في العلم شيئاً فشيئاً، أما أن تأتيه بالمطوَّلاتِ والمفصَّلاتِ، فهذا تعبٌ بلا فائدة، ولا يأخذُ من العلم شيئاً؛ لأنه يسيرُ على غيرِ طريقِ التربية الصحيحة، وأتى العلمَ مِنْ غيرِ بابِهِ»^(٣).

فالذي يريدُ أن يسيرَ على منهجِ الربانيين، ويبلغَ درجةَ الراسخين، فعليه أن يبدأ بصغارِ المتونِ - الشاملةِ لأصولِ العلم - قبلَ كبارِها؛ قال الإمامُ البخاري: «يُقال: الرَّبَّانِي: الذي يربِّي الناسَ بصغارِ العلم قبل

(١) «جامع بيان العلم وفضله»، للحافظ ابن عبد البر (١/ ٤٣١).

(٢) «كتاب العلم»، للشيخ ابن عثيمين (ص ٢٣٨).

(٣) انظر: «بيان المعاني في شرح مقدمة ابن أبي زيد القيرواني» (ص ٢٠).

مقدمة

كباره^(١)، قال الحافظ ابن حجر: «أي: بالتدرج»^(٢).

وهذه الرسالة كتبها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ لِعَامَّةِ المسلمين، واقتصر فيها على الأمور المهمة التي لا يجوزُ للإنسان أن يجهلها؛ فتعلّمها وفهمها وحفظها مُتَعَيِّنٌ؛ لقيام أصول الدين عليها.

٢ - أنها احتوت على أسئلة القبر الثلاثة:

فقد جاء في حديث البراء بن عازب الطويل، في سؤال الملكين للميت في قبره: أن النبي ﷺ قال: «... فيأتيه ملكان؛ فيجلسانه، فيقولان له: مَنْ رَبُّكَ؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فأمنتُ به وصدّقتُ»^(٣).

وهذه هي الأصول الثلاثة التي يُسأل عنها كلُّ إنسان في قبره: مَنْ ربك؟ ما دينك؟ مَنْ نبيك؟ ولا يُوفَّقُ للقول الثابت في القبر إلا مَنْ اعتقد هذه الأصول اعتقادًا جازمًا، وعمل بمقتضاها.

وقد وردت عن النبي ﷺ عدّة أحاديث في الحثّ على العناية بهذه الأصول الثلاثة، والترغيب في تعلّمها؛ فمن ذلك: حديث العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ذاق طعم الإيمان مَنْ رضي بالله ربًّا وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ رسولاً»^(٤).

وحديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «يا أبا سعيد،

(١) صحيح البخاري (٢٤).

(٢) «فتح الباري»، للحافظ ابن حجر (١/١٢١).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٢١٢). (٤) أخرجه مسلم (٣٤).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا؛ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ^(١).

وحديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا؛ غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ»^(٢).

فهذه ثلاثة أحاديث في بيان أهمية هذه الأصول الثلاثة، وعظم منزلتها.

وتخصيصُ الشيخ رحمته الله هذه الأصول العظيمة بالتأليف، مِنْ الأدلة الدالة على عظم أثر العلماء في الأمة، وعلى ما كان عليه الشيخ رحمته الله من نُصح للأمة؛ فقد كان حريصًا على تعليم العامة وتذكيرهم بها؛ قال ابن بشر رحمته الله في «تاريخه»^(٣): «أمر الشيخ جميع أهل البلدان من أهل النواحي؛ يسألون الناس في كل مسجد كل يوم بعد صلاة الصبح أو بين العشاءين عن معرفة ثلاثة الأصول»، وقد سار على هذا النهج من بعده الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمته الله^(٤)؛ والشيخ محمد بن إبراهيم رحمته الله^(٥).

٣ - عظم الموضوعات التي اشتملت عليها:

فهذه الرسالة - وإن كانت اشتهرت بين أهل العلم وطلبته باسم «ثلاثة الأصول» - ليست مقصورةً عليها فحسب؛ بل احتوت على قضايا أخرى مهمة؛ في التوحيد، والعقيدة والولاء والبراء، ومجموع هذه الأمور هو حقيقة الدين الذي بعث الله به نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم.

(١) أخرجه مسلم (١٨٨٤). (٢) أخرجه مسلم (٣٨٦).

(٣) «عنوان المجد في تاريخ نجد» (١/١٨٤).

(٤) انظر: «الدرر السنية» (٤/٣٣٨).

(٥) انظر: «فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم» (٢/٢٧٧).

مقدمة

فالله خلقَ الخلقَ لتوحيده، والتوحيدُ هو: تحقيقُ شهادة أن لا إله إلا الله، وهو رأسُ الأمر، وأصلُ الدين الذي لا يقبلُ الله من الأولين والآخِرِينَ دينًا غيرَه، وبه أرسلَ الله الرسلَ، وأنزلَ الكتبَ؛ كما قال - تعالى -: ﴿وَسَلِّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥]، وقال - تعالى -: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْبِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقد أخبرَ الله ﷻ عن الرسل؛ أنَّ أولَ ما يَبْدُونَ به دعوتهم لأقوامهم قولهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود: ٨٤]، وهذا هو أولُ ما دعا إليه الرسول ﷺ فقد قال: «أمرتُ أن أقاتلَ الناسَ حتى يَشْهَدُوا أن لا إلهَ إلا الله...»^(١)، وقال لمعاذٍ رضي الله عنه: «إنك ستأتي قومًا من أهل الكتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إلهَ إلا الله، وأن محمدًا رسولُ الله»^(٢).

فالتوحيدُ هو أولُ ما يُؤمر به العبدُ، ولا يُقدَّم عليه شيءٌ؛ لأنَّ مَنْ حُتِمَ له به دَخَلُ الجنة؛ كما قال النبي ﷺ: «مَنْ مات وهو يعلمُ أن لا إلهَ إلا الله؛ دخل الجنة»^(٣)، وبالتوحيد يدخلُ العبدُ في الإسلام، وبنقْضِهِ يخرجُ منه - والعياذُ بالله -.

٤ - أن فيها ذكر المسألة بدليها:

ومن سمات كتب أئمة السُّنة الحرصُ على ذكر الدليل من كتاب الله

(١) أخرجه البخاري (٢٥).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٩٥).

(٣) أخرجه مسلم (٢٦).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وسُنَّة رسولهِ ﷺ لكلِّ ما يُوردونه من المسائل؛ سواءً كان ذلك في المسائل العِلْمية أو العَمَلية، وهذه السمة ظاهرة في كتب إمام الدعوة رَحِمَهُ اللهُ عَمَمًا، وفي هذه الرسالة على وجه الخصوص؛ فإنك لا تجد فيها مسألة إلا وقد ذكرها بدليلها؛ إما من كتاب الله، وإما من سُنَّة نبيِّهِ ﷺ وإما منهما معًا، كما سيتبيَّن ذلك في هذا الشرح.



ترجمة مختصرة للمؤلف

ترجمة مختصرة للمؤلف

هو: الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان آل مشرف التميمي، وُلد عام ١١١٥هـ، وتُوفي عام ١٢٠٦هـ، وهو إمامٌ من أئمة القرون الأخيرة، مجددٌ للدين، ومحاربٌ للشرك.

حفظ القرآن قبل بلوغه العاشرة، وقرأ على أبيه الفقه، وكان ذكياً كثيرَ المطالعة، ورحل إلى مكة والمدينة والبصرة غير مرة؛ طلباً للعلم. بدأ دعوته رَحِمَهُ اللهُ فِي الْعَيْنَةِ، ثم حُرَيْمَاءَ، ثم اتجه إلى الدرعية، والتقى الأمير محمد بن سعود، وحصلت بينهما البيعة على نشر التوحيد وإقامة حكم الله في الأرض.

اشتغل بالدعوة إلى الله، ولاقى الصعاب في ذلك، ومن ذلك إخراج أهل البصرة وحُرَيْمَاءَ وَالْعَيْنَةِ له بعد إنكاره عليهم بدعهم وضلالهم، وإنكاره على علمائهم بسكوتهم، فخرج ماشياً عائداً إلى دياره؛ وكان هذا كله فقط من أجل الدعوة إلى الله ومحاربة الشرك وأهله.

ألّف كتباً عظيمة النفع، ومن أهمها: كتابُ التوحيد، والقواعد الأربع، وكشفُ الشبهات، وقام على نهج السلف، وتأثر بشيخ الإسلام ابن تيمية، وانكبَّ على كتبه وبقية كتب السلف^(١).



(١) «عنوان المجدد في تاريخ نجد» (١/ ١٨٠).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

تحرير اسم الكتاب

قال الشيخ صالح آل الشيخ: «الشيخ - رحمه الله تعالى - له رسالة أخرى بعنوان: «الأصول الثلاثة»؛ رسالة صغيرة أقل من هذه علماً؛ ليعلمها الصبيان والصغار، تلك يُقال لها: «الأصول الثلاثة»، وأما «ثلاثة الأصول» فهي هذه التي نقرؤها، ويكثر الخلط بين المسميين، ربما قيل لهذه: «ثلاثة الأصول»، أو «الأصول الثلاثة»، لكن تسميتها المعروفة أنها: «ثلاثة الأصول وأدلتها»^(١).



(١) «شرح ثلاثة الأصول»، للشيخ صالح آل الشيخ (ص ١١).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

قال المصنّف - رحمه الله تعالى وغفر له -:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بدأ الشيخ رحمه الله بالبسملة، اقتداءً بكتاب الله - تعالى - فما من سورة فيه إلا وهي مفتحة بالبسملة، عدا سورة التوبة^(١)، وكذلك تأسيًا بالنبي ﷺ فإنه كان يبدأ كتبه ورسائله بالبسملة؛ كما في كتابه إلى هرقل عظيم الروم: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله...»^(٢).

فالسنة في الرسائل بدؤها بالبسملة؛ لهذا الحديث، وأما الخطب فالسنة أن تبدأ بالحمدلة؛ كما في حديث جابر رضي الله عنه قال: «كانت خطبة النبي ﷺ يوم الجمعة: يحمد الله ويثني عليه...»^(٣)، وكما في خطبة النبي ﷺ التي كان يعلمها أصحابه، وهي المشهورة بـ«خطبة الحاجة»، وفيها: «إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ؛ نَحْمَدُهُ...»^(٤). قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وقد استقرَّ عملُ الأئمة المصنِّفين على افتتاح كتب العلم بالبسملة، وكذا معظم كتب الرسائل»^(٥).

وقال شيخنا صالح الفوزان: «فهو مطلعٌ عظيمٌ للكلام، وللكتب والرسائل، فالإنسان يستعين بالله في بدايتها، ويتبرك باسمه ﷺ»^(٦). ومن الأمور المنكرة التي تشبه فيها بعضُ كتّاب العصر بأهل

(١) «تحفة الأخوذ» (٩/١).

(٢) أخرجه البخاري (٧).

(٣) أخرجه مسلم (٨٦٧).

(٤) أخرجه أبو داود (٢١١٨).

(٥) «فتح الباري» (٩/١).

(٦) انظر: «شرح ثلاثة الأصول»، للشيخ الفوزان (ص ١٢).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

الغرب، خلُو المصنّفات من ذكر الله - تعالى - البتّة، فلا تجدُ فيها بسملةً، ولا حمْدلةً، ولا غيرها؛ يتشبهون في ذلك بمن لا خلاق لهم من أعداء الإسلام، ويعدّون ذلك إبداعاً، ويسمّون ما جرى عليه عملُ سلفنا الصالح عليه السلام وعملُ أهل العلم بـ«الأسلوب التقليدي»؛ تزهيداً للنشء في كتب سلفنا الصالح، وكتب أهل العلم من بعدهم، وتقليلاً من شأنها! ولا شك أن هذا من الخيانة للمسلمين - والعياذُ بالله - فعلى المؤمن أن يهجّر هذه المناهج الوافدة، والطرق المنحرفة، ويلزَم هدي السلف الماضين وأهل العلم الربّانيين.

• **قوله: (بسم)** جارٌّ ومجرورٌ متعلّق بمحذوف، وهذا المحذوف فعلٌ مؤخّر يُقدّر مناسباً للحال والمقام، فتقديره هنا مثلاً: بسم الله أقرأ، أو أكتب.

وقدّر المحذوف فعلاً لأن الأصل في العمل النحويّ للأفعال، وقدّر مؤخراً لفائدتين:

الأولى: التبرُّك باسم الله - تعالى - .

الثانية: إفادة الحصر؛ لأن تقديم المتعلّق يفيد الحصر^(١).

والباء للاستعانة أو التبرُّك^(٢)؛ والمعنى: أبدأ مستعيناً بالله، أو متبرِّكاً بذكر اسمه تعالى.

و«الله» علَمٌ على ذاته تعالى وهو أعرف المعارف على الإطلاق^(٣)،

(١) انظر: «شرح ثلاثة الأصول»، للشيخ ابن عثيمين (ص ١٧).

(٢) «الجنى الداني في حروف المعاني» (ص ٣٨)، و«فيض القدير» (٣/١).

(٣) «الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم» (١/٥٥)، و«التنبيهات المختصرة شرح

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

ولا شك أن الاستعانة بالله - تعالى - بين يدي المقاصد العظيمة علامة على التوفيق والنجاح فيها، ومن استعان بالله أعانه، ومن بغيره استعان فلا يُعان.

والله (الله) قيل: اسم جامد، والأرجح أنه مشتق، واشتقاقه - على المشهور - من: أله^(١) يألله إلهة وألوهة؛ بمعنى: عبد، والمفعول مألوه، وإله بمعنى: مألوه؛ أي: معبود، فهو فعال بمعنى مفعول، ومن أحسن ما قيل في معنى لفظ الجلالة ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: «الله: ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين»^(٢).

(الرحمن الرحيم) اسمان من أسمائه ﷻ اشتق منهما صفة الرحمة، وأحدهما أوسع من الآخر؛ لأن الزيادة في المباني تدل على الزيادة في المعاني^(٣)، ف«الرحمن» أكثر من «الرحيم» حروفاً؛ وهو أعم وأوسع معنى كما قال المفسرون؛ فقد قالوا في تفسير «الرحمن»: إنه ذو الرحمة العامة^(٤)، وفي تفسير «الرحيم»: إنه ذو الرحمة الخاصة بالمؤمنين^(٥)، قال - تعالى -: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، وقال - تعالى -: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]. قال بعض السلف: «الرحمن بجميع الخلق، الرحيم بالمؤمنين»^(٦).

الواجبات المحتمات المعرفة» (ص ١٣).

(١) بفتح اللام في الماضي على الأرجح، وقيل بكسرها.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ١٢١).

(٣) انظر: «المثل السائر»، لابن الأثير (٢/ ١٩٧).

(٤) «التفسير الميسر» (١/ ١). (٥) «التفسير الميسر» (١/ ١).

(٦) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ١٢٦).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ:

• **قوله: (اعْلَمْ):** فعلٌ أمرٌ مشتقٌّ من «العلم»، والعلمُ: ضدُّ الجهل ونقيضُه؛ يُقال: فلانٌ عالمٌ؛ أي: ليس بجاهل، ويُقال: فلانٌ جاهلٌ؛ أي: ليس بعالم، وقد اختلف أهل العلم في حدِّ العلم وتعريفه اختلافًا طويلاً تجده في مقدّمات بعض كتب الأصول، حتى قال بعضهم: العلم لا حدَّ له^(١)، ومن أحسن ما قيل في تعريفه: إنه: «إدراكُ الشيء على ما هو عليه إدراكًا جازمًا»^(٢)؛ لأن هذا الحدَّ يُعدُّ جامعًا مانعًا سالمًا من الاعتراضات الكثيرة التي اعترض بها على غيره من التعريفات.

وينقسم العلم إلى قسمين: ضروريٌّ ونظريٌّ.

فالعلم الضروري: ما يكون إدراكُ الشيء فيه بغير نظر ولا استدلال؛ كالعلوم الفطرية؛ مثل علم الإنسان بوجود نفسه، والعلوم الحسية؛ كحرارة النار وبرودة الثلج.

والعلم النظري: ما يحتاجُ إلى نظر واستدلال؛ كالعلم بوجوب الفرائض، وحرمة الكبائر^(٣).

وعبّر الشيخ رحمه الله بقوله: **(اعْلَمْ)** لأنه أراد تنبيه السامع^(٤) على أن الأمر الآتي ذكره له قدرٌ عظيم، وشأنٌ مهم؛ ينبغي للمسلم أن يُعنى به، وأن يُصغي إليه، ففعل الأمر في هذا المقام يُراد به التنبيه.

وهذا أسلوب قرآني، ومنهج رباني؛ كما في قوله - تعالى -: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩].

(١) «التحبير شرح التحرير» (١/٢٢٦).

(٢) انظر: «شرح ثلاثة الأصول»، للشيخ ابن عثيمين (ص ١٨).

(٣) «التمهيد في أصول الفقه» (١/٤٢).

(٤) «حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول» (ص ١١).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

• **قوله: (رحمك الله)**، هذه الجملة خبرية لفظاً إنشائية معنًى^(١)؛ لأن المراد بها: الدعاء للمتعلم، وهذا فيه تلطف من الشيخ، وتنبية على أن مبنى هذا العلم على التلطف والرحمة بالمتعلمين^(٢)؛ كما في قوله - تعالى -: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فالشيخ رحمه الله هنا يدعو الله لطلبه العلم؛ أن يرحمهم؛ فهذا دعاء لك يا طالب العلم بالرحمة؛ دعاءً من عالم جليل، ورجل صالح - فيما نحسب - فيرجى له القبول إن شاء الله؛ وهذا أحد منافع العلماء وآثارهم العظيمة في الناس: الدعاء لهم؛ وفي ذلك يقول إمام السنة وقامع البدعة أحمد بن حنبل رحمه الله في خطبة كتابه العظيم «الرد على الجهمية والزنادقة»^(٣): «الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويصبرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضالٍّ تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم».

وقد جرت عادة علماء الحديث في مجالس الإملاء أن يفتتحوا المجلس بالحديث المسلسل بالأولية؛ وهو قول النبي ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن»^(٤)؛ ولعل في ذلك تذكيراً لطلبه العلم بالرحمة التي

(١) «حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول» (ص ١١).

(٢) «شرح ثلاثة الأصول وأدلتها»، للشيخ صالح آل الشيخ (ص ٦٣).

(٣) «الرد على الجهمية والزنادقة» (ص ٥٥).

(٤) أخرجه أبو داود (٤٩٤١).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

تُنالُ في مجالسِ العلم، وبالبركة التي تُحصَل بالحضور فيها، وبأنَّ أهلَ العلم يَعْقِدُونَ هذه المجالسَ رحمةً بطلاب العلم؛ وبأنَّ ما قد يلاقيه طالبُ العلم في هذه المجالسِ من تعبٍ أو ضجرٍ، أو جَفْوَةٍ أو تأديبٍ من الشيخ؛ كلُّه من الرحمة، فيصبرُ ويتحمَّلُ، وقديمًا قال يحيى بن أبي كثير رَحِمَهُ اللهُ: «لا يُستطاعُ العلمُ براحةِ الجسم»^(١).

وفي هذه الجملةِ فائدةٌ لطيفةٌ؛ وهي: أن الشيخَ رَحِمَهُ اللهُ أمرَ بالعلم في قوله: **(اعْلَمْ)**، ثم دعا بعد ذلك بالرحمة في قوله: **(رَحِمَكَ اللهُ)**؛ فجمع بين أمرين هما سببُ الخير العظيم؛ لأنَّ أصلَ الشرِّ إنما يأتي من أمرين: الجهل والذنوب؛ فأمرَكَ بالعلم لترتفعَ به عن حضيضِ الجهل، ودعا لك بالرحمة ليُغْفَرَ لك مِن ذنبك بإذن الله.



(١) «صحيح مسلم» (٦١٢).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا

• **قوله: (أَنَّهُ)**، الهاء فيها ضميرُ الشأن، وضابطه الذي يُعرف به: أنه لا يكون له مرجع سابق في الكلام.

• **قوله: (يَجِبُ عَلَيْنَا)**؛ أي: معشر الثقلين: الجن والإنس؛ مؤمنهم وكافرهم؛ أما الجنُّ فهم مخاطبون بالشرعية أصولاً وفروعاً، وقد يختلفون عن الإنس في بعض المسائل؛ لاختلاف هيئاتهم وحقيقتهم، وأما الكفار فهم مخاطبون بأصول الشريعة اتفاقاً، وكذلك بفروعها على الأصح^(١).

والوجوب في اللغة: السقوط؛ يُقال: وجب الشيء يجب فهو واجب؛ أي: ساقط^(٢)؛ قال الله - تعالى -: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا﴾ [الحج: ٣٦]؛ أي: سقطت^(٣).

والواجب في الاصطلاح، هو: ما اقتضى الشرع فعله اقتضاءً جازماً^(٤).

وهو ينقسم إلى قسمين: عيني وكفائي^(٥):

فالواجب العيني: هو ما طلب الشرع فعله من كل مكلف بعينه؛ كالصلاة والزكاة والحج.

والواجب الكفائي: هو ما طلب الشرع حصوله من غير تعيين فاعله؛ كصلاة الجنازة.

(١) انظر: «نثر الورود»، للعلامة محمد الأمين الشنقيطي (١/٢٦٢).

(٢) «معجم متن اللغة» (٥/٧٠٧).

(٣) انظر: «مفردات ألفاظ القرآن»، للراغب (ص ٨٥٤).

(٤) انظر: «شرح مختصر الروضة» (١/٢٦٥).

(٥) «روضة الناظر وجنة المناظر» (١/١٢٢).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

تَعْلَمُ أَرْبَعَ مَسَائِلَ.

فضابطُ الواجب العيني: أن ينظرَ الشارعُ فيه إلى ذاتِ الفاعل؛ كالصلاة، والزكاة، والصوم.

وضابطُ الواجب الكفائي: أن ينظرَ الشارعُ فيه إلى نفس الفعل، بقطع النظر عن الفاعل^(١).

والوجوب حكمٌ شرعي لا بد أن يدلَّ عليه دليلٌ، والشيخ - رحمه الله تعالى - استدللَّ لهذه المسائل الأربعة بأدلة كثيرة؛ منها الخاصة، ومنها العامة، وسيتبين ذلك في المتن فيما يأتي.

• **قوله: «تَعْلَمُ أَرْبَعَ مَسَائِلَ»**؛ أي: أن نطلب العلمَ بهذه المسائل الأربعة، والمسائلُ: جمعُ مسألة، وهي في الأصل مصدرٌ بمعنى السؤال؛ يُقال: سأل السائل سؤالاً وسؤالاً ومسألةً، والمراد بها هنا: المبحث، سُميت بذلك لأنها يجب أن يُسأل عنها ويُعنى بها^(٢)، وقد يكون الشيخ رحمه الله عرَّب بقوله: «لمسائل» لأنه قد سُئل عن أمرٍ وأجاب عنه على طريقة التقسيم؛ وذلك لأنه رحمه الله كان حريصاً على تقريب العلم إلى العامة؛ لأن طريقة التقسيم من أحسن الطرق التي تُقرب العلوم إلى الفُهوم وتُعين على ضبطها، فهذه المسائل الأربعة من العلم الواجب تعلمه؛ وأهل العلم قسَّموا العلوم إلى قسمين^(٣):

أ - علوم شرعية: وهي المقصودة عند الإطلاق في النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية، والآثار السلفية التي وردت في فضل العلم

(١) انظر: «مذكرة في أصول الفقه»، للعلامة محمد الأمين الشنقيطي (ص ١٨).

(٢) انظر: «شرح ثلاثة الأصول»، للشيخ الفوزان (ص ١٦).

(٣) «الموسوعة القرآنية المتخصصة» (١/ ٢٤٢).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وأهله، وما رُتّب لهم من ثوابٍ عظيم، وأجرٍ جزيل، وضابطُها: «معرفة الحقّ بدليله»، قال الإمامُ الرّبّانيّ ابنُ قيمِ الجوزيّة - عليه رحمة رب البرية - في القصيدة النونية الموسومة بـ «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية»:

والعلمُ معرفة الهدى بدليله ما ذاك والتقليدُ مُستويان^(١)
والعلمُ الشرعيُّ: منه ما هو واجبٌ طلبُه وتعلّمُه وجوبًا عينيًّا؛ كهذه المسائل الأربع، وثلاثة الأصول، وأصول الإيمان، وأحكام الطهارة، والصلاة، والصيام، والزكاة لِمَن مَلَكَ مَالاً تجبُ فيه الزكاة، والحجّ لِمَن استطاع ذلك، وما يجبُ اجتنابُه من المحرمات؛ وما عدا ذلك فهو من فروض الكفايات؛ والأوّل هو المقصود بقوله ﷺ: «طلبُ العلمِ فريضةٌ على كل مسلم»^(٢).

قال الخطيبُ البغدادي: «قال بعضُ أهل العلم: إنما عني رسولُ الله ﷺ بهذا القولِ علمُ التوحيد، وما يكونُ العاقلُ مؤمنًا به؛ فإنّ العلمَ بذلك فريضةٌ على كل مسلم، ولا يَسعُ أحدًا جهله؛ إذ كان وجوبُه على العموم دون الخصوص»^(٣).

وقد ذكر الحافظُ ابنُ حجرٍ رَحِمَهُ اللهُ ضابطًا للعلم الشرعي؛ فقال: «العلم الشرعي: الذي يُفيد معرفة ما يجبُ على المكلّف من أمرٍ دينه؛ في عباداته ومعاملاته، والعلم بالله وصفاته، وما يجبُ له من القيام

(١) انظر: «القصيدة النونية» (ص ٩٩). (٢) أخرجه ابن ماجه (٢٢٤).

(٣) انظر: «الفقيه والمتفقه» (ص ١٣١).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

بأمره، وتنزيهه عن النقائص، ومدار ذلك على التفسير والحديث والفقه^(١).

ب - علوم دنيوية: وهي ما يُعين العبد على الكسب والمعيشة؛ حتى يقوم بما أوجب الله عليه؛ كعلوم الطب والهندسة، والصناعات النافعة. وإذا أخلص العبد النية في الاشتغال بها؛ لكسب الحلال ونفع المسلمين؛ أُجر على ذلك.



(١) انظر: «فتح الباري» (١/١٤١).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

الأولى: العلم؛ وهو: معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

• **قوله: (الأولى)؛ أي:** من المسائل الأربع التي يجب علينا تعلمها: مسألة العلم، وعرفه بقوله: **(وهو: معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة)**، وهذه هي الأصول الثلاثة التي عقد الشيخ هذه الرسالة لبيانها، وهي أصول عظيمة كثر الجهل بها والزهد فيها - والعياذ بالله - فعلى المسلمين الحرص عليها وتعلمها وتعليمها.

وعبر الشيخ رحمه الله هنا عن العلم بالمعرفة، وهذا قد يوحي بأنهما مترادفان؛ وهذه مسألة خلافية بين العلماء، ذكرها بعض أهل اللغة^(١)، وأشار إليها علماء الأصول^(٢)؛ فقليل: إنهما بمعنى واحد، وقيل: بينهما عمومٌ وخصوص، ولا حاجة للتوسع في هذه المسألة؛ لأن مثل تلك الدقائق لا تناسب هذه الرسالة الوجيزة؛ ولذلك أكتفي - في هذه المسألة - بتقرير حسن، للإمام شمس الدين ابن القيم رحمه الله، إذ قال: «الفرق بينه [أي: العلم] وبين المعرفة من وجوه ثلاثة:

أحدها: أن المعرفة لب العلم، ونسبة العلم إليها كنسبة الإيمان إلى الإحسان، وهي علم خاص، متعلقها أخفى من متعلق العلم وأدق.

والثاني: أن المعرفة هي العلم الذي يُراعيه صاحبه بموجبه^(٣) ومقتضاه، فهي علم تتصل به الرعاية.

والثالث: أن المعرفة شاهد لنفسها، وهي بمنزلة الأمور الوجدانية،

(١) انظر: «الفروق اللغوية»، للعسكري (ص ٨٠).

(٢) انظر: «شرح مختصر الروضة» (١/ ١٧٤).

(٣) بفتح الجيم هنا؛ لأن المقصود الأثر والنتيجة.

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

التي لا يُمكنُ صاحبها^(١) أن يشكَّ فيها، ولا ينتقل عنها.
وكشفت المعرفة أتم من كشف العلم. والله ﷻ أعلم^(٢).
ف «مَعْرِفَةُ اللَّهِ» ﷻ معناها: معرفة أنه الإله الحق، المتفردُ بالخلق، والرزق، والملك، والتدبير، وأن له الأسماء الحسنى والصفات العلا، وأنه المنزه عن النقص والعيب، وعن مماثلة خلقه ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وأنه المستحق للعبادة، ولا يُشرك معه أحدٌ من خلقه في عبادته؛ قال ﷻ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

وقد عرّف الله ﷻ عباده نفسه بأمور كثيرة؛ أهمها خمسة:
الأول: ما فطرهم عليه من التعلّق به، والتوجّه إليه، والالتجاء إليه، وطلبه، والطمأنينة إليه؛ فإنهم لو تركوا وفطرتهم؛ لبقوا حنفاء مائلين إليه، غير مشركين به، ولا متعلّقين بسواه.

الثاني: ما أخبرهم به من أسمائه، وصفاته وأفعاله؛ الدّالة على كمال ذاته ومُباينته لمخلوقاته، وعظمة شأنه، وعزّ سلطانه؛ فهو ﷻ ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين.

الثالث: آياته الشرعية، والأحاديث الثابتة عن نبيه محمد ﷺ فإنها هاديةٌ إليه، ودالةٌ على حقّه والطريق الذي يرضيه، ومُحذّرةٌ من

(١) بفتح الباء؛ لأنه مفعول به مقدم، والفاعل هو المصدر المنسبك من (أن) والفعل (يشك).

(٢) انظر: «مدارج السالكين» (٢/٤٤٣).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

السُّبُل التي تُبَعَّدُ عنه، وتَجَلُّبُ لِسَالِكِهَا غُضْبَهُ، وَسَخَطَهُ، وَعَذَابَهُ، وَعِقَابَهُ.

الرابع: آيَاتُهُ الكونية في الأنفس والآفاق، وتدبيرُهُ لملكه، وما فيه من الإبداع والاتساق؛ فإنها كُلُّهَا دَالَّةٌ عَلَى علمِ اللَّهِ - تعالى - وحكمته، وقدرته، وقوته، وباعثُهُ عَلَى التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ والثِّقَةِ بِهِ.

الخامس: إِنْْعَامُهُ وآلَاؤُهُ العامة والخاصة والظاهرة والباطنة، التي لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى؛ فَهِيَ دَالَّةٌ عَلَى كَمَالِ غِنَاؤِهِ، وَكَرَمِهِ، وَجُودِهِ، وَفَضْلِهِ، وَرَحْمَتِهِ، وَبَاعِثُهُ عَلَى مَحَبَّتِهِ، وَالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ، وَصَدَقَ اللِّجْوَاءُ وَغَايَةُ الْإِفْتِقَارِ إِلَيْهِ^(١).

وهنا مسألة مهمة؛ وهي: هل يجوزُ لِلْمَكْلَفِ أَنْ يَكُونَ مُقَلِّدًا لِغَيْرِهِ فِي الْإِعْتِقَادِ؟

الجواب: قال الشيخ السَّفَّارِينِي: «قال علماءنا وغيرُهم: يحرمُ التَّقْلِيدُ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ - تعالى - وَفِي التَّوْحِيدِ وَالرِّسَالَةِ، وَكَذَا فِي أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ الْخَمْسَةِ وَنَحْوِهَا مِمَّا تَوَاتَرَ وَاشْتَهَرَ عِنْدَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَالْأَكْثَرِ، وَذَكَرَهُ أَبُو الْخَطَّابِ عَنْ عَامَّةِ الْعُلَمَاءِ، وَذَكَرَ غَيْرُهُ أَنَّهُ قَوْلُ الْجُمْهُورِ، قَالَ فِي «شرح التحرير»، قال: وَأُطْلِقَ الْحُلُوانِي^(٢) - مِنْ أَصْحَابِنَا - وَغَيْرُهُ مَنَعَ التَّقْلِيدَ فِي أَصُولِ الدِّينِ»^(٣).

وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَا يَعْنِي بَطْلَانَ إِيمَانِ الْمُقَلِّدِ الْعَامِي فِي الْعَقَائِدِ؛ لِأَنَّهُ

(١) «إفادة المسؤل» (ص ٨٩).

(٢) بفتح الحاء نسبة إلى بيع الحلوى، وليس بضمها نسبة إلى حلوان كما ظن بعضهم.

(٣) «لوامع الأنوار البهية» (١/١٦٨).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها



يكفي أن يجزم بما يعتقده، ولا يُشترط أن يعرف الدليل^(١)؛ وقد قال السفاريني بعد ذلك: «والحق الذي لا محيد عنه، ولا انفكاك لأحد منه، صحة إيمان المقلد تقليدًا جازمًا، صحيحًا، وأن النظر والاستدلال، ليسا بواجبين، وأن التقليد الصحيح محصل للعلم والمعرفة»^(٢).

فالإيمان على نوعين^(٣): إيمان إجمالي وإيمان تفصيلي؛ فأهل الإيمان الإجمالي «من عوام المسلمين ممن يُلقنون الاعتقاد تلقينًا، ولا يقرؤون، ولا يكتبون»؛ لا يُلزمون بالاستدلال، فلا يُقال لأحدهم: عليك أن تستدل وتعرف الدليل في كل مسألة من مسائل الاعتقاد؛ لأن هذا ليس من شأنهم، وإنما الذي يلزمهم العلم بأمور الاعتقاد علمًا إجماليًا، لكن من كان لديه قدرة على الاستدلال؛ فينبغي له أن يتعلم أمور دينه بالدليل، والمقصود بالدليل هنا: الدليل من كتاب الله، وسنة نبيه ﷺ.

وقد رجح الشيخ ابن عثيمين صحة التقليد في المسائل التي يُطلب فيها الجزم، وأشار إلى أن القول بمنع التقليد في ذلك ضعيف؛ لثلاثة أمور:

أولاً: أن الله أحال على سؤال أهل العلم في مسألة من مسائل الدين التي يجب فيها الجزم؛ فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ

(١) ذكر ذلك العلامة عبد الله أبابطين مفتي الديار النجدية كما في: «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٤/٣٣٩).

(٢) «لوامع الأنوار البهية» (١/١٦٩).

(٣) «التمهيد لشرح كتاب التوحيد» (ص٤٣٩).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿[النحل: ٤٣]، وواضح أننا نسألهم لنأخذ بقولهم، ومعلوم أن الإيمان بأن الرسل ﷺ رجال؛ هو من العقيدة، ومع ذلك أحالنا الله فيه إلى أهل العلم.

ثانيًا: قال - تعالى -: ﴿إِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤]، وإنما يسألهم ليرجع إليهم، فإذا كان هذا الخطاب للرسول ﷺ وهو لم يشك؛ فعامة الناس إذا شكوا في شيء من أمور الدين؛ فإنهم يرجعون إلى الذين يقرؤون الكتاب من أهل العلم؛ ليأخذوا بما يقولون، وهذا عام يشمل مسائل العقيدة وغيرها.

ثالثًا: أننا لو ألزمتنا العامي بترك التقليد؛ والتزام الأخذ بالاجتهاد؛ لألزمناه بما لا يطيق، وقد قال - تعالى -: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

فالصواب: أن ما يُطلب فيه الجزم يُكتفى فيه بالجزم، سواء عن طريق الدليل، أو عن طريق التقليد^(١).

• **قوله: (وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ)** محمد ﷺ وتفصيل ذلك سيذكره المصنف رَحِمَهُ اللهُ في آخر الرسالة.

• **قوله: (وَمَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدْلَةِ)**، الباء في قوله: **(بِالْأَدْلَةِ)** للمصاحبة؛ أي: مع الأدلة، نحو قوله - تعالى -: ﴿وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ﴾ [المائدة: ٦١]؛ أي: مع الكفر، وقوله - تعالى -: ﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ﴾

(١) «شرح العقيدة السفارينية»، لابن عثيمين (٣٠٨ - ٣١٢).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

[طه: ٧٨]؛ أي: مع جنوده^(١)، فقلوه ﷺ **(بالأدلة)**؛ أي: مصحوباً بالأدلة، لا بمجرد التقليد.

والأدلة: جمعٌ دليل، وهو: ما يحصلُ به الاهتداءُ إلى المطلوب^(٢)، والأدلة أنواع^(٣)؛ فأصلها: القرآن الكريم، والسُّنة النبوية، ويتفرَّعُ عنهما أدلةٌ أخرى؛ كالإجماع، والقياس. قال ابن القيم رحمه الله:

العلمُ قالَ اللهُ قالَ رسوله قالَ الصحابةُ هم أولو العرفان ما العلمُ نضُبُك للخلافِ سفاهةٌ بين الرسولِ وبين رأيِ فلانٍ^(٤) أما أقوالُ أهل العلمِ الراسخين من محدِّثين وفقهاء؛ فليست أدلةً بنفسها، وإنما هي توضيحٌ وتبيينٌ لكلام الله ورسوله ﷺ يُستعانُ بها على الفهم عن الله ورسوله ﷺ والفقهِ في الدين^(٥).

وأما الأدلة على التوحيد والدين والرسالة؛ فهي متنوعة:

أ - فمنها: أدلةٌ سمعية: أي: من الوحي؛ كقلوه - تعالى -: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ الآية [الأنعام: ١٠٢]، وقوله - تعالى -: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْوَعْدُ بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ إِلَهَهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ الآية [آل عمران: ١٩]، وقوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ

(١) انظر: «رصف المباني في شرح حروف المعاني»، للمالقي (ص ٢٢٢).

(٢) «العدة في أصول الفقه» (١/١٣١). (٣) «تيسير علم أصول الفقه» (ص ١٣).

(٤) «نونية ابن القيم» (١/٢٢٦). (٥) «إعلام الموقعين» (١/١٣).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها



مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ [آل عمران: ١٤٤].

ب - ومنها أدلة عقلية: أي: مبنية على النظر والتأمل العقلي؛
ويندرج تحتها:

١ - الأدلة العقلية على الألوهية؛ أي: أن الخالق للخلق هو المستحق للعبادة وحده.

٢ - الأدلة العقلية على التشريع؛ أي: أن الله - تعالى - لا بد أن يجعل لعباده ديناً يعبدونه به.

٣ - الأدلة العقلية على النبوات؛ أي: أن الله - تعالى - لا بد أن يرسل رسولاً يدعو عباده إليه، ويبين لهم كيف يعبدونه؛ لأنّ هذا هو اللائق بحكمته ورحمته، وفضله وعدله^(١).



شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

الثانية: العمل به.

• **قوله: (العمل به)؛ أي:** العمل بهذا العلم الذي تعلمته؛ «وهو المشار إليه في المسألة الأولى»، فمن عرف الله، وعرف نبيه الذي أرسله إلى الناس بالبينات والهدى ودين الحق ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وعرف أحكام هذا الدين بالأدلة؛ فقد صار عالمًا بما يجب عليه، والذي يُنتظر من العالم هو أن يعمل بعلمه، لا أن يتفاخر به، أو يتجمل به في المحافل؛ فالعلم وسيلة والعمل غاية، والعلم شجرة والعمل ثمرة، فمن علم ولم يعمل؛ كان العلم حُجَّةً عليه ووبالاً، قال الخطيب البغدادي: «فلا تأنس بالعمل ما دمت مستوحشًا من العلم، ولا تأنس بالعلم ما كنت مقصّرًا في العمل، ولكن اجمع بينهما وإن قل نصيبك منهما، وما شيء أضعف من عالم ترك الناس علمه لفساد طريقته، وجاهل أخذ الناس بجهله لنظرهم إلى عبادته»^(١).

فمن لم يعمل بعلمه: كان من المغضوب عليهم؛ ففي الحديث: «إنَّ أَوَّلَ مَنْ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ ثَلَاثَةٌ»، وذكر منهم: عالمًا لم يعمل بما علم^(٢).

والمقصود بالعمل هنا: الاتباع والسير على ما يقتضيه هذا العلم؛ من الإيمان بالله - تعالى - وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه؛ وفق ما جاء في كتاب الله، وسنة نبيه ﷺ كما قال - تعالى -: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].



(١) «اقتضاء العلم بالعمل» (ص ١٨). (٢) أخرجه مسلم (ح ١٩٠٥).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

الثالثة: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ.

• **قوله: (الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ)؛** يعني: أن العبد إذا تعلَّم وعَمِلَ بما تعلَّم؛ فقد كَمَّلَ نفسه، فعليه بعد ذلك أن يسعى في دعوة غيره إلى سلوك هذه السبيل؛ قال الله - تعالى -: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

ولكن لا بد - مع هذا - من تحقيق الإخلاص في الدعوة؛ قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهَّاب في مسائل: «كتاب التوحيد» معلقاً على هذه الآية: «الثانية: التنبيه على الإخلاص؛ لأن كثيراً لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه»^(١).

والبصيرة التي في قوله - تعالى -: ﴿ادْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨] معناها: العلم بالأحكام الشرعية.

وليعلم المسلم أن الدعوة إلى الله هي وظيفة الرسل والأنبياء ﷺ، وهي طريقة من تبعهم بإحسان^(٢)، وقد أخذ الله على العلماء الميثاق لِيُبَيِّنَ للناس ما علموا من أمور الدين؛ لِيَدْعُوا الناسَ إلى الحق، ويُخْرِجُوهم من الظلمات إلى النور؛ قال - تعالى -: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

فإذا منَّ الله - تعالى - على العبد بمعرفة الحق وقبوله والعمل به؛ فعليه أن يدعو الناسَ إلى الحق؛ لأن ذلك من أسباب الثبات عليه، وكذلك من شكر الله - تعالى - على نِعَمِهِ - وهو أيضاً من الإحسان إلى

(١) كتاب «التوحيد»: باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله، (ص ١٣٣).

(٢) «شرح ثلاثة الأصول»، للعثيمين (ص ٢٣).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

.....

❧ ————— ❧

خلقه، والقيام بحقهم، وأيضاً يستعين المسلم بذلك على الاجتهاد في طاعة الله وفَّق شريعته.

وبذلك يستزيد العبد من العلم والعمل، ويستكثر من الخير والفضل، ويتحلى بتقوى الله ﷻ، ويكون من أهل الإحسان، الموعودين بالإحسان من الرحمن ﷻ.



شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الْأَذَى فِيهِ.

- **قوله: (الصَّبْرُ)**، هو لغةٌ: نقيضُ الجَزَعِ، يُقال: صَبَرَ يَصْبِرُ صَبْرًا؛ فهو صابر، وصَبَّار، وصَبِير، وصَبُور.
- وأصلُ الصبر: الحَبْسُ، وكل مَنْ حَبَسَ شيئًا؛ فقد صَبَرَهُ^(١).
- والصَّبْرُ في الشرع**، هو: حبْسُ النفس عن محارم الله، وحبْسُها على فرائضه، وحبْسُها عن التسخُّط والشَّكاية لأقداره^(٢).
- وعلى هذا فالصَّبْرُ ينقسم إلى ثلاثة أقسام^(٣):
- أ - صبر على طاعة الله.**
- ب - صبر عن معصية الله.**
- ج - صبر على أقدار الله وأحكامه الكونية القدرية.**



(١) انظر: «الصحيح»، للجوهري (ص ٧٠٦)، و«لسان العرب»، لابن منظور (٤/٤٣٧).

(٢) انظر: «رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه» (ص ١٨).

(٣) «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» (٢/١٦٣).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

والدليل: قوله - تعالى -: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿١﴾
إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا.....

استدل المصنف رحمه الله على هذه المسائل الأربع بسورة العصر؛ وهي سورة عظيمة يحتاج كل مسلم إلى معرفتها وتفهم معناها، فإليك بيانها باختصار:

بدأت السورة بقوله - تعالى -: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ [العصر: ١]، وهذا قسم من الله، والله عز وجل يقسم بما يشاء من خلقه؛ لأنه الخالق، وفي القرآن أمثلة كثيرة على ذلك.

﴿وَالْعَصْرِ﴾ [العصر: ١] هو الزمن؛ أي: الليل والنهار^(١)؛ والله عز وجل لا يقسم إلا بما فيه عبرة، وتعاقب الليل والنهار عبرة عظيمة للمعتبرين، فأقسم الله به لأنه محل العمل، والإنسان فيه إما رابح وإما خاسر.

و«أل» في ﴿الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢] للجنس؛ أي: جنس الإنسان، وليست للعهد كما توهم بعضهم؛ بدليل الاستثناء؛ لأن الاستثناء معيار العموم؛ كما هو مقرر في علم الأصول.

﴿لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢]؛ أي: في خسارة؛ فالأصل في كل إنسان أنه في خسارة وهلاك، ثم استثنى الله - تعالى - من ذلك الذين جمعوا هذه الأمور: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

فهذه السورة حوت الدليل الواضح الشامل لهذه المسائل الأربع:

الأولى: العلم؛ ويستدل لها بقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [العصر: ٣]؛

(١) «تفسير الطبري = جامع البيان»، ت: شاكر (٥٨٩/٢٤).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿[العصر: ١ - ٣].

أي: عرفوا الحق وصدقوا به^(١).

والثانية: العمل؛ ويُستدل لها بقوله: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [العصر: ٣]؛
أي: عملوا بما علموا من الحق.

والثالثة: الدعوة إليه؛ ويُستدل لها بقوله: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ [العصر: ٣]؛ أي: وصّى بعضهم بعضاً؛ تعليماً وإرشاداً.

والرابعة: الصبر على الأذى فيه؛ ويُستدل لها بقوله: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]؛ أي: صبروا على الحق، ووصّى بعضهم بعضاً بالصبر عليه^(٢).

قال الإمام شمس الدين ابن القيم - بعد كلامه على هذه الأصول العظيمة، والمراتب المنيقة -: «وهذا نهاية الكمال؛ فإن الكمال أن يكون الشخص كاملاً في نفسه مكملاً لغيره، وكماله بإصلاح قوّته: العلمية والعملية، فصالح القوة العلمية بالإيمان، وصالح القوة العملية بعمل الصالحات، وتكميله غيره بتعليمه إياه، وصبره عليه، وتوصيته بالصبر على العلم والعمل، فهذه السورة - على اختصارها - هي من أجمع سُور القرآن للخير بحذافيره، والحمد لله الذي جعل كتابه كافياً عن كل ما سواه، شافياً من كل داء، هادياً إلى كل خير»^(٣).

وهذه الأصول العظيمة هي التي أوصى بها لقمان ابنه في موعظته إياه؛ فالعلم في قوله - تعالى -: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا

(١) انظر: «مفتاح دار السعادة» (١/١٥٣).

(٢) انظر: «مفتاح دار السعادة» (١/١٥٣).

(٣) «مفتاح دار السعادة» (١/١٥٣، ١٥٤).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

شُرِكَ بِاللَّهِ إِبْرَ الْشِّرْكَ لَظْلُمٌ عَظِيمٌ ﴿[لقمان: ١٣]؛ لأن في هذا: النهي عن الشرك، والنهي عن الشرك يتضمن الأمر بالتوحيد، فقد تقرر في علم الأصول: أن الأمر بالشيء نهْي عن ضده، والنهي عن الشيء أمرٌ بضده، وعليه ففيه دليل العلم على التفصيل الذي سبق ذكره.

وأما العمل والدعوة والصبر ففي قوله: ﴿يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]؛ لأن في هذا: الأمر بالعبادة، والدعوة، والصبر على الأذى، والله أعلم.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فإذا استكمل هذه المراتب الأربع، صار من الربانيين؛ فإن السلف مُجْمِعُونَ على أن العالم لا يستحق أن يُسَمَّى ربانيًّا حتى يعرف الحقَّ، ويعمل به، ويُعَلِّمه، فَمَنْ عِلِمَ وَعَمِلَ وَعَلَّمَ؛ فذاك يُدْعَى عَظِيمًا في ملكوت السماوات»^(١).



(١) «زاد المعاد» (٩/٣).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

قَالَ الشَّافِعِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -: لَوْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةُ؛ لَكَفَّتْهُمْ.

• **قوله: (لو ما أنزل الله حجةً)**، هذه المقولة مشهورة عن الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ نَسَبَهَا إِلَيْهِ جَمْعٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالتَّحْقِيقِ بِعِبَارَاتٍ مُتَقَارِبَةٍ؛ مِنْهُمْ: النَّوَوِيُّ الَّذِي نَقَلَهَا عَنِ الشَّافِعِيِّ بِلَفْظٍ: «النَّاسُ فِي غَفْلَةٍ عَنْ هَذِهِ السُّورَةِ»^(١)، وَمِنْهُمْ: ابْنُ الْقَيِّمِ الَّذِي ذَكَرَهَا عَنْهُ بِلَفْظٍ: «لَوْ تَفَكَّرَ النَّاسُ كُلُّهُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ لَكَفَّتْهُمْ»^(٢)، وَمِنْهُمْ: ابْنُ كَثِيرٍ الَّذِي ذَكَرَهَا عَنْهُ بِلَفْظٍ: «لَوْ تَدَبَّرَ النَّاسُ هَذِهِ السُّورَةَ لَوَسِعَتْهُمْ»^(٣).

وَلَيْسَ مَقْصُودُ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنْ هَذِهِ السُّورَةُ تَكْفِي الْخَلْقَ فِي جَمِيعِ أُمُورِ الشَّرِيعَةِ، وَلَا أَنَّهُ يُسْتَغْنَى بِهَا عَنِ الْقُرْآنِ كُلِّهِ؛ فَهَذَا بَعِيدٌ؛ وَإِنَّمَا يَقْصِدُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ تَنْبِيهَ النَّاسِ عَلَى أَهْمِيَةِ هَذِهِ السُّورَةِ، وَأَنَّ اللَّهَ ذَكَرَ فِيهَا أَسْبَابَ السَّعَادَةِ، وَأَسْبَابَ الشَّقَاوَةِ.

وَقَدْ جَمَعْتُ هَذِهِ السُّورَةَ الْكَرِيمَةَ أَيْضًا عَلَى قِصَرِهَا - التَّحْذِيرَ مِنْ مُوجِبَاتِ الْخُسْرَانِ، وَالتَّوْبِيَةَ عَلَى أَسْبَابِ الْفَلَاحِ، وَالْفَوْزَ بِعَظِيمِ الْأَرْبَاحِ، فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، جَعَلْنَا الْمَوْلَى - سُبْحَانَهُ - وَإِيَّاكُمْ مِنْ أَهْلِ الْفَلَاحِ وَالصَّلَاحِ.



(١) «المجموع» (١٢/١)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (٥٤/١).

(٢) «مفتاح دار السعادة» (١٥٢/١).

(٣) «تفسير القرآن العظيم» (٤٧٩/٨).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -: بَابُ: الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ؛ وَالِدَّلِيلُ: قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿فَاعَلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ﴾ [محمد: ١٩]، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ^(١).

• **قوله: (وَقَالَ الْبُخَارِيُّ...)** إلخ، أَكَّدَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ هُنَا مَا قَرَّرَ سَابِقًا؛ مِنْ أَنَّ الْعِلْمَ يَسْبِقُ الْقَوْلَ وَالْعَمَلَ، وَهَذَا الْأَمْرُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ؛ فَالْعَمَلُ لَا يَنْفَعُ بِلَا عِلْمٍ، فَمَنْ عَمِلَ بِلَا عِلْمٍ؛ كَانَ عَمَلُهُ وَبَالًا عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «طَلَبْنَا هَذَا الْأَمْرَ، وَنَظَرْنَا؛ فَلَمْ نَجِدْ أَحَدًا عَمِلَ عَمَلًا بِغَيْرِ عِلْمٍ إِلَّا كَانَ مَا يُفْسِدُ أَكْثَرَ مِمَّا يُصْلِحُ» ^(٢)، وَصَدَقَ وَاللَّهُ؛ فَمَنْ عَمِلَ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ بِلَا عِلْمٍ؛ ضَلَّ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ؛ أَضَلَّهُمْ وَزَادَهُمْ جَهَلًا، وَمِنْ عِلَامَاتِ السَّاعَةِ: قُبْضُ الْعِلْمِ، وَانْتِشَارُ الْجَهْلِ، وَتَصَدُّرُ الْجُهَّالِ لِلْإِفْتَاءِ؛ كَمَا فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَلًا؛ فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا» ^(٣).

قوله: **(وَقَالَ الْبُخَارِيُّ)**؛ يَعْنِي: فِي «صَحِيحِهِ» الَّذِي هُوَ أَصْحَحُ كِتَابٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ بَعْدَ كِتَابِ اللَّهِ - تَعَالَى ..

ولفظ البخاري في «الصحيح»: **(بَابُ: الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ - تَعَالَى -: ﴿فَاعَلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ)**، فَقَوْلُ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ: **(قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ)** زِيَادَةٌ لِلتَّأْكِيدِ؛ اسْتِفَادَهَا مِنْ أَوَّلِ تَرْجُمَةِ الْبُخَارِيِّ.

(١) «فتح الباري»، لابن حجر (١/١٦٠). (٢) «الزهد»، للإمام أحمد (١/٢٣٤).

(٣) أخرجه البخاري (١٠٠).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

اعْلَمْ - رَحِمَكَ اللَّهُ - أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعَلُّمُ
ثَلَاثِ هَذِهِ الْمَسَائِلِ ^(١)، وَالْعَمَلُ بِهِنَّ.

عَبَّرَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْمَسَائِلِ الْأَرْبَعِ الَّتِي تَقَدَّمَتْ بِقَوْلِهِ: «يَجِبُ عَلَيْنَا»، وَعَبَّرَ هُنَا بِقَوْلِهِ: **(يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ)**، وَالْمَعْنَى فِي الْعِبَارَتَيْنِ وَاحِدٌ، وَالْمَقْصُودُ مَجْرَدُ التَّنَوُّعِ وَالتَّفَنُّنِ فِي الْعِبَارَةِ لِدَرْءِ السَّامَةِ؛ وَهَذِهِ الْمَسَائِلُ أَيْضًا فَرَضُ عَيْنٍ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، وَلَيْسَتْ مُخَالَفَةً لِلْمَسَائِلِ السَّابِقَةِ؛ بَلْ مُؤَكَّدَةٌ لَهَا، وَتَمْهِيدٌ لَهَا بَعْدَهَا.

وَالْحَكْمُ بِالْوُجُوبِ فِي هَذِهِ الْمَسَائِلِ لَيْسَ مَجْرَدَ اجْتِهَادٍ مِنَ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ بَلْ هُوَ صَرِيحُ النَّصِّ؛ إِمَّا مِنْ اللَّهِ وَحْدَهُ فِيمَا أُنْزِلَ فِي كِتَابِهِ، وَإِمَّا فِيمَا بَيَّنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي سُنَّتِهِ؛ وَهُوَ وَجُوبٌ عَيْنِي؛ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَيْسَ كِفَايَةً؛ إِذَا قَامَ بِهِ مَنْ يَكْفِي سَقَطَ الْإِثْمُ عَنِ الْبَاقِينَ.

وَقَبْلَ الدَّخُولِ فِي شَرْحِ هَذِهِ الْمَسَائِلِ الثَّلَاثِ، نَذَكَّرُ شَيْئًا مِنْ فَوَائِدِهَا عَلَى وَجْهِ الْإِجْمَالِ؛ فَمِنْ ذَلِكَ:

- أ -** معرفة الحكمة من الخلق؛ وهي: عبادة الله ﷻ، وتحقيق ذلك إنما يكون بطاعته ﷻ فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر.
- ب -** معرفة خطر الشرك على العبادة؛ إذ إنه يُبْطِلُهَا، وَيُحِيطُ جَمِيعَ الْعَمَلِ.
- ج -** التمييز بين أولياء الله وأولياء الشيطان؛ لأنه يجب على أولياء الله المؤمنين أن يُحِبُّوا وَيُؤَالُوا إِخْوَانَهُمْ فِي الدِّينِ، وَأَنْ يُبْغِضُوا وَيُعَادُوا مَنْ كَفَرَ وَأَشْرَكَ بِاللَّهِ ﷻ.

(١) في معظم الطبقات (هذه الثلاث مسائل)، وهذا مشكل من جهة النحو، والتصحيح من: حاشية ابن قاسم على ثلاثة الأصول.

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

الأولى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا...

• **قوله: (أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا)؛** يعني: أَنَّ اللهَ ﷻ هو وحده الخالقُ الذي خلقنا، وأوجدنا من العدم بقدرته، وكلُّ عاقل يُدركُ ذلك؛ سواءً كان مؤمناً أو كافراً، وإن كان هذا الإدراك وحده لا يُغني الكافر من الله شيئاً.

والدليلُ على أَنَّ اللهَ خلقنا سمعيٌّ وعقلي^(١)، وإليك بيانهما:

أ - السمعيُّ: وقد ورد في آيات كثيرة؛ منها: قوله - تعالى -: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا﴾ [الأنعام: ٢]، وقول - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦]، وغيرها كثيرٌ في كتاب الله ﷻ.

ب - العقليُّ: وقد جاءت الإشارةُ إليه في قوله - تعالى -: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥]؛ فإنَّ الإنسانَ لم يخلقْ نفسه؛ لأنه قبلَ وجوده عدمٌ، والعدمُ ليس بشيء، وما ليس بشيء لا يوجدُ شيئاً، وكذلك لم يكنْ ليأتي هكذا بلا مُوجد؛ لأنَّ كلَّ حادث لا بد له من مُحدث؛ ولأنَّ وجودَ المخلوقاتِ على هذا النظام البديع، والتناسق المتألف؛ يناقضُ أن تكونَ قد وُجدت هكذا اتفاقاً؛ لأنَّ ما يوجدُ اتفاقاً لم يكن على نظام في أصلِ وجوده، فكيف يكونُ منتظماً حالَ بقائه وتطوُّره؟!

فتعيَّن بهذا: أَنَّ يكونَ الخالقُ هو الله وحده، فلا خالقَ ولا أمرَ إلا الله^(٢)؛ قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

(١) «شرح ثلاثة الأصول»، للعثيمين (ص ٢٩).

(٢) انظر: «شرح ثلاثة الأصول»، للشيخ ابن عثيمين (ص ٢٩).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وزيادة في الإيضاح نقول: القسمة العقلية تقتضي ثلاثة احتمالاتٍ لا رابع لها^(١):

الأول: أننا خلقنا بلا خالق، وهذا لا يمكن؛ لأن الخلق يتعلّق بخالق؛ كالتحريك يتعلّق بمحرّك، فلا يمكن أن يتحرك شيءٌ من مكانه إلا بوجود محرّكٍ له، وهذا أمرٌ ضروري يعرفه العقلاء، فادعاء أننا خلقنا بلا خالق أمرٌ غير ممكن، والعقلاء يقرون بهذا، حتى المعاندون منهم، فلو قيل لأحد العقلاء: «إنَّ قَصْرًا من القصور فيه كلُّ ما تشتهيهِ الأنفسُ وتتمناه، ولكن هذا القصر وُجد هكذا؛ من غير بناء ولا إعداد»؛ لبادرَ إلى التكذيب، وقال: هذا لا يمكن؛ لأن مثل هذا القصر يحتاجُ إلى بناء، ويحتاجُ ما فيه إلى عمّال وصنّاع.

الثاني: أننا خلقنا أنفسنا، وهذا أشدُّ فسادًا مما قبله؛ لأننا قبل خلقنا معدومون، والمعدوم لا يمكن أن يكون قادرًا على إيجاد نفسه؛ لأنَّ العدم نقصٌ، والخلق كمالٌ، فكيف يكون الناقص كاملاً، هذا لا يمكن.

الثالث: أنه لا بد لنا من خالق؛ وهو الربُّ القادر.

فالآية الكريمة أشارت إلى هذا الدليل العقلي بطريقة بديعة؛ فقولُه - تعالى -: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ [الطور: ٣٥]؛ يعني: هل هم خُلِقوا هكذا بلا خالق؟! وهذا هو الاحتمال الأول، وقولُه - تعالى -: ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥]؛ يعني: هل هم خلَقوا أنفسهم، وهذا هو

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

.....

الاحتمال الثاني، وكلاهما ممتنع، فلم يبقَ إلا الاحتمال الثالث الذي لم
تُنصَّ عليه الآية إشارةً إلى وضوحه؛ لأن هذا أوقع في ذهن السامع من
التصريح بأن الخالق هو الله وَعَلَى.



شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَرَزَقَنَا . . .

• **قوله: (وَرَزَقَنَا)؛ أي:** أنه ﷺ هو الذي يُمدُّنا بالرزق، ويتفَضَّلُ علينا بالنعم الظاهرة والخفية، والرزق: هو العطاء مطلقاً؛ وهو إما عام وإما خاص:

فالعام: كل ما ينتفع به البدن ويقوم به؛ حراماً كان أو حلالاً ومنه: الطيب والخبيث.

والخاص: ما يقوم به الدين؛ من العلم النافع، والعمل الصالح، والرزق الحلال المُعين على طاعة الله - تعالى -^(١)، والله أعلم. والأدلة على أن الله «رَزَقَنَا» كثيرة؛ من كتاب الله، وسُنَّة نبيه ﷺ، ومن العقل أيضاً، وإليك بعضها:

أ - الكتاب: قال - تعالى -: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَيَسْأَلُونَ اللَّهَ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١].

ب - السنة: عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وهو الصادقُ المصدوقُ، قال: «... ثم يبعثُ الله ملكاً، فيؤمرُ بأربع كلمات، ويُقال له: اكتب عمله، ورزقه، وأجله، وشقي أو سعيد...»^(٢) الحديث.

ج - العقل: إن الله - سبحانه - جعل قِوَامَ الإنسان بالطعام والشراب، وكلُّ ما يناله الإنسان من طعام أو شراب أو غير ذلك، هو من الرزق الذي يحتاجُ إليه الإنسان؛ وعليه فهو من خلق الله - سبحانه -؛ قال - تعالى -: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ [البقرة: ٢٩].

(١) «شرح العقيدة الواسطية»، للعثيمين (١/٢٠٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٠٨).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا...

• **قوله** رَحِمَهُ اللهُ: **(وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا)**: أي: معطّلين شبه البهائم؛ فالله - سبحانه - لم يخلق الخلق عبثًا، ولم يتركهم سُدىً؛ بل خلقهم لأمر عظيم وخطب جسيم؛ قال - تعالى -: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [١١٥ - ١١٦]، فنزّه الله - تعالى - نفسه عن أن يكون الْكَرِيمُ ﴿[المؤمنون: ١١٥ - ١١٦]، فنزّه الله - تعالى - نفسه عن أن يكون قد خلق الخلق هكذا هَمَلًا ضائعين؛ لأن هذا من سوء الظن الذي يُنزّه عنه ربُّ العالمين.

فالله لم يخلق الخلق هَمَلًا ولا سُدىً، وإنما خلقهم ليعبدوه - سبحانه -، ومن أجل تحقيق هذه الغاية بعث الله الرسل وأنزل الكتب وشرع الشرائع؛ كما قال ﷺ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال - تعالى -: ﴿وَاذْكُرْ أَنَا عَادِ إِذْ أُنذِرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الأحقاف: ٢١]، والنُّذُر: أي: الرسل؛ ومعنى ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾؛ أي: من قبل هود عليه السلام ومن بعده، وفي قوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ بيانُ مهمّة الرسل؛ وهي: الدعوة إلى الغاية التي خُلق الخلق لأجلها؛ وهي إفراد الله بالعبادة.



شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا...

• **وقوله** رَحِمَهُ اللهُ: «بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا»؛ أي: أن الله الذي خلقنا ورزقنا، لم يتركنا مهملين بلا أمر ولا نهْي؛ بل خلقنا لعبادته، وأوجدنا لطاعته، وذلك لكي نحقق ما أوجدنا من أجله؛ وقد أرسل إلينا الرسول ليبلغنا ما أَرَادَهُ اللهُ منا؛ من تحقيق التوحيد، واتباع أحكام الدين؛ قال - تعالى -: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وهذا ليس خاصًا بأمة محمد ﷺ بل عامٌ لكل الأمم، كما قال - تعالى -: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

فاقتضت حكمته ﷻ بَعَثَ المرسلين؛ لبيان ما أُرْسِلُوا به؛ وهؤلاء الرسل لا يأتون بشيء من عند أنفسهم؛ بل يبلغون الناس ما أُرْسِلُوا به البلاغ المبين، سواء أكان أمرًا أم نهْيًا، فهم لا يخرجون عمَّا أمرهم الله ﷻ به؛ ولا يزيدون فيه ولا ينقصون منه؛ لأن الله أرسلهم لهداية الناس؛ فما تركوا خيرًا إلا دَلُّوا أُمَّمَهُمْ عليه، ولا شرًّا إلا حَذَّروا أُمَّمَهُمْ منه؛ لأنهم رسلُ الله ﷻ، والرسول مهمته إبلاغُ كلام مُرْسِلِهِ.

والمسلم يجبُ عليه أن يؤمنَ برسولِ الله جميعًا إيمانًا إجماليًّا، وأن يؤمنَ بنبيِّنا ﷺ إيمانًا تفصيليًّا^(١).



(١) سيأتي بيان ذلك في آخر الرسالة إن شاء الله تعالى، عند قول المصنف: (الأصل الثالث: معرفة نبيكم...).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ.

• **قوله: «فَمَنْ أَطَاعَهُ»**؛ أي: اتبع ما جاء به؛ فالأوامر تُطاع بامثالها، والنواهي تُتبع باجتنابها؛ فَمَنْ فعلَ ذلك دخل الجنة عرضها السماوات والأرض؛ قال - تعالى -: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [النساء: ١٣].

وقوله: «وَمَنْ عَصَاهُ»؛ أي: مَنْ لم يجتنب نواهيهِ، ولم يتبع أوامره؛ دخل النار؛ قال - تعالى -: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء: ١٤].

والناسُ مع الرسل فريقان، وقد بيّن الله - تعالى - ذلك في قوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْبِ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦]؛ فالذين هدى الله: هم أتباع الرسل، والذين حَقَّتْ عليهم الضلالة: هم مَنْ لم يتبعوهم من الكفار؛ أيًا كان نوعُ كفرهم، سواءً كان عنادًا، أو إباءً، أو نفاقًا، أو استكبارًا، أو غير ذلك.



شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا
أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ (١٥)

• **قَوْلُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا﴾ الآية)؛ أي:**
أن هذه الآية هي الدليل على أن الله لم يتركنا هملًا؛ بل أرسل إلينا
رسولًا، رحيمًا - كما وصفه الله - رؤوفًا، كريمًا، ناصحًا أمينًا، مبلغًا -
عليه الصلاة والسلام - البلاغ المبين، مجاهدًا في الله حقَّ جهاده حتى
أتاه اليقين، ما ترك خيرًا إلا دلَّ الأمة عليه، ولا شرًا إلا حذر الأمة
منه؛ فنصح - عليه الصلاة والسلام - أتمَّ النصح، وبَيَّنَّ أكملَ البيان،
صلواتُ الله وسلامُهُ عليه؛ ولذلك قال المصنف - كما سبق -: «فَمَنْ
أطاعه دخل الجنة، وَمَنْ عصاه دخل النار».

وفي الآيتين المذكورتين من سورة المزمل دلالة على وجوب طاعة
الرسل، وأن عصيانهم سببٌ للعقوبات؛ قال الله - تعالى -: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا
مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤]؛ فواجبُ الرسلِ البلاغُ،
وواجبُ الأمةِ الطاعةُ، والرسولُ ﷺ قد بلغ الرسالة وأدى الأمانة،
وسيكون يوم القيامة شاهدًا على ذلك؛ كما قال - تعالى -: ﴿وَكَذَلِكَ
جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾
[البقرة: ١٤٣]؛ أي: أن هذه الأمة تشهد للرسول بأنهم قد بلغوا،
والرسول ﷺ يشهد علينا بأنه قد بلغنا رسالة ربّه.

وقوله - تعالى -: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا﴾، المقصود بالرسول هنا:
نبيُّنا محمدٌ صلواتُ الله وسلامه عليه.

وقوله: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾، المقصود به: موسى صلواتُ الله
وسلامُهُ عليه، الذي أرسله الله ﷻ إلى فرعون؛ لكنه استكبر ولم يؤمن،

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٥﴾ [المزمل: ١٥ - ١٦].

كما ذكره الله عنه بقوله: ﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾، و«أل» هنا للعهد^(١)؛ أي: الرسول المذكور قبل ذلك في الآية؛ وهو: موسى ﷺ، وعصى فرعون موسى ولم يؤمن، فكان جزاؤه كما قال - تعالى -: ﴿فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾؛ أي: أخذاً شديداً، فجعل الله ذلك آيةً وعبرةً.

فالمقصود من هذه الآيات: الاعتبار بما حصل لمن سبق؛ فإذا كان من قبلكم قد أصابه هذا العذاب لكونه عصى الرسول المبعوث إليه؛ وهو موسى ﷺ، فكذلك من عصى نبينا محمداً ﷺ فإن عاقبته الدخول إلى النار، نسأل الله العافية والسلامة.



(١) «إعراب القرآن وبيانه» (١٠/٢٦٧).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

الثَّانِيَّةُ: أَنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ،
لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ.

• **قوله** رَحِمَهُ اللَّهُ: (لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ)؛ أي: فضلاً عن غيرهما؛ لأن الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين لهم المكانة العالية عند الله، والمنزلة الرفيعة لديه، فإذا كان الله ﷻ لا يرضى أن يُعبد معه غيره من الملائكة والنبيين، فغيرهم من باب أولى؛ إذ العبادة حق خالص لله وحده، خلق الخلق لأجلها، وأوجدهم لتحقيقها، فلا يرضى ﷻ أبداً أن يجعل معه شريك في العبادة؛ لا من الملائكة المقربين، ولا من الرسل الذين هم خيرته من خلقه؛ فضلاً عن غيرهم.

والشُّرْكُ في اللغة: هو السهم والحِصَّة من الشيء، يقال: اشترك جماعة في امتلاك شيء؛ أي: صاروا فيه شركاء، فيكون لكل واحد سهم منه^(١)، ولكن العبادة لا تصلح أن تجعل أسهماً؛ سهماً لله، وسهماً للنبي، وسهماً للملك، وسهماً للولي؛ بل يجب أن تكون خالصة لله ﷻ؛ لأن الشرك مُحِبَط للعمل؛ قال - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب مبيِّناً ذلك: «إذا عرفت أن الله خلقك لعبادته، فاعلم أن العبادة لا تُسمَّى عبادةً إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تُسمَّى صلاةً إلا مع الطهارة؛ فإذا دخل الشرك في العبادة؛ فسدت؛ كالحديث إذا دخل في الطهارة. فإذا عرفت أن الشرك

(١) «الصحيح تاج اللغة وصحاح العربية» (٤/١٥٩٣) بتصرف.

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

إذا خالط العبادة أفسدها، وأحبط العمل، وصار صاحبه من الخالدين في النار؛ عرفت أن أهم ما عليك: معرفة ذلك»^(١).

فالإسلام هو توحيد الله وإخلاص الدين له، والله ﷻ لا يرضى إلا التوحيد؛ لأن العبادة حق له وحده - سبحانه - لا شريك له فيها؛ والإيمان بالله لا يكفي إلا مع الكفر بالطاغوت، فالمشركون يؤمنون بالله، لكنهم يشركون في عبادته معه غيره، كما قال - تعالى -: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

فهؤلاء عندهم إيمان بالله، ولكن يفسدونه - والعياذ بالله - بالشرك! وهذا معنى قول الشيخ؛ أي: أن من عبد الله وأطاع الرسول؛ فإنه لا يصح له أن يشرك بالله شيئاً؛ لأن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله - تبارك وتعالى -: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»^(٢).

و«العبادة» لغة: مأخوذة من التعبّد، وهو التذلّل، والخضوع»^(٣).

وهي شرعاً: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه؛ من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة»^(٤).

• **قوله: (لا ملك مقرب)؛ أي: لا يرضى الله أن يشرك معه ملك مقرب؛ كجبريل وإسرافيل وسائر الملائكة الكرام عليهم السلام، كما قال - تعالى -:**

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٨٥).

(٤) «مجموع الفتاوى» (١٠/١٤٩).

(١) «القواعد الأربع» (ص ١).

(٣) «لسان العرب» (٣/٢٧١).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْئُرُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦ - ٢٩].

وقوله: **(ولا نبي مرسل)**؛ أي: ولا يرضى الله أن يشرك معه نبي مرسل؛ كمحمد ﷺ وموسى وعيسى، وسائر الأنبياء، عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم، قال - تعالى -: ﴿مَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُوتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩ - ٨٠]، فإذا كان لا يرضى أن يشرك معه الأنبياء أو الملائكة ﷺ، فكيف بغيرهم من الأولياء والصالحين؟!

وما كان شرك السابقين إلا أنهم اتخذوا الأنداد والأوثان وغيرها؛ ليكونوا شفعاء لهم عند الله، وليقربوهم إلى الله زلفى، كما قال الله - تعالى - حاكياً عن حالهم في شركهم: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣].

وقد فصل ذلك فضيلة الشيخ عبد الله القصير فقال:

«وينقسم الشرك بالله **وعك** إلى قسمين:

القسم الأول: شرك يتعلق بالاعتقاد والقول، وهو نوعان:

أ - شرك التعطيل: وهو أقبح أنواع الشرك، ويندرج تحته فروع

كثيرة؛ منها:

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

١ - شركُ فرعون؛ إذ قال: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣]؛ متظاهراً بإنكار الصانع، مع أنه يستيقنه في الباطن.

٢ - شركُ الفلاسفة؛ القائلين بقدَم العالم، وأنه لم يكن معدوماً أصلاً؛ بل لم يَزَلْ ولا يَزَالُ، والحوادثُ بأسرها مستندةٌ عندهم إلى أسبابٍ ووسائطٍ اقتضت إيجادها يُسمونها: العقول، والنفوس.

٣ - شركُ طائفةٍ وَحدةٍ الوجود؛ كابنِ عَرَبِيٍّ، وابنِ سَبْعِينَ، والعفيف التلمساني، وابنِ الفارض، ونحوهم من الملاحدة الذين كَسَوْا الإلحادَ حليةَ الإسلام، ومَرَجَوْه بشيءٍ من الحق، حتى راج أمرهم على خفافيشِ البصائر.

٤ - شركُ أهل التعطيل؛ أي: الذين عَطَّلُوا الله - تعالى - من صفات كماله ونعوتِ عظمتِه وجلالِه، تشبيهاً له بالمعدومات، وهو شركُ المعطلة من الجَهْمِيَّة والمعتزلة، وغيرهم^(١)، ولذا قال أهلُ السُّنَّة والجماعة عنهم^(٢): «المعطلُّ يعبدُ عدماً».

فالشركُ والتعطيلُ متلازمان؛ فكلُّ مشركٍ معطلٌّ، وكلُّ معطلٍّ مشركٌ، لكن الشركُ لا يستلزمُ أصلَ التعطيل؛ بل قد يكونُ المشركُ مقراً بالخالقِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وصفاته، ولكنه مُعَطِّلُهُ حقَّ التوحيد.

ب - شركُ التمثيل: وهو تمثيلُ الله - تعالى - بخلقه في أسمائه أو صفاته، وهو شركُ الممثلة من الرافضة ونحوهم، وهو إلحادٌ في مقابلة

(١) انظر: «تيسير العزيز الحميد» (ص٢٦).

(٢) «درء تعارض العقل والنقل» (٦/٣٤٨).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

إلحاد المعطلة؛ فإن أولئك نفوا صفة كماله وجحدوها، وهؤلاء شبَّهوها بصفات خلقه، فجَمَعَهُم الإلحاد وتفرقت بهم طُرُقُهُ، وبرأ الله أتباع رسوله وورثته القائمين بسُنَّتِهِ عن ذلك كله؛ فلم يصفوه إلا بما وصف به نفسه، ولم يجحدوا صفاته، ولم يشبَّهوها بصفات خلقه، ولم يعدلوا بها عما أنزلت عليه لفظاً ولا معنى؛ بل أثبتوا له الأسماء والصفات، ونفوا عنه مشابهة المخلوقات، فكان إثباتهم بريئاً من التشبيه، وتنزيههم خليئاً من التعطيل^(١)، ولذا قال أهل السنة والجماعة عمَّن شبَّه الله بخلقه: «الممثل يعبدُ وثناً»^(٢)، وكلُّ من الطائفتين مُعرِض عن العلم والفهم، وقائلٌ على الله - تعالى - وفي دينه بغير علم.

القسم الثاني: شركٌ يتعلق بالعمل؛ وهو أنواعٌ كثيرة؛ منها:

أ - الشركُ في الدعاء: بأن يدعو مع الله غيره، كما في قوله - تعالى -: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الدَّيْرِ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، وقوله - تعالى -: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤].

ب - الشركُ في المحبة: بأن يُحبَّ غيرَ الله - تعالى - من دونه معه؛ ويُسوِّيه بالله - تعالى - في المحبة؛ والمحبةُ تحمِلُ المُحبَّ على الذل والانقياد للمحبوب في تحقيق مُرادِه من مُحبه، كما في قوله - تعالى -: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَخْذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ

(١) انظر: «بدائع الفوائد» (١/١٧٠).

(٢) «الصواعق المرسله في الرد على الجهمية والمعتلة» (١/١٤٨).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴿البقرة: ١٦٥﴾.

ج - الشرك في الطاعة والتشريع: كما في قوله - تعالى -: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَنَهُمْ أَرْكَبًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُورُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]، وفي حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: «يَا عَدِيُّ، اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الْوَتْنَ»، وسمعته يقرأ في سورة براءة: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَنَهُمْ أَرْكَبًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾، قال: «أَمَّا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ».

وفي رواية: فقلت: إنا لسنا نعبدكم، فقال: «أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَيَحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَسْتَعْمِلُونَهُ؟»، قلت: بلى، قال: «فَذَلِكَ عِبَادَتُهُمْ»^(١).

د - الشرك في الإرادة والقصد: وهو أن يبتغي بشيء من حق الله - تعالى - الذي يجب أن يُخلص له منزلة أو محمداً عند الخلق، أو عَرَضًا من أعراض الدنيا، كما في قوله - تعالى -: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْسُونَ﴾ [هود: ١٥]، والمعنى: يريدون الحياة الدنيا وزينتها بعمل الآخرة^(٢).



(١) أخرجه الترمذي (٣٠٩٥) بمعناه.

(٢) انظر: «إفادة المسؤول عن الثلاثة الأصول» (ص ٢٤ - ٢٦).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

استدلَّ المصنّف رَحِمَهُ اللهُ عَلَى تحريم الشرك بقوله - تعالى -: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾، والمقصود: التمثيلُ على جنس الأدلة؛ لأن أدلة ذلك لا تُحصى في القرآن والسنة والمعقول، لكنَّ المقام في هذه الرسالة مبنيٌّ على الاختصار.

• وقوله - تعالى -: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾؛ أي: دعاء مسألة، ودعاء عبادة.

والمساجدُ يُشرعُ فيها أمران:

- ١ - سؤالُ الله ﷻ بالدعاء له - سبحانه - دعاء المسألة.
 - ٢ - عبادةُ الله ﷻ بأنواع العبادات؛ من الصلاة، والتلاوة والذكر والتعلُّم والتعليم، ونحو ذلك.
- قال ﷻ: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾؛ أي: أن المساجد أقيمت لله ﷻ؛ أي: لعبادته وحده دون ما سواه، فلا تدعوا أيُّها الناسُ أحدًا غيرَ الله، وكما أنَّ المصلي لا يصلي إلا لله، فكذلك المساجد، لا يسأل فيها ولا يدعو إلا الله ﷻ.

ووجه الاستدلال في الآية قوله - تعالى -: ﴿أَحَدًا﴾؛ لأنها نكرة في سياق النهي، والنكرة إذا وردت في سياق النهي تفيد العموم؛ كما هو مقرر في علم الأصول، ونظير ذلك قوله ﷻ: ﴿وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَوَلِّينَا مَا لَنَا هَذَا الْكِتَابُ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]؛ أي: لا يحصلُ منه - سبحانه - ظلمٌ لأحد كائنًا من كان، ولهذا

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

قال الله - تعالى - : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠]، فلا يقع منه - تبارك وتعالى - أدنى ظلم لأحد.

فقوله: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ يفيد بعمومه النهي عن دعاء كل أحد؛ أيًا كان هذا المدعو؛ ملكًا، أو نبيًا، أو صالحًا، أو شجرًا، أو حجرًا.

والعموم في الآية السابقة نظير العموم في قوله - تعالى - : ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، فقوله: ﴿شَيْئًا﴾ أيضًا نكرة في سياق النهي؛ فتفيد العموم^(١)؛ أي: أيًا كان هذا الشيء.

فائدة: الحكمة من تقديم طاعة الرسول ﷺ هي: أن أمور الإيمان لا سبيل للعباد إلى معرفتها إلا من طريق المرسلين؛ فالرسل هم الهداة والدعاة إلى توحيد الله، وإخلاص الدين له، وهم الذين يبينون للناس تفاصيل الشرائع؛ من توحيد الله ﷻ وأحكام الدين، والأوامر والنواهي؛ وغير ذلك من الأمور التي لا تُعرف إلا عن طريقهم.



(١) «البحر المحيط في التفسير» (٢/ ٤٧٠).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

الثالثة: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللَّهَ؛ لَا يَجُوزُ لَهُ مُوَالَاةُ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ؛ وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ.



• **قوله** - رحمه الله تعالى -: **(الثالثة: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ...)** إلخ، فيه لطيفة من جهة الترتيب؛ لأن المصنف ذكر هذه المسألة هاهنا مترتبة على المسألتين الأولى ومبنية عليهما، وهي مسألة بغض الكافرين وترك محبتهم، واجتناب موالاتهم أو توليهم؛ لأنه لا يجتمع في قلب العبد محبة الله مع محبة أعدائه؛ فَمَنْ كَانَ مَطِيعًا لِلرَّسُولِ ﷺ حَقًّا، وَمُوَحِّدًا لِلَّهِ - تبارك وتعالى - صدقًا؛ فإنه يجب عليه أَنْ يُبْغِضَ أَعْدَاءَ اللَّهِ، وَأَعْدَاءَ دِينِهِ، وَأَنْ يُبْغِضَ الْكَافِرِينَ وَالْمُشْرِكِينَ؛ - إلا في أمور سيأتي تفصيلها في كلام شيخنا صالح الفوزان -؛ لأن الإيمان والتوحيد والطاعة للرَسُول - عليه الصلاة والسلام - لا تستقيم إلا بذلك.

أما الشرك فقد سبق تعريفه ^(١).

وأما الكفر فهو في اللغة: ستر الشيء وتغطيته ^(٢).

وأما في الاصطلاح الشرعي، فهو: «عدم الإيمان بالله ورسوله؛ سواء كان معه تكذيب أو شك وريب، أو إعراض عن الإيمان حسدًا أو كِبَرًا أو اتباعًا لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة» ^(٣).

فالكفر صفة لكل مَنْ جحد شيئًا مما افترض الله - تعالى - الإيمان به، بعد أن بلغه ذلك، سواء كان ذلك جحودًا بقلبه فقط، أو بلسانه فقط، أو بهما معًا، أو قام بعملٍ جاء النص فيه أنه مخرج عن

(١) انظر: (ص ٤٠ - ٤٢)، فقد سبق فيه تفصيل كامل عن الشرك وأنواعه.

(٢) انظر: «لسان العرب»، مادة: (كفر)، (١٤٦/٥).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٣٣٥/١٢).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

اسم الإيمان^(١).

والكفر نوعان^(٢):

النوع الأول: الكفر الأكبر: وهو المخرج من الملة، وينقسم أقسامًا:

الأول: كفر التكذيب: وهو أن يكذب بالقرآن أو بشيء منه أو بسنة النبي ﷺ الثابتة عنه وهو يعلم؛ فمن فعل ذلك فهو كافر كافرًا أكبر يخرج من ملة الإسلام؛ قال - تعالى -: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٨].
ومن كذب برسول واحد فقد كذب الرسل جميعًا، ولا يكون الإيمان بهم مقبولاً حتى يؤمن بهم جميعًا، ولا يفرق بين أحد منهم؛ قال - تعالى -: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

الثاني: كفر الجحود: وهو أن يكون عارفاً بالحق مستيقناً به في نفسه، لكنه ينكر ذلك في ظاهر أمره ولا يُقرُّ به، كما كان من أمر فرعون؛ قال - تعالى -: ﴿وَجحدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، فكان كفره جحودًا وكبرًا، أو حسدًا، أو طمعًا في دنيا، أو غير ذلك.

وغالب الكفار من هذا النوع؛ أي: كفر الجحود؛ قال - تعالى -:

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٢/٣٣٥).

(٢) «التوحيد»، للفوزان (ص ١٩).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

الثالث: كفر الشك والظن: بأن يكون شاكاً فيما جاءت به الرسل والأنبياء - عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم -، ويظن أنهم على غير حق؛ كما قال الله - تعالى - حاكياً عن قصة صاحب الجنة: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ [الكهف: ٣٦]، وذكر ردّ الآخر في الحوار الذي دار بينهما فقال: ﴿أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: ٣٧].

الرابع: كفر الإعراض: بأن يُعرضَ عن تعلّم أصول هذا الدين الذي لا يكون المرء مسلماً حتى يعلمها، ويعمل بها؛ قال - تعالى -: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْفِقُونَ﴾ [السجدة: ٢٢]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: ٣]، فسُمُّوا كافرين لإعراضهم.

الخامس: كفر النفاق، والمقصود به: النفاق الاعتقادي، وهو أنواع^(١):

- أ - تكذيب الرسول ﷺ.
- ب - تكذيب بعض ما جاء به ﷺ.
- ج - بغض الرسول ﷺ.
- د - بغض بعض ما جاء به الرسول ﷺ.

(١) «التوحيد»، للفوزان (ص ٢٦).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها



هـ - المسرة بانخفاض دين الإسلام.

و - الكراهية لانتصار دين الإسلام.

النوع الثاني: الكفر الأصغر؛ ولا يُخرج من الملة:

وهو إتيان بعض الذنوب التي سمّاها رسول الله ﷺ كفرًا ولم تصل إلى الكفر الأكبر، ومثاله: حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»^(١)؛ فالمراد بالكفر هنا الأصغر؛ لأن قتل المؤمن كبيرة من كبائر الذنوب، لكنه لا يُخرج به صاحبه من الإسلام، بدليل قوله - تعالى -: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَفِئَءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩ - ١٠]، والشاهد هنا قوله - تعالى -: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾؛ فأخبر عن المقتتلين بأنهم مؤمنون وأنهم إخوة، فدل على أن القتل بغير حق لا يُخرج صاحبه من دائرة الإيمان إلى الكفر، ما لم يستحلّه.

فالشرك والكفر وأهلهما هو المقصود في قول المصنف: (لَا يَجُوزُ لَهُ مَوَالَاةٌ)؛ أي: البراء منهما.

والمقصود بالولاء هنا: أهل التوحيد، وأهل الإيمان.

والتوحيد لغةً: مصدر الفعل وَحَّدَ يُوَحِّدُ؛ أي: جعل الشيء واحدًا^(٢).

(١) أخرجه البخاري (١٧٣٩).

(٢) «لسان العرب»، مادة: (وحد)، (٣/ ٢٨١).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

والتوحيد اصطلاحاً: ما ذكره المصنف رَحِمَهُ اللهُ فيما سيأتي: «إفراد الله بالعبادة».

وأنواعه - كما ذكر أهل العلم^(١) - ثلاثة:

الأول: توحيد الربوبية.

الثاني: توحيد الألوهية.

الثالث: توحيد الأسماء والصفات.

أما الإيمان فهو في اللغة: التصديق الجازم؛ قال - تعالى - على لسان إخوة يوسف رَحِمَهُمُ اللهُ: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧]؛ أي: بمصدق لنا^(٢).

وشرعاً: «قولٌ باللسان، واعتقادٌ بالقلب، وعملٌ بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية»^(٣).

وسيأتي تفصيل ذلك بإذن الله في شرح قوله: «المرتبة الثانية: الإيمان».

فالولاء لا يكون إلا لأهل التوحيد، وأهل الإيمان؛ ففي الحديث الذي جاء عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللهُ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْدَفَ فِي النَّارِ»^(٤)، والشاهد من الحديث قوله: «وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللهُ».

(١) «الأسئلة والأجوبة في العقيدة» (ص ٩).

(٢) «لسان العرب»، مادة: (أمن)، (٢٣/١٣).

(٣) «الإيمان»، لابن منده (٣٤١/١) بتصرف.

(٤) أخرجه البخاري (١٦).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وفي حديث آخر عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «أَتَدْرُونَ أَيُّ عُرَى الْإِيمَانِ أَوْثَقُ؟»، قُلْنَا: الصَّلَاةُ، قَالَ: «الصَّلَاةُ حَسَنَةٌ، وَلَيْسَ بِذَلِكَ»، قُلْنَا: الصِّيَامُ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى ذَكَرْنَا الْجِهَادَ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ: الْحُبُّ فِي اللَّهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ»^(١).

فالمؤمن الموحد يحب أخاه في الله؛ لأجل أنه موحد لله، مطيع له، وإن كان لا ينتفع منه في دنياه بأي عائدة، قال - تعالى -: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٦٦) تُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿آل عمران: ٢٦ - ٢٧﴾، هذه الآيات الكريمة لم تترك شيئاً للخلق؛ بل جعلت الأمر كله لله - سبحانه -؛ فإن أعطى أحداً من خلقه فهو منه - سبحانه - وفضل، وإن منع أحداً منهم؛ فبظلم من أنفسهم وعدل منه ﷻ، وبعد هذه الآيات يقول - تعالى - في السورة نفسها، وهذا موضع الشاهد: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَةً وَيَحِذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨]، دلت هذه الآية على أن من تمام العبادة ولوازمها ألا يتخذ المؤمن الكافر ولياً.

والموالة معناها: المحبة والنصح^(٢)، وأما المناصرة فتسمى: التولي.

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي (٧٨٣).

(٢) «الولاء والبراء والعداء في الإسلام» (ص ٣٢).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

والأصل في موالاة المشركين والكفار أنها عظيمة من العظام، لكنها ليست صورة واحدة، ولذلك ضبطها أهل العلم فقسموها إلى قسمين:

أحدهما: مكفر؛ وهو محبة الكفر، أو نصره الكفار على المسلمين بقصد ظهور الكفر على الإسلام، ويسمى هذا القسم بالتولي، ودليله قول الله - تعالى -: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، وقول النبي ﷺ: «... وَكَفَرُ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ»، وقصة حاطب رضي الله عنه لما أراد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يقتله وقال للنبي ﷺ: «دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَهُ؛ فَإِنَّهُ قَدْ نَافَقَ»^(١)؛ لكن النبي ﷺ استفصل منه، وعلم أنه لم يقصد ظهور الكفر على الإيمان، ولم ينصرهم محبة في الكفر، وإنما لقصد دينوي.

ومحبة المشركين لأجل الدنيا كبيرة من الكبائر، وليست كفرًا، ومثالها: محبة الكافر لأجل منصبه أو لأجل ماله؛ والدليل قوله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسْرِوْنَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: ١]، فناداهم باسم الإيمان، وهذا دليل على ثبوته لهم، وأيضًا قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه التي ذكرتها.

والقسم الثاني: محبة المشرك لأجل منفعة مباحة تحصل منه؛ فهذا

(١) أخرجه البخاري (٣٠٨١).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

جائز؛ كمحبة الرجل لولده المشرِك أو العكس، أو لزوجته الكتابية، أو لجاره المُحسِن إليه، ودليل ذلك قوله - تعالى - : ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ [هود: ٤٥]، وقد أحلَّ الله لنا الزواج بالكتابية، وهي مشركة، قال الله - تعالى - عنهم: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّكَ اللَّهُ تَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَحْدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣]، والزواج لا ينفك عن مودة ومحبة بين الزوجين؛ قد تزيّد وقد تنقص، وسبب المحبة: الانتفاع الدنيوي.

وقد كان رسول الله ﷺ يحبُّ عمّه أبا طالب، ولذلك قال الله - تعالى - : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]، وسبب محبته ﷺ لعمّه: منفعتُهُ له، والرابط الذي جمع بينهما.

فلا بدّ أن يُفرّق - عند الحكم في الولاء والبراء - بين المحبة الطبيعية وغيرها؛ فمحبة الجائع للطعام ومحبة الأب لابنه الصغير ومحبة أصحاب الصناعة الواحدة، وأصحاب التجارة الواحدة وما أشبه ذلك؛ إنما هي محبة طبيعية، والنفوسُ جُبلت على أن تُحبَّ من تعودت رؤيته ومحادثته والانتفاع به ومشاركته في عمل ونحوه، فتفرح برؤيته أحياناً، وتحزن لمرضه وفقده وما أشبه ذلك^(١)؛ قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: «والحبُّ الطبيعيُّ تابعٌ لبعض مُرادات النفس، والشهوات المتباينة التي تبقى ببقاء ذلك المراد وتزول بزواله»^(٢).

(١) «تيسير العزيز الحميد» (ص ٤٦٧ - ٤٦٨).

(٢) «الفتاوى السعدية»، لعبد الرحمن السعدي (ص ٢٧).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

فهذه المحبة لم يذكرها المؤلف، إنما ذكر ما يدل على جواز برّ الوالد المشرك ونحوه، والبرّ تعاملٌ ظاهرٌ محسوس، وأمّا المحبةُ فقلبية، وذكر المحبة القلبية الجائزة للمشرك مهمٌ للمتلقين والناشئة؛ لأنها تُقرب المناط المقصود، وتضبط الذهن.

مسألة النصر:

قال - تعالى -: ﴿وَإِنْ أَسْتَضْرُّوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٢].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي: «﴿وَإِنْ أَسْتَضْرُّوكُمْ فِي الدِّينِ﴾؛ أي: لأجل قتال من قاتلهم لأجل دينهم، ﴿فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ﴾ والقتال معهم، وأما من قاتلوهم لغير ذلك من المقاصد فليس عليكم نصرهم، وقوله - تعالى -: ﴿إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَقٌ﴾؛ أي: عهد بترك القتال، فإنهم إذا أراد المؤمنون المتميزون الذين لم يهاجروا قتالهم، فلا تعينوهم عليهم، لأجل ما بينكم وبينهم من الميثاق، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ يعلم ما أنتم عليه من الأحوال، فيشرع لكم من الأحكام ما يليق بكم»^(١).



(١) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، لعبد الرحمن السعدي (ص ٣٢٧).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿لَا تَتَّخِذْ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ
إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ
مِّنْهُ وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

• **قَوْلُهُ: (والدليل: قوله - تعالى -: ﴿لَا تَتَّخِذْ قَوْمًا﴾)**، استدللَّ
الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ هنا بهذه الآية الكريمة على مسألة الولاء والبراء، فذكر فيها
سبعة أمور في حقِّ مَنْ لم يتخذ الكافر وليًّا، ولو كان أقرب قريب؛
فينبغي تدبرها، والتنبه لها:

الأمر الأول: قوله - تعالى -: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾،
الإشارة في قوله: ﴿أُولَئِكَ﴾ إلى مَنْ لم يتخذ الكافرين أولياء؛ ولو كانوا
أقرب قريب؛ فهؤلاء أمرهم كما قال - تعالى -: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾؛
أي: رسَّخ في قلوبهم الإيمان وثبَّته، فهو إيمان ثابت وراسخ في القلوب.

الأمر الثاني: قوله: ﴿وَأَيَّدَهُم﴾؛ أي: قوَّاهم، وقوله: ﴿بِرُوحٍ
مِّنْهُ﴾؛ أي: بوحى منه، وعونٍ، ومددٍ، وقد سَمَّى اللَّهُ ﷻ وحيه في غير
موضع من القرآن رُوحًا؛ كقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾
[الشورى: ٥٢]؛ وذلك لأن القلوب تحيا به.

الأمر الثالث: قوله: ﴿وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾؛ أي:
أن هؤلاء قد أعدَّ الله ﷻ لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، فيها ما
لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ﴿خَالِدِينَ
فِيهَا﴾؛ أي: دائمين فيها أبد الآباد.

الأمر الرابع: قوله: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾؛ أي: أن الله ﷻ قد أنزل
عليهم رضوانه، فلا يسخط عليهم بعدها أبدًا، ولا شك أن هذا من

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَرَضُوا عَنْهُ أُؤَلِّيكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٧٢﴾ [المجادلة: ٢٢].

أعظم الكرامات، وأجلّ النعم؛ التي يُمُنُّ بها الربُّ على عباده؛ كما قال ﷻ: ﴿وَرَضَوْنُ مِنْ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢]. وفيه إثبات صفة الرضا لله ﷻ على ما يليق به. **الأمر الخامس:** قوله: ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾؛ أي: بما أكرمهم الله ﷻ به، وأنعم عليهم.

الأمر السادس: قوله: ﴿أُؤَلِّيكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾، وصفهم الله ﷻ بأنهم حزبه، وليس في الوجود إلا حزبان: حزبُ الله، وحزبُ الشيطان، والناسُ إمّا أن يكونوا في حزب الله، وإما أن يكونوا في حزب الشيطان، والضابطُ المميّز بين الحزبين: هو هذه الأوصافُ العظيمة، والخلالُ المُنيّفة، فمن لم يكن من أهل هذه الأوصافِ فهو من حزب الشيطان. **الأمر السابع:** قوله: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾؛ أي: هم أهلُ الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة، والفلاح: هو حيازةُ الخير بمَجَامِعِهِ، ولهذا قال بعضُ أهل العلم: إنّ أكملَ كلمةٍ قيلت في حيازةِ الخير والظَّفَرِ به هي كلمةُ (الفلاح).

وكلُّ أمرٍ من هذه الأمور التي ذكرها الله ﷻ كافٍ أن يحركَ القلوبَ إلى بغضِ الكفار، فعلى المسلمين أن يحرصوا على العناية بترسيخِ هذه المعاني في نفوس أبنائهم، وتربيتهم عليها، وتحصينهم بهذه الأصول العظيمة من الأفكار الضالّة.

فَعُلم من خلال ما سبق: أنّ الولاءَ لأهل التوحيد والإيمان، والبراءَ من أهل الشرك والكفر.

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

والموالاة والولاء: بمعنى واحد؛ فالولاء يُراد به: المحبة بالقلب، ويُراد به: المناصرة والمعاونة، وقد يُراد به معنى آخر، وهو: الإرث والعقل في الديات^(١).

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ: «فهل يتم الدين، أو يُقام عِلْمُ الجهاد، وَعَلَمُ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ إلا بالحب في الله، والبغض في الله، والمعاداة في الله، والموالاة في الله؟! ولو كان الناس متفقين على طريقة واحدة، ومحبة من غير عداوة ولا بغضاء، لم يكن فرقاً بين الحق والباطل، ولا بين المؤمنين والكفار، ولا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»^(٢).

وقال الشيخ حمد بن علي بن عتيق رَحِمَهُ اللهُ: «فأما معاداة الكفار والمشركين: فاعلم أن الله ﷻ قد أوجب ذلك، وأكد إيجابه، وحرّم موالاتهم، وشدّد فيها، حتى إنه ليس في كتاب الله - تعالى - حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم، بعد وجوب التوحيد، وتحريم ضده»^(٣).

وعوداً إلى بيان الآية التي استدلل بها المصنف رَحِمَهُ اللهُ ؛ أقول: إنها بدأت بخطابٍ موجّه إلى النبي ﷺ خاصة، وإلى الأمة عامة؛ قال - تعالى -: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [المجادلة: ٢٢]؛ أي: لا يقع هذا ولا يكون أبداً؛ أن يوجد مؤمن بالله ورسوله، يحب الكفار؛

(١) «شرح ثلاثة الأصول»، لصالح الفوزان (ص ٦٠).

(٢) «أوثق عرى الإيمان» (ص ٣٨).

(٣) من كتاب «سبيل النجاة والفكاك» ضمن «مجموعة التوحيد» (ص ٣٦٣).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

لأنه إن أحبهم فليس بمؤمن، ولو كان يدعي ذلك، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: أَتُحِبُّ أَعْدَاءَ الْحَبِيبِ وَتَدَّعِي حَبًّا لَهُ مَا ذَاكَ فِي إِمْكَانٍ وَكَذَا تُعَادِي جَاهِدًا أَحِبَّابَهُ أَيْنَ الْمَحَبَّةُ يَا أَخَا الشَّيْطَانِ؟! (١)

فالإيمان لا يجتمعُ هو وموالاتُ الكفار في قلب مؤمن؛ فمن ادعى ذلك وقال: أنا أحبُّ الله ورسوله، وهو يحبُّ الكفار ويواليهم، فهو كاذبٌ في ادعائه! قال - تعالى -: ﴿بَنَاتِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١]، إلى قوله - تعالى -: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُوكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ [الممتحنة: ٤]، وقال: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤]، فهذه ملَّةُ إبراهيم عليه السلام الذي تبرَّأ من أبيه - أقرب الناس إليه - لما تبَيَّنَ له أنه عدوٌّ لله، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَعَلَى وَجْهِهِ آزَرٌ قَتَرٌ وَعَبْرَةٌ، فيقولُ له إبراهيمُ: ألم أقل لك: لا تعصني، فيقولُ أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقولُ إبراهيمُ: يا ربِّ إنك وعدتني أن لا تُخزيني يوم يبعثون، فأني خزي أخزى من أبي الأبعد؟ فيقولُ الله - تعالى -: إني حرَّمتُ الجنةَ على الكافرين، ثم يُقال: يا إبراهيمُ، ما تحت رجلِك؟ فينظر، فإذا هو بذِخٍ مُلتَطِخٍ، فيؤخذُ بقوائمه فيُلْقَى في النار» (٢).

(١) «الكافية الشافية (نونية ابن القيم)» (ص ٢٢١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٥٠)، والذبيح: هو الذكر من الضباع، الكثير الشعر.

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

ودلت الآية أيضًا على أن محبة الكافر تُنافي الإيمان بالله واليوم الآخر، إما في أصله، وإما في كماله، فإن اجتمع مع محبتهم تأييد لمذهبهم وكفرهم، كان ذلك خروجًا من الإسلام، أما إن كانت محبة مجردة من غير مناصرة لهم؛ فهذا يُعدُّ فسقًا، ينقص الإيمان ويُضعفه، لكنه لا يُزيله.

ودلت أيضًا على أنه لا نصيب لهم في اليوم الآخر؛ لأنهم لم يُعدُّوا له شيئًا، ففقدوا الاستعداد لذلك اليوم، لكونهم وآلوا الكفار.

وقوله - تعالى -: ﴿مَنْ حَادَّ﴾، المحادَّة: أصلها من الحدَّ؛ وعليه فمعناها: أن يكون الله ورسوله في حدٍّ، والمحادُّ لهما في حدٍّ آخر^(١)، وتظهر المحادَّة في أن يأمر الله بشيء أو ينهى عن شيء، فيقوم المرء بفعل ما نهى عنه وترك ما أمر به.

«تنبيهاتٌ وضوابطٌ في معاملة الكفار»

قال فضيلة شيخنا صالح الفوزان: «عدم الموالاة لا تقتضي أننا نقطع الكفار في الأمور والمنافع الدنيوية؛ بل يُستثنى من ذلك أمورٌ:

الأول: أنه - مع بُغضنا لهم وعداوتنا لهم - يجب أن ندعوهم إلى الله ﷻ، يجب أن ندعوهم إلى الله ولا نتركهم، ونقول: هؤلاء أعداء الله وأعداؤنا، يجب علينا أن ندعوهم إلى الله؛ لعل الله يهديهم، فإن لم يستجيبوا فإننا نقاتلهم مع القدرة، فيما أن يدخلوا في الإسلام،

(١) «الصارم المسلول على شاتم الرسول» (ص ٢٣).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وإما أن يبذلوا الجزية - إن كانوا من اليهود والنصارى أو المجوس - وهم صاغرون، ويخضعون لحكم الإسلام، ويتركون على ما هم عليه، لكن بشرط دفع الجزية، وخضوعهم لحكم الإسلام، وأما إن كانوا غير كتابيين وغير مجوس؛ ففي أخذ الجزية منهم خلافاً بين العلماء.

الثاني: لا مانع من مُهادنة الكفار عند الحاجة، إذا احتاج المسلمون لمهادنتهم؛ لكون المسلمين لا يقدرّون على قتالهم، ويخشى على المسلمين من شرهم، لا بأس بالمهادنة إلى أن يقوى المسلمون على قتالهم، أو إذا طلبوا هم المهادنة؛ ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: ٦١]، فيُهادنون، لكن ليس هدنة دائمة، إنما هدنة مؤقتة مؤجلة إلى أجل، حسب رأي إمام المسلمين؛ لما فيه من المصلحة.

الثالث: لا مانع من مكافأتهم على الإحسان إذا أحسنوا للمسلمين، لا مانع أنهم يكافؤون على إحسانهم، قال الله - تعالى -: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

رابعاً: الوالد الكافر يجب على ولده المسلم أن يبرّ به، لكنه لا يطيعه في الكفر؛ لقوله - تعالى -: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلُہُ فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ [١٤] وإن جهداك على أن تُشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إلىَّ [لقمان: ١٤ - ١٥]؛ فالوالد له حق وإن كان كافراً، لكن لا تحبه المحبة القلبية؛ بل تكافئه على تربيته لك، وأنه والد، وله حق، تكافئه على ذلك.

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

خامساً: تبادل التجارة معهم، وشراء الحاجات منهم، واستيراد البضائع والأسلحة منهم بالثمن، لا بأس بذلك، وقد كان النبي ﷺ يتعامل مع الكفار، وكذلك عامل ﷺ أهل خيبر - وهم يهود - على أن يزرعوا الأرض بجزء مما يخرج منها، ليس هذا من الموالاة والمحبة، وإنما هو تبادل مصالح، يجب أن نعرف هذه الأمور، وأنها لا تدخل في الموالاة، وليس منهيًا عنها.

كذلك الاستدانة منهم؛ النبي ﷺ: استدان من اليهودي طعاماً ورهن درعه عنده، ومات ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي بطعام اشتراه لأهله.

فلا مانع من هذا؛ لأن هذه أمور دنيوية ومصالح، ولا تدل على المحبة والمودة في القلوب، فلا بد أن نفرق بين هذه وهذه؛ لأن بعض الناس إذا سمع نصوص العداوة للكفار والنهي عن محبتهم، قد يفهم أنه لا يتعامل معهم، ولا يتصل بهم نهائياً، وأن تكون مقاطعة نهائية، لا، هذا محددٌ بأحكام وبحدود وبشروط معروفة عند أهل العلم، مأخوذة من كتاب الله، ومن سنة رسوله ﷺ.

سادساً: أباح الله التزوج من نساء أهل الكتاب؛ بشرط أن يكن عفيفات في أعراضهن، وأباح الله لنا أكل ذبائحهم.

سابعاً: لا بأس بإجابة دعوتهم، وأكل طعامهم المباح، كما فعل النبي ﷺ.

ثامناً: الإحسان إلى الجيران من الكفار؛ لأن لهم حق الجوار.

تاسعاً: لا يجوز ظلمهم؛ قال - تعالى -: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿[المائدة: ٨]﴾، انتهى كلامه ^(١)
- حفظه الله -.

والناس، في الولاء والبراء، وفي الحب والبغض، ينقسمون إلى
أقسام ثلاثة:

القسم الأول: أهل الإيمان والصلاح والاستقامة على طاعة الله؛
فهؤلاء لهم ولأئ وحب؛ فإذا كان الرجل مؤمناً، مطيعاً لله، محافظاً على
أوامر الله، مبتعداً عما حرم الله؛ فهذا يُحِبُّ.

القسم الثاني: أهل الكفر بالله - تبارك وتعالى -؛ فإذا كان الرجل
كافراً، أيّاً كان نوع كفره؛ فهذا يُبَغِّضُ.

القسم الثالث: مَنْ يُحِبُّ باعتبارٍ وَيُبَغِّضُ باعتبارٍ آخر؛ يُحِبُّ باعتبارِ
إيمانه وما عنده من صلاح وطاعة، وَيُبَغِّضُ باعتبارِ ما عنده من فسوقٍ
وعصيان، وهؤلاء هم عصاة الموحدين؛ الذين لديهم أصل الإيمان
والتوحيد، لكن عندهم معاصٍ لا تصل إلى حد الكفر بالله، فمن كان
كذلك فإنه يُحِبُّ بحسب ما عنده من إيمان، وَيُبَغِّضُ بحسب ما عنده من
فسوق وعصيان.

ومن مظاهر الموالاة للكافرين: الرضا بكفر الكافرين، والامتناع
من تكفيرهم، أو الشك في كفرهم.



شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

اعْلَمْ - أَرْشَدَكَ اللَّهُ لِبَطَاعَتِهِ - أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةٌ ^(١) إِبْرَاهِيمَ...

• **قوله** رَحِمَهُ اللَّهُ: (اعْلَمْ)، سبق نظيره، وبيان ما فيه من الفائدة.

• **قوله: (أَرْشَدَكَ اللَّهُ لِبَطَاعَتِهِ)**، هذا دعاء من الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ لكل مَنْ يقرأ هذه الرسالة؛ بأن يُرشدَه الله للعلم النافع، والعمل الصالح، والمقصود بالرُّشد هنا: الهداية إلى الحق، وضدّه: العَيُّ ^(٢)، قال - تعالى -: ﴿قَدْ بَيَّنَّ الرُّشْدَ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٦٥]، والمسلم إذا أُرشدَه الله لبطاعته، فقد سعد في الدنيا والآخرة.

والمقصود بقوله: (لبطاعته) أن تطيع الله في أوامره فتفعلها، وفي نواهيه فتجتنبها، امتثالاً لأمر الله - سبحانه - وابتغاء وجهه وَجَّكَ تَرْجُو ثوابه وتُخَافُ عقابه ^(٣).

• **قوله: (أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةٌ إِبْرَاهِيمَ)**؛ أي: أن قولنا: «الحنيفية» وقولنا: «ملة إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ» كلاهما بمعنى واحد؛ كما قال - تعالى -: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠]، وقال - تعالى -: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣]، وقال - تعالى -: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧].

والحنيفية لغة: نسبة إلى الحنيف؛ وأصله من الحنف، وهو الميل، فمعنى: الحنيفية الملة المائلة عن الشرك إلى التوحيد.

(١) قوله: (ملة إبراهيم) يجوز فيه الرفع على الخبرية، ويكون ما بعدها بدلاً، ويجوز فيه النصب على البدلية، ويكون ما بعدها هو الخبر.

(٢) تفسير الطبري جامع البيان، ت: شاکر (٤١٦/٥).

(٣) «شرح ثلاثة الأصول»، لفضيلة الشيخ صالح الفوزان (ص ٧٠).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها



والحنيف: هو المُقبِلُ على الله ﷻ المُعرِضُ عن كلِّ ما سواه^(١).
وعليه؛ فجميعُ أديانِ الرسل حنيفية مائلةٌ عن الشرك إلى الحق،
وهذه دعوةُ كلِّ الرسل ﷺ كما قال ابنُ القيم رَحِمَهُ اللهُ:
فالدينُ في التوحيد دينٌ واحدٌ لم يختلف منهم عليه اثنانِ
دينُ الإله اختارَه لعبادِه ولنفسِه؛ هو قيِّمُ الأديانِ
فمِنَ المُحالِ بأن يكونَ لرُسُلِه في وصفِه خبرانِ مختلفانِ^(٢)



(١) «حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول» (ص ٤٢).

(٢) «الكافية الشافية» (ص ٨٥).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ^(١)، مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ.

• **قوله: (أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ...)** إلخ، هذا تعريف بملة نبي الله إبراهيم عليه السلام وذلك: **(أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ)**، فملة إبراهيم عليه السلام تجمع أمرين: «العبادة، والإخلاص»، فمن عبد الله ولم يكن مخلصاً لم تكن عبادته شيئاً. فملة إبراهيم هي التوحيد؛ والأدلة على ذلك كثيرة؛ فمن ذلك قوله - تعالى -: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١]، ومن ذلك أيضاً إعلانه عليه السلام البراءة من عبادة كل ما سوى الله، والتزامه القيام بعبادة الله، قال - تعالى -: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٧]، وهذه الآية نظير كلمة التوحيد؛ لأنَّ قوله: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾، نفى، وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي﴾ إثبات؛ أي: أن إبراهيم عليه السلام تبرأ مما يعبدُه قومه من معبودات مختلفة، وأقرَّ أنه عابدٌ للذي فطره وحده، وهذا هو معنى كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»، ولهذا قال عليه السلام بعد هذا: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٨]؛ يعني: لعلهم يرجعون إليها ويخلصون لله جلَّ وعزَّ العبادَة.

والإخلاص هو: أن يُقصد بالفعل التقربُ إلى الله عزَّ وجلَّ وامتنالُ أمره، دون أن يشتملَ على ما ينافي التقربَ من المقاصد المذمومة؛ كالرياء والعُجب ونحوهما، قال - تعالى -: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، وقال ابن القيم: «الإخلاص هو: ما لا يعلمه ملك فيكتبه، ولا عدوُّ فيفسده، ولا يُعجبُ به صاحبه فيُبطله»^(٢).

(١) قوله: (وحده) زيادة في أكثر الطبقات، وليس في حاشية ابن قاسم.

(٢) «الفوائد» (ص ٩٩).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

والذي ينقض الإخلاصَ أحدُ أمرين: إما الرياء والسمعة، وإما أن يُشركَ مع الله في عبادته أحدًا، وتجذُّ اليوم كثيرًا ممَّن ينتسبون إلى الإسلام، يقعون في بعض أنواع الشرك؛ كدعاء غير الله، وعبادة القبور والضرائح، والذبح لها، والنذر لها، والطواف بها تقرُّبًا إلى أصحابها، والتبرك بها، والاستغاثة بالأموات، وغير ذلك.

قال فضيلةُ شيخنا صالح الفوزان: «الحنيفية: التي أعرضت عن الشرك بالكلية، وأقبلت على التوحيد بكُلِّيتها: أن تعبدَ الله مخلصًا له الدين»^(١).

والإخلاصُ له فوائدُ كثيرة؛ فمنها:

أ - أن الإنسانَ به يحققُ التوحيدَ لربه، ويكملُ له الطاعة، ويُخرجُ من قلبه تألُّه ما يهواه.

ب - أن الإخلاصَ يصرفُ عن العبد المعاصيَ والذنوبَ، كما قال - تعالى -: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

ج - أن الله يصرفُ به عن العبد كيدَ الشياطين، فلا تكونُ لهم سلطةٌ عليه، قال - تعالى - حاكياً على لسان هذا العدو الرجيم: ﴿قَالَ فِعْرَنُكَ لَأُعْوَثَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢ - ٨٣].



شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ جَمِيعَ النَّاسِ... وَخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ - تَعَالَى -: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].



• **قوله** رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وبذلك أمر الله جميع الناس)**؛ أي: بعبادته وحده دون مَنْ سواه؛ مخلصين له الدينَ حنفاء؛ قال - تعالى -: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿[البقرة: ٢١ - ٢٢].
والعبادة نوعان^(١):

أ - عبادة كونية: ومعناها: الخضوعُ لأمر الله - تعالى - الكوني، وهي شاملةٌ لجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم، لا يخرج عنها منهم أحدٌ، وهذا النوع من العبادة لا يُحمد أحدٌ عليها؛ لأنها بغير فعله، كما في قوله - تعالى -: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣].

ب - عبادة شرعية: ومعناها: الخضوعُ لأمر الله - تعالى - الشرعي، وهي خاصةٌ بمن أطاع الله - تعالى - اختيارًا، واتبَعَ ما جاءت به الرسل، كما في قوله - تعالى -: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

• **قوله:** **(وخلقهم لها)**؛ أي: لعبادته؛ فالغاية من خلق الخلق هي: عبادة الله وحده لا شريك له^(٢).

و«الإنس» المذكورون في الآية هم بنو آدم، وسُمُّوا بالإنس لأن

(١) «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» (١/١٢٥).

(٢) «شرح الرسالة التدمرية»، للخميس (ص ٤٤١).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

بعضهم يأنس ببعض، ويجتمعون ويتآلفون^(١).

ولفظ «الجن» مأخوذ من الاجتنان؛ وهو في اللغة: الاستتار، تقول: جنّه الليل: إذا ستره؛ فسُموا جنًا لأنهم مستترون عن الأعين^(٢)؛ كما قال - تعالى -: ﴿إِنَّهُ يَرْنِكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧]، ومن ذلك: الجنين في البطن؛ لأنه مستتر عن الأعين.

والإنس والجن جميعهم مكلفون بالعبادة، وإخلاص الدين لله - سبحانه -، ولأجل ذلك خلُقوا، قال - تعالى -: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [١] الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ [٢] الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ [الملك: ١ - ٣].

فالحكمة من خلق الله ﷻ هذه الخلائق؛ هي: عبادته وحده لا شريك له، كما هو نص الآية الكريمة.

قال الفضيل في قوله - تعالى -: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾؛ أي: «أخلصه وأصوبه»، وقال: «إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يُقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يُقبل، حتى يكون خالصًا صوابًا؛ فالخالص: أن يكون لله، والصواب: أن يكون على السنة»، ثم قرأ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]^(٣).

(١) «الفروق اللغوية»، للعسكري (ص ٢٧٤).

(٢) «تصحيح الفصيح وشرحه» (ص ٣٣٠)، و«بدائع الفوائد» (٢/ ٢٦٣).

(٣) «حلية الأولياء» (٨/ ٩٥).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَمَعْنَى (يَعْبُدُونَ): يُوحِّدُونَ.

• **قوله: (ومعنى (يعبدون): يُوحِّدُونَ)^(١)؛ أي: يُفردوني بالعبادة؛**
فالعبادة هي التوحيد، والتوحيد هو العبادة، ولذلك يُفسَّرُ التوحيدُ
بالعبادة، كما تُفسَّرُ العبادةُ بالتوحيد.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله ﻋَﻠَﻴْكَ: ابنَ
آدم! تفرَّغْ لعبادتي، أملأْ صَدْرَكَ غِنًى، وأسدِّ فقركَ، وإلا تفعلْ، ملأتُ
صَدْرَكَ شُغْلًا، ولم أسدِّ فقركَ»^(٢).

في هذا الحديث بيان أن الله ﻋَﻠَﻴْكَ إنما خلق الخلق من أجل توحيد
العبادة؛ وهو توحيد الألوهية، وفيه ردٌّ على مَنْ فسَّرَ التوحيد بأنه: مجردُ
الإقرار بأن الله هو الخالقُ الرازقُ المحيي المميت المدبِّرُ فحسبُ، وقد
فسَّرَ حبرُ الأمة وترجمانُ القرآن عبدُ الله بن عباس رضي الله عنهما قوله - تعالى -:
﴿يَتَأَيَّمُوا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ بقوله: «وحدوا ربكم»^(٣)؛ وكلُّ ما في القرآن
من ذكر العبادة فمعناه: التوحيد.



(١) «القول المفيد على كتاب التوحيد» (٢٦/١)، و«تفسير الطبري» (٣٦٢/١).

(٢) أخرجه الترمذي (٤٢٦٦).

(٣) «تفسير الطبري» (٣٦٢/١).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ: التَّوْحِيدُ؛

• **قوله: (التَّوْحِيدُ) هو في اللغة:** مصدرٌ قياسي للفعل «وَحَّدَ»؛ تقول: وَحَّدَ الشيءَ يُوحِّدُهُ توحيدًا؛ أي: جعله واحدًا لا ثاني له، وهذا لا يتحقق إلا بنفي وإثبات؛ أي: نفي الحكم عمَّا سوى الموحَّد، وإثباته له وحده، ولذلك يقول العلماء: إنه لا يتم للإنسان التوحيد حتى يشهد أن لا إله إلا الله؛ فينفي بذلك الألوهية عمَّا سوى الله - تعالى -، ويثبتها لله وحده^(١).

وأنواع التوحيد ثلاثة^(٢):

أ - توحيد الربوبية: وهو إفراد الله ﷻ في أفعاله؛ بأن تعتقد أن الله ﷻ واحدٌ فيما يفعله، لا شريك له فيه؛ وأفعاله: كالخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، وتدبير الكون، فليس هناك ربٌّ سواه ﷻ، كما قال الله - تعالى -: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال - تعالى -: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآذِنُوا تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر: ٣].

ب - توحيد الألوهية أو توحيد العبادة: وهو إفراد الله ﷻ بأمور العبادة التي شرعها، ويُسمى توحيد القصد والطلب؛ وذلك بأن يُفرد العبدُ ربَّه ﷻ في إنابته، وخضوعه، ومحبته، ورجائه، وسائر العبادات، قال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

(١) «شرح ثلاثة الأصول»، للشيخ العثيمين (ص ٣٩).

(٢) «شرح الطحاوية» تحقيق: الأرناؤوط (١/ ٢٤).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وهو: إفراد الله بالعبادة.

ج - توحيد الأسماء والصفات: وهو إفراد الله - تعالى - بما سَمِيَ به نفسه، أو وصف به نفسه، في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ؛ وذلك بإثبات ما أثبتته، ونفي ما نفاه؛ من غير تكييف، ولا تمثيل، ولا تعطيل، قال - تعالى -: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وقد عرّف الشيخ رحمه الله التوحيد بقوله: **(إفراد الله بالعبادة)**؛ أي: إفراد الله بالألوهية؛ لأن هذا هو الذي ضلّ فيه المشركون الذين قاتلهم النبي ﷺ واستباح دماءهم وأموالهم وأرضهم وديارهم، وسبى نساءهم؛ لأنهم لم يحققوا هذا النوع من التوحيد؛ قال - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [النحل: ٣٦].

فالعبادة لا تصحّ إلا لله ﷻ ومن أخلّ بهذا النوع من التوحيد؛ فهو مشرّك كافر، وإن أقرّ بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات ^(١).

و**(إفراد الله بالعبادة)** لا بد أن يكون إفراداً كاملاً؛ قولاً، وقصدًا، وفعلًا، فيجب على العبد أن يُفرد الله في عبادته بالأقوال، وبالأفعال، وبالمقاصد ^(٢).

وهذا يبين لنا أن التوحيد أعظم ما أمر الله به، وكلُّ أوامر الدين التي أمر الله بها تكون بعد التوحيد، والدليل على ذلك قول الله تبارك وتعالى:

(١) انظر: «شرح ثلاثة الأصول»، للعثيمين (ص ٤٠).

(٢) «حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول» (ص ٤٦).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ: الشِّرْكُ.

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]، إذ بدأ - سبحانه - بحقه، ولم يقتصر على قوله: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ﴾؛ بل قال بعده: ﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾، وذلك لأن العبادة لا تصح مع الشرك، ولهذا تجد كثيراً من الآيات تبدأ بالعبادة لله - سبحانه - وحده، ثم تتبع ذلك بالنهاي عن الشرك؛ كقوله - تعالى - أيضاً: ﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ٦٤].

فإذا كان أعظم ما أمر الله به التوحيد؛ فإنه يجب أن يبدأ الإنسان بتعلم العقيدة قبل كل شيء؛ لأنها أساس هذا الدين، ولا تصح أي عبادة غيرها؛ كما سبق بيان ذلك.

لو ذهبت تسأل الناس اليوم عن أعظم ما نهى الله عنه؟ فقد تجد من يذكر الربا، أو الزنا، أو القتل... إلخ، ولا شك أن هذا من الجهل العظيم بحقيقة الدين، وشرعية رب العالمين ﷺ.

ف (أَعْظَمُ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ هُوَ الشِّرْكُ)؛ كما قال - تعالى -: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطُنَ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكُفُّ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَُمْ وَصَنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

تَذَكَّرُوا ﴿[الأنعام: ١٥١ - ١٥٢]، فبدأ - سبحانه جلّ وعلا - قبل باقي المحرمات بالشرك في قوله: ﴿أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾؛ فدلّ على أن الشرك هو أعظم ما نهى الله عنه.

وهذا يتكرّر في غير موضع من القرآن؛ كما قال الله - تعالى -: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [الإسراء: ٢٢]، فبدأ بالنهي عن الشرك؛ ثم ذكر بعض المنهيات، وختمها بالنهي عن الشرك أيضاً، فقال - تعالى -: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ٣٩]، كما قال - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨]، إلى غير ذلك من الآيات.

فالشرك أعظم ذنب عَصِيَ الله به؛ فعن عمرو بن شَرْحِبِيلٍ، عن عبد الله، قال: سألت النبي ﷺ: أيُّ الذنب أعظم عند الله؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك»، قلت: إن ذلك لعظيم^(١).

والشرك أيضاً من الموبقات السبع؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ»، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر...» الحديث^(٢).

والمشرك لا يعفو الله له، بخلاف العاصي؛ فإنه تحت المشيئة، إن شاء الله عذبه بعدله، وإن شاء غفر له بفضلّه، قال - تعالى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٦٦).

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧٧).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وأيضاً فإن المشرك تُحرَّم عليه الجنة، قال - تعالى -: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

قال شيخنا صالح الفوزان: «فيجب التحذير من الشرك، وبيانهُ للناس حتى يجتنبوه، هذا الذي يجب، أما أن يُسكت عن الشرك، ويُترك الناس يهيمون في عبادة غير الله، وهم يدعون الإسلام، ولا أحد ينهي، ولا أحد يحذّر؛ الأمر خطيرٌ جداً، هناك ناسٌ يتجهون إلى النهي عن الربا والزنا وفساد الأخلاق، هذه أمور؛ نعم محرمةٌ وفسادٌ؛ لكنَّ الشرك أعظم، فلماذا لا يُهتَمُّ بالنهي عن الشرك، والتحذير من الشرك؛ وبيان ما يقع فيه كثيرٌ من الناس في الشرك الأكبر وهم يدعون الإسلام؟!

لماذا هذا التساهل في أمر الشرك، والتغافل عنه، وترك الناس يقعون فيه؟! والعلماء موجودون؛ بل يعيشون مع هؤلاء ويسكتون عنهم، الواجب أن يُتَّجَهَ أولاً إلى النهي عن هذا الخطر العظيم الذي فتك بالامة فتكاً ذريعاً، كلُّ ذنبٍ دونه فهو أهونٌ منه، والواجب أن نبدأ بالأهم فالأهم»^(١).



شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ،

• **قوله: (وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ)**، هذا تعريفُ الشرك، وتوضيحه: أن يَصْرِفَ المرءُ شيئاً من العبادة لغير الله؛ إلى ملك من الملائكة، أو نبيٍّ من الأنبياء، أو صالحٍ من الصالحين، أو حجرٍ من الأحجار، مبنيٍّ على هيئة صنم، أو غير ذلك من سائر المخلوقات.

تنبيه: من أهل الضلال والبدع مَنْ يقول: إن الشرك المنهي عنه هو الشرك في الحاكمية (أي: الحكم بغير ما أنزل الله)؛ لأن في ذلك إشراكاً لطاعة المخلوق بطاعة الله، وَيَقْصُرُ الشرك على ذلك. وهذا القول انتشر في هذا الزمان^(١).

والردُّ على ذلك أن يُقال: لا شك أن طاعة المخلوق (في تحليل ما حَرَّمَ الله أو تحريم ما أَحَلَّ الله؛ أو باعتقاد أن لهم حقَّ التحليل والتحريم) شركٌ، لكن هناك ما هو أعظم منه؛ وهو عبادة غير الله **وَعَلَى** أو صرفُ شيء من أنواع العبادة لغيره - سبحانه -؛ من ذبح أو نذر، أو طواف، أو استغاثة؛ فالواجب أن يُحذَرَ من الشرك كله، لا أن يؤخَذَ شيءٌ منه ويُترك ما هو أعظم وأخطر منه، فلا يُفسَّرُ الشرك بأنه شرك الحاكمية فقط (أو الشرك السياسي كما يقولون)، ثم يُقال: إن عبادة القبور ليست بشرك، أو ليست بأعظم من الشرك في الحاكمية، فأنواع الشرك واضحة كما سبق ذكرُها في أول هذا الشرح^(٢).

على أن مجرَّد الحكم بغير ما أنزل الله، لا يُعدُّ كفرًا بإطلاق؛ بل

(١) «شرح ثلاثة الأصول»، لصالح الفوزان (ص ٨٨).

(٢) مقتبسة من شرح فضيلة الشيخ عبد الله القصير.

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

فيه تفصيلٌ معروف، ينقله العلماء عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره ^(١).
وأما الدليل الذي استدلل به المصنف؛ وهو قوله - تعالى -:
﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، ففيه البدء بالأمر بالتوحيد
والنهي عن الشرك؛ وهذا هو وجه الدلالة؛ لأن هذا الأمر هو حقُّ الله وَعَلَيْكَ
على عبده؛ فعن معاذ رضي الله عنه قال: كنتُ رديفَ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «يا معاذُ»،
قلت: لبيك وسعديك، ثم قال مثله ثلاثاً، ثم قال: «هل تدري ما حقُّ الله
على العباد؟» قلتُ: لا، قال: «حقُّ الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا
به شيئاً»، ثم سار ساعة، فقال: «يا معاذُ» قلتُ: لبيك وسعديك، قال:
«هل تدري ما حقُّ العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟» قلتُ: الله ورسوله
أعلم، قال: «حق العباد على الله أن لا يعذبهم» ^(٢).



(١) انظر: «فتاوي اللجنة الدائمة» رقم (٦٣١٠)، و(٥٧٤١)، وكذلك القول بما يسمى
بـ(توحيد الحاكمية) لا يعرف في كلام العلماء المتقدمين، وإنما أحدثه بعض الكتاب
من المعاصرين، وقد جعله الشيخ ابن عثيمين محدثاً، مبتدعاً، منكراً، انظر: لقاء
الباب المفتوح، الشريط رقم (١٥٠٢).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٦٧).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟ فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيِّهِ مُحَمَّدًا ﷺ.

• **قوله** ﷺ: (فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ)، سبق الحديث عن ذلك في أول الكتاب، مع بيان أهمية تلك الأصول.

وطريقة السؤال والجواب هو أسلوب سلكه الشيخ رحمه الله في كثير من رسائله، وهو منهج نافع في تقرير المعلومات، وسرعة فهمها واستيعابها.

و«الأصل» لغة: ما يُبنى عليه غيره^(١)، وشرعاً: كذلك أيضاً، لكن في أمور الدين، وكل الدين يدور على هذه الأصول الثلاثة. هذا هو الأصل الأول؛ وهو معرفة العبد ربّه.

• **قوله**: (فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟)؛ أي: إذا سُئِلْتُ: مَنْ رَبُّكَ؟ وهذا الأمر سُئِلَ عنه في الدنيا والآخرة.

والربوبية في قوله: (مَنْ رَبُّكَ؟) يُقْصَدُ بها: العبودية؛ لأن توحيد الربوبية عند الإطلاق يدخل في توحيد الألوهية، والعكس؛ بل إن توحيد الربوبية يُستدلُّ به على توحيد العبودية؛ كما في قوله - تعالى -: ﴿وَلِإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٦ - ١٧]، فاستدل إبراهيم الخليل - صلوات الله وسلامه عليه - بأن الله، كما

(١) «تاج العروس»، مادة: (أصل)، (٤٤٧/٢٧).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَقُلْ: رَبِّيَ اللَّهُ الَّذِي رَبَّنِي وَرَبِّي جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعْمِهِ.

تفرد بالربوبية؛ من الخلق والرزق ونحوهما؛ فحقه أن يفرد بالالوهية؛ فكما أن لا رب سواه، فكذلك ولا إله إلا هو سبحانه، لذلك لما سأل فرعون موسى عليه السلام: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣]، أجابه عليه السلام بقوله: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢٤].

والمشركون أقرؤا بتوحيد الربوبية، والأدلة على هذا في كتاب الله كثيرة، فمن ذلك قوله - تعالى -: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا نُنْقِزُكَ﴾ [يونس: ٣١]، فأقروا بالرزق، والخلق، والتدبير؛ لله تعالى؛ إذ كان جوابهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾.

فإذا سئلت: (مَنْ رَبُّكَ؟، فقل: رَبِّيَ اللَّهُ الَّذِي رَبَّنِي وَرَبِّي جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعْمِهِ)، فهذا هو الذي أعبدته وأتذلل له؛ خضوعاً، ومحبةً، وتعظيماً، وأفعل ما يأمرني به، وأترك ما ينهاني عنه، فليس لي أحد أعبدته سواه وَعَجَّلَ.

فكلمة «الرب» معناها: ذو الربوبية على خلقه أجمعين؛ خلقاً، وملكاً، وتصرفاً، وتدبيراً؛ لأن اسم «الرب» من الأسماء الدالة على جملة معانٍ، لا على معنى واحد^(١).

(١) «فقه الأسماء الحسنى» (ص ٧٩).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها



قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللهُ: «فإن الربَّ في كلام العرب متصرفٌ على معانٍ؛ فالسيدُّ المطاع فيها يُدعى ربًّا، والرجلُ المصلح للشيء يُدعى ربًّا، والمالكُ للشيء يُدعى ربّه، وقد يتصرف أيضًا معنى الرب في وجوه غير ذلك، غير أنها تعودُ إلى بعض هذه الوجوه الثلاثة. فربُّنا - جل ثناؤه - السيدُّ الذي لا شبهة له ولا مثل في سُؤدده، والمصلحُ أمرَ خلقه بما أسبغَ عليهم من نعمه، والمالكُ الذي له الخلقُ والأمر»^(١).

فهو ﷻ الذي يربِّي جميعَ عباده بنعمه، ويطعمهم برزقه وهم في أرحام أمهاتهم؛ ففي الحديث: «إنَّ أحدكم يُجمَعُ خلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكونُ علقَةً مثلَ ذلك، ثم يكونُ مُضْغَةً مثلَ ذلك، ثم يبعثُ الله ملكًا، فيؤمِّرُ بأربع كلمات، ويُقالُ له: اكتبْ عمله، ورزقه، وأجله، وشقيَّ أو سعيد»^(٢).

فكلُّ ما على الأرض من الأمم، وأصنافِ المخلوقات، في البر أو في البحر أو في الجو، تتنعمُ بنعم الله وبفضله؛ قال - تعالى -: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ [الملك: ٢١]، وقال: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٦].

فائدة: قولُ المصنف: **(الَّذِي رَبَّانِي)** يشيرُ إلى معنى من معاني الربوبية؛ وهو «التربية»، وتربيةُ الله لعباده تنقسمُ إلى قسمين: عامةٍ وخاصةٍ^(٣).

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١/١٤١) بتصرف.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٠٨).

(٣) «التحفة السنية شرح منظومة ابن أبي داود الحائية» (ص ٢٩).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

فالتربية العامة: تكون لجميع المخلوقات؛ بالإنعام، وبالصحة والعافية، وبالطعام والشراب والغذاء، وغير ذلك؛ فالله ﷻ رب العالمين، فكل ما يكون في المخلوقات من إنعام ورزق وغير ذلك؛ كله من الله ﷻ، كما قال - تعالى -: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، وقال - تعالى -: ﴿وَأَتَاكُمْ مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

والتربية الخاصة: تختص بأنبيائه وأوليائه وعباده الصالحين؛ بأن يربّيهم على الإيمان، ويوفّقهم لهذا الدين القويم، ويهديهم إلى صراط مستقيم، فهذه التربية من أعظم منن الله عليهم، قال الله - تعالى -: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧]، وقال - تعالى -: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَن أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَن هَدَيْكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧]. فالتوفيق للإيمان، والهداية للإسلام، والإعانة على طاعة الله تبارك وتعالى والسير على صراطه المستقيم؛ هذه كلها من تربية الله الخاصة التي يتفضل بها ﷻ على من يشاء من عباده، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.



شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ.

• **قوله** رَحِمَهُ: «وَهُوَ مَعْبُودِي»؛ أي: أن الإله الذي هذا شأنه هو الذي يَسْتَحِقُّ العبادة منك ومن الخلق أجمعين، ولا يكفي أن تُقَرَّ له بالربوبية فتقول: (رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي وَرَبِّيَ جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعْمِهِ)؛ بل لا بد أن تتوجَّه له بالعبودية، والألوهية، وأن تُخْلِصَ له العبادة، فهذا هو الفيصلُ بينك وبين مشركي قريش، الذين أقروا بتوحيد الربوبية، وأنكروا توحيد الألوهية، كما قال - تعالى - مخبرًا عن حالهم لما جاءهم نبيُّنا ﷺ يدعوهم إلى التوحيد وإلى عبادة العزيز الحميد دون ما سواه: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ (٤) أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَأَنْطَلِقُ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمْسُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَعَنَّا بِهَذَا فِي الْآخِرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقٌ ﴿٧﴾ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴿٨﴾ [ص: ٤ - ٨].

• **وقوله:** (لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ)؛ أي: مطلقًا؛ لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، وإذا كانت الألوهية منفية عن هؤلاء؛ فمن باب أولى نفيتها عن الأولياء الصالحين، فضلًا عمَّن دونهم؛ من الأحجار والأشجار والقبور، وغير ذلك.

وهذا دليلٌ من الأدلة العقلية على كون الله - تعالى - مستحقًا للعبادة دون ما سواه، وهو الذي أشار إليه المصنف رَحِمَهُ بقوله: (الَّذِي رَبَّانِي وَرَبِّيَ جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعْمِهِ).



شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

[الفاتحة: ٢].

الحمد في اللغة، هو: الشناء على المحمود، مع محبته وإجلاله^(١).

و«أل» في «الحمد» للاستغراق؛ أي: جميع المحامد ثابتة لله؛ ملكاً واستحقاقاً؛ فهو - سبحانه - المستحقُّ للحمد المطلق، وأما غيرُ الله - سبحانه - فيُحمدُ على قدر ما يفعلُ من الجميل، ومن الخير، وأما الحمدُ المطلقُ الكاملُ فهو لله **وَحْدَهُ**؛ لأن النعمَ كلَّها منه.

فائدة: تكلم شيخ الإسلام ابن القيم **رَحِمَهُ اللهُ** في «بدائع الفوائد» عن الفرق بين الحمد والمدح، فقال: «الفرق بين الحمد والمدح أن يُقال: الإخبارُ عن محاسنِ الغيرِ إما أن يكون إخباراً مجرداً من حُبٍّ وإرادةٍ، أو مقروناً بحبه وإرادته، فإن كان الأول؛ فهو المدحُ، وإن كان الثاني فهو الحمدُ، فالحمدُ إخبارٌ عن محاسنِ المحمودِ مع حبه وإجلاله وتعظيمه، ولهذا كان خبراً يتضمَّنُ الإنشاءَ، بخلاف المدح؛ فإنه خبرٌ مجردٌ، فالقائل إذا قال: «الحمدُ لله»، أو قال: «ربنا لك الحمد» تضمَّنَ كلامه الخبرَ عن كل ما يُحمدُ عليه - تعالى - باسم جامعٍ مُحيطٍ متضمِّنٍ لكل فردٍ من أفراد الحمد المحقَّقة والمقدَّرة، وذلك يستلزمُ إثباتَ كلِّ كمالٍ يُحمدُ عليه الربُّ - تعالى -، ولهذا لا تصلحُ هذه اللفظةُ على هذا الوجه ولا ينبغي إلا لمن هذا شأنه، وهو الحميدُ المجيد»^(٢).

(١) تهذيب اللغة» (٤/٢٥١).

(٢) «بدائع الفوائد» (٢/٩٣).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها



• **قوله - تعالى :- ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ؛ أي: جميع العوالم: عالم الإنس، وعالم الجن، وعالم الملائكة، وعالم الحيوان، والأشجار، والبحار، والأنهار، والكواكب، والنجوم والفلك، وغيرها ممَّا لا يُحصيه ولا يعلمه إلا الله ﷻ وحده، ولهذا لا يُقال: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إلا على الله - سبحانه وعز وجل - وحده.**



شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَكُلُّ مَنْ ^(١) سِوَى اللَّهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ، فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟

• **قوله:** (وَكُلُّ مَنْ سِوَى اللَّهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ)؛ أي: كلُّ شيء غير الله وَعَلَيْهِ السَّلَامُ من الأجناس المختلفة؛ من عالم الإنس، والجن، والحيوان، والبحار، والسموات، والنجوم؛ مخلوق، وأنا واحدٌ من هذه المخلوقات.

فهذا دليل ربوبيته - سبحانه -، وإذا كان كذلك؛ فهو - سبحانه - المستحقُّ للعبادة وحده، ولذلك تجدد بعد قوله - تعالى -: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، قوله - سبحانه -: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير هذه الآية: «قُدِّمَ المفعول، وهو «إِيَّاكَ»، وكُرِّرَ للاهتمام والحصر؛ أي: لا نعبدُ إلا إِيَّاكَ، ولا نتوكلُ إلا عليك، وهذا هو كمالُ الطاعة، والدينُ يرجعُ إلى هذين المعنيين» ^(٢)، ومعنى كلام الإمام ابن كثير: أن تقديم المفعول «إِيَّاكَ» وتأخير العامل «نَعْبُدُ» يدل على الحصر، فمعنى قولك: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ» يختلفُ عن معنى قولك: «نَعْبُدُكَ»؛ لأن قولك: «نَعْبُدُكَ» فيه إثباتُ العبادة فقط، لكن قولك: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ» يتضمَّنُ النفي والإثبات؛ أي: نعبدُكَ ولا نعبدُ غيرَكَ، والعبادة لا تصحُّ إلا مع النفي والإثبات، وهذا هو معنى «لا إله إلا الله».

• **قوله:** (بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟)؛ أي: إذا قيل لك: بأي شيء عرفتَ ربَّكَ الذي ربَّاكَ بنعمه؟ أي: ما الدليلُ على ذلك؛ لأنَّ مَنْ ادَّعى شيئاً

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ.

فعليه أن يقيم الدليل على دعواه، والربوبية تحتاج إلى معرفة، وتحتاج إلى علم؛ فالجواب: أن الدليل على ذلك نوعان؛ عقلي وشرعي، ولذلك أجاب الشيخ رحمه الله بقوله: (فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ).

والآيات: جمع آية، ومعنى الآية في اللغة: العلامة أو الأمارة^(١).

والآيات في الشرع تنقسم إلى قسمين^(٢):

أ- آيات شرعية: والقرآن مليء بالآيات الدالة على أن الواحد - سبحانه - هو الخالق، الرازق، المدبر لهذا الكون؛ قال - تعالى -: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ﴾ [فصلت: ٥٣]، وقال - تعالى -: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [غافر: ٦٢]، وقال - تعالى -: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، وقال - تعالى -: ﴿وَإِن تَعُدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨]، وقال - تعالى -: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، وقال - تعالى -: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ عَبْدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢١]، وقال - تعالى -: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٢]، وقال - تعالى -: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾ [الأنعام: ٢]، وقال - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦]، وقال - تعالى -: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥].

(١) «اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل» (ص ٢٠٣).

(٢) «شرح العقيدة الواسطية»، للعثيمين (١/ ١٢٤).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

ب - آيات كونية: وهي مخلوقاته ﷺ؛ كما قال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله: «فإن هذه العوالم العلويات والسُّفليات؛ لا بد لها من مُوجد أوجدَها، ويتصرَّف فيها ويدبِّرُها، ومُحال أن تُوجدَ بدون مُوجد، ومُحال أن تُوجدَ أنفُسُها. قال الله تبارك وتعالى في مقام إثبات الربوبية وتوحيد الألوهية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥ - ٣٦]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾؛ أي: من غير رب، ومعناه: أخلقوا من غير شيء خلقهم فوجدوا بلا خالق؟ وذلك ممَّا لا يجوز أن يكون؛ لأن تعلُّق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم، فلا بد له من خالق، فإن أنكروا الخالق لم يَجْزُ أن يُوجدوا بلا خالق، ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ لأنفسهم؛ وذلك في البطلان أشدُّ؛ لأن ما لا وجود له كيف يخلق؟ فإذا بطل الوجهان قامت الحُجَّةُ عليهم بأنَّ لهم خالقًا؛ فليؤمنوا به، ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، وهذا في البطلان أشدُّ وأشدُّ؛ فإن المسبوق بالعدم يستحيل أن يُوجد بنفسه فضلاً عن أن يكون مُوجدًا لغيره، وهذا إنكارٌ عليهم في شركهم بالله ﷻ وهم يعلمون أنه الخالق لا شريك له، ﴿بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾؛ أي: ولكنَّ عدمَ إيقانهم هو الذي يَحْمِلُهُمْ على ذلك.

وعن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلمَّا بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ (٣٦) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكِ أَمْ هُمُ الْمُصَيِّطُونَ﴾ [الطور: ٣٥ - ٣٧]، كاد قلبي أن يطير^(١).

(١) «معارج القبول» (١/٩٩).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

ومن الإشارة إلى الآيات الكونية قوله - تعالى - : ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١]، وقوله ﷻ : ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

قال بعض العلماء: انظر إلى السماء من رَفَعِهَا، وإلى الأرض من بَسَطِهَا، وإلى النجوم والكواكب، وإلى الرياح كيف تقود تلك القوارب، هذا الخلق كله إنما يدلُّ على خالقٍ مُبدِعٍ له ﷻ. قيل لبعض الأعراب: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ فقال: البَعْرَةُ تدلُّ على البعير، وآثَارُ الخُطَى تدلُّ على المسير؛ فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج، كيف لا تدلُّ على العلي الكبير؟ وقد أشارت الرسل ﷺ إلى هذا المعنى في قوله ﷻ : ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠].

وقد خطب قسُّ بن ساعدة في سوقِ عكاظ ذات يوم؛ فقال: «آياتٌ محكماتٌ؛ ومطرٌ ونباتٌ، وآباءٌ وأمّهاتٌ، وذاهبٌ وآتٌ، وضوءٌ وظلامٌ، وبرٌّ وآثامٌ، ولباسٌ ومركبٌ، ومطعمٌ ومشربٌ، ونجومٌ تمورٌ، وبحورٌ لا تغورٌ، وسقفٌ مرفوعٌ، ومهادٌ موضوعٌ، وليلٌ داجٌ، وسماء ذات أبراجٌ، ما لي أرى الناسَ يموتون ولا يرجعون؟ أرَضُوا فأقاموا، أم حَبَسُوا فناموا؟»^(١).



(١) انظر: «البيان والتبيين» (ص ٢٥٣ - ٢٥٤).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ،

المصنف رَحِمَهُ اللهُ يستدلُّ هنا على الآيات الكونية بذكرها في الآيات القرآنية، ولذلك قال رَحِمَهُ اللهُ: **(ومن آياته: الليل والنهار...)** إلخ.

فهذه آياتٌ مشاهدةٌ بالعين المجردة: «الليل والنهار، والشمس والقمر، والسماء والأرض، والجبال والبحار» وإنما سُميت آياتٍ لأنَّ بها دلالاتٍ على خالقها رَحِمَهُ اللهُ.

قال أبو العتاهية^(١):

فيا عجباً كيف يُعصى الإلَهْ هُ أم كيف يَجحدُه الجاحدُ؟
وللهِ في كلِّ تحريكَةٍ وفي كلِّ تسكينَةٍ شاهدُ
وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ تدلُّ على أنه واحدُ
فيا للعجب! كيف يَجحدُ المخلوقُ الضعيفُ ربهَ رَجُلًا؟! تجدُ
المُليحِدَ يقولُ: لا يوجدُ إلَهٌ، وهذا الكونُ وُجدَ وحده من دون خالق!

سبحان الله! ألم يسمعوا قولَ الله رَحِمَهُ اللهُ وهو يخاطبُ العقولَ: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «فإن كان عندهم شكٌ واشتباهٌ، وجعلوا له شركاءَ زعموا أنهم خلقوا كخلقه وفعلوا كفعله، فأزل عنهم هذا الاشتباه واللبس بالبرهان الدالُّ على توحيده الإله بالوحدانية، فقل لهم: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾؛ فإنه من المحال أن يَخْلُقَ شيءٌ من الأشياء نفسه، ومن المحال أيضاً أن يُوجدَ من دون خالق، فتعيَّن أنَّ لها إلهاً

(١) «صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال» (١/١٤١).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

خالقًا لا شريك له في خلقه؛ لأنه الواحد القهار، فإنه لا توجد الوحدة والقهر إلا لله وحده، فالمخلوقات وكل مخلوق فوقه مخلوق يقهره، ثم فوق ذلك القاهر قاهر أعلى منه، حتى ينتهي القهر للواحد القهار، فالقهر والتوحيد مُتلازمان متعينان لله وحده، فتبين بالدليل العقلي القاهر أن ما يدعى من دون الله ليس له شيء من خلق المخلوقات؛ وبذلك كانت عبادته باطلة^(١).

وقوله: (الليل والنهار) فيه إشارة إلى أعظم مخلوقات الله ﷻ وإلى آتئهما: الشمس والقمر؛ فالليل ظلام دامس يحل في سماء الأفق، والنهار فجر ساطع، يكسو السماء بنوره، قال ﷻ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَوْ لَآ تَسْمَعُونَ﴾ (٧٦) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَوْ لَآ تَبْصُرُونَ﴾ (٧٧) وَمَنْ رَحِمْتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْصُرُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص: ٧١ - ٧٣].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: «يَقُولُ - تَعَالَى - مِمَّنَّا عَلَى عِبَادِهِ بِمَا سَخَّرَ لَهُمْ مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، الَّذِينَ لَا قِيَامَ لَهُمْ بِدُونِهِمَا، وَبَيَّنَّ أَنَّهُ لَوْ جَعَلَ اللَّيْلَ دَائِمًا عَلَيْهِمْ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ لَأَضَرَّ ذَلِكَ بِهِمْ، وَلَسِئِمَتِهِ النَّفُوسُ وَانْحَصَرَتْ مِنْهُ، وَلِهَذَا قَالَ ﷻ: ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَوْ لَآ تَسْمَعُونَ﴾ [القصص: ٧١]؛ أَي: تُبْصِرُونَ بِهِ،

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص ٤١٥ - ٤١٦).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وتستأنسون بسببه، ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾، ثم أخبر أنه لو جعل النهار سرمدًا دائمًا مستمرًا إلى يوم القيامة؛ لأضرَّ ذلك بهم، وَلَتَعَبَتِ الْأَبْدَانُ وَكَلَّتْ من كثرة الحركات والأشغال؛ ولهذا قال: ﴿مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ لَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [القصص: ٧٢]؛ أي: تستريحون من حركاتكم وأشغاليكم، ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ﴾؛ أي: بكم ﴿جَعَلَ لَكُمْ لَيْلَ وَالنَّهَارَ﴾؛ أي: خلق هذا وهذا، ﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾؛ أي: في الليل، ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾؛ أي: في النهار؛ بالأسفار والترحال، والحركات والأشغال، وهذا من باب اللَّفِّ والنَّشْرِ^(١). وقوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾؛ أي: تشكرون الله بأنواع العبادات في الليل والنهار، ومن فاته شيء بالليل استدركه بالنهار، أو بالنهار استدركه بالليل؛ كما قال ﷺ: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢]، والآيات في هذا كثيرة^(٢).

وجعل الله الليل والنهار يتعاقبان منتظمين لا يتخلف واحد منهما ولا يتغير، على نظام واحد؛ سنة كونية، حتى يأتي أمر الله يوم القيامة؛ فعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ لأبي ذر حين غربت الشمس: «أتدري أين تذهب؟»، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها، ويؤشك أن تسجد، فلا يقبل

(١) اللف والنشر: مصطلح بلاغي، معناه: أن تذكر شيئين، ثم تتبعهما ما يتعلق بكل واحد منهما من غير تعيين، ثقة بأن السامع يرد كلاً منهما إلى ما هو له، ينظر: «مفتاح العلوم»، للسكاكي (ص ٦٦٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٢٥٦/٦).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ،

منها، وتَسْتَأْذِنُ فلا يؤذَنَ لها، يُقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتَطْلُعُ من مغربها، فذلك قوله - تعالى -: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨] ^(١).

فاقتضت حكمة الحكيم ﷺ أن يكون الليل والنهار مستمرين لا يتعطل واحد منهما ﴿صَنَعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]، إذ لو تعطل أحدهما لحظة واحدة لتعطلت مصالح الخلق كلهم.

• **قوله: (وَالشَّمْسُ)**، وهو: كوكبٌ مضيءٌ نهارياً.

• **وقوله: (وَالْقَمَرُ)**، وهو: كوكبٌ عاكسٌ لضوء الشمس.

فكلاهما كوكبٌ، وكلاهما يُوصلُ الضوء للناس في طرقهم.

فالشمسُ نعمة عظيمة من نعم الله، ونورها وضياؤها من أسباب استمرار الحياة ومصالح الناس، من نماءٍ ومعاشٍ.

والقمرُ أيضاً له فوائده، ومن أهمها معرفة حساب الأيام والشهور والسنين؛ كما قال - تعالى -: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥]، وقال - تعالى -: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ﴾ [البقرة: ١٨٩]، ففي الأهلة مصلحة عظيمة؛ لمعرفة المواقيت والآجال، ولا سيما ما يتعلق بالعبادات؛ من حساب دخول الشهر، والصيام، والحج، والعِدَد للنساء، وغير ذلك.

(١) أخرجه البخاري (٣١٩٩).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ: السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ، وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ، وَمَا فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَهُمَا، وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

ثم قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: (وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ: السماوات السبع، والأرضون السبع، وما فيهنَّ، وما بينهما)، والآيات في القرآن الكريم عن خلق السماوات والأرض كثيرة جدًا؛ فمن ذلك قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارُ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقوله رَحِمَهُ اللهُ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]، وغير ذلك.

فالله رَحِمَهُ اللهُ خلق هذا الكون، وجعله سبع سماوات، لكل سماء سُكَّانٌ وَعُمَرَاءٌ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ رَحِمَهُ اللهُ، وكذلك خلق - سبحانه - الأرضين السبع، وما فيها من أنهار وأشجار وبحار، وخلق كثير لا يعلمهم إلا هو - سبحانه -.

فما ذكره المصنف رَحِمَهُ اللهُ من الآيات ومن المخلوقات؛ كله دلائل عقلية - كما ذكرنا - تدلُّ على أَنَّ هناك خالقًا رَحِمَهُ اللهُ، وتدلُّ أيضًا على صفات الخالق رَحِمَهُ اللهُ؛ من كمال القدرة، وكمال الحكمة، وكمال الرحمة.

وهذا هو وجه المناسبة في الآية التي ذكرها المصنف رَحِمَهُ اللهُ بعد ذلك، وهو قوله رَحِمَهُ اللهُ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾،

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

والمقصودُ بذلك: إبطالُ الشركِ والنهي عنه؛ لأنَّ المشركين منهم مَنْ كان يعبدُ الشمسَ، ومنهم مَنْ كان يعبدُ النجومَ والكواكبَ، وغيرَ ذلك من المخلوقات العظيمة؛ فإذا كانت هذه المخلوقات العظيمة في وصفها الكبيرة في حجمها؛ قد نهى الله عن السجود لها، فما بال الوليِّ والقبر والحجر وغير ذلك؟ ألا يكونُ النهي عن السجود والعبادة لهذه الأشياء من باب أولى؟

فائدة: قال الشيخُ صالح آل الشيخ - حفظه الله -: «والشيخ رحمه الله هاهنا فرّق بين الآيات والمخلوقات، مع أنه في القرآن ما يُثبت أن السماوات والأرض من الآيات، فلماذا فرّق؟

فالجواب: أن تفريقَ الشيخ رحمه الله بينهما دقيقٌ جدًّا؛ وذلك أن الآياتِ جمعُ آية، والآية هي البيّنة الواضحة الدالة على المراد، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٨]؛ يعني: دلالةً بيّنة واضحة على المراد منها، وهنا ننظرُ إلى أنه بالنسبة لمن سئل هذا السؤال: كون الليل والنهار والشمس والقمر آيةً أظهرُ منه عند هذا المسؤول أو المجيب من السماوات والأرض، لماذا؟ لأنَّ تلكُمُ الأشياء التي وُصفت بأنها آياتٌ؛ متغيرةٌ متقلّبة، تذهبُ وتجيءُ، أما السماءُ؛ فهو يُصبح ويرى السماءَ، ويصبح ويرى الأرضَ، فإلْفُه للسماء والأرض يحجُبُ عنه كون هذه آياتٍ، لكنَّ الأشياءَ المتغيرة التي تذهب وتجيءُ، هذه أظهرُ في كونها آيةً، ولهذا طلب إبراهيمُ الخليل عليه السلام الاستدلالَ بالمتغيرات؛ ﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلُكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَيَكُوْنُ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ﴾ (٧٥) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِيْنَ ﴿٧٦﴾

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٥﴾ [الأنعام: ٧٥ - ٧٧]، لماذا؟ لأنه استدل بهذه الحركة على الحدوث، واستدل بهذا التنقل على أنه آية لغيره^(١).

وقد يُقال أيضًا: إِنَّ عطفَ المخلوقات على الآيات، في قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «بآياته ومخلوقاته»؛ من بابِ عطفِ الخاصِّ على العامِّ؛ لأن المخلوقات من الآيات.



(١) «شرح ثلاثة الأصول»، للشيخ صالح آل الشيخ، (ص ٦١ - ٦٢).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَقَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

بعدما ذكر المصنف رحمه الله النهي عن الشرك، ذكر إثبات الربوبية والعبادة للمولى عليه السلام؛ لأنَّ قوله عليه السلام: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، لا يوجد له مخالف ولا معارض ولا شك.

﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ﴾؛ أي: أنَّ المولى عليه السلام خلق هذه المخلوقات العظيمة الهائلة في ستة أيام، مع أنه قادرٌ على أن يخلقها في لحظة، ولكنه فعل ذلك لحكمة يعلمها هو عليه السلام.

﴿يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُا﴾؛ أي: أنه بعدما تشرق الشمس، ويحلُّ النور، وينتشر النهار، وتكون السماء مضيئة؛ يأتي الليل فيغطي ذلك النهار بظلامه، ويذهب ضياءه سريعاً، وهكذا يتعاقب الليل والنهار في تنظيمٍ وقتيٍّ مُتَقَنٍّ من لدنه عليه السلام لا تجد فيه اختلافاً ولا تقدماً ولا تأخراً، فلكلٍّ منهما ميعاده الذي قدره الله له؛ ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠].

﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾؛ الخلق: هو الإيجاد من عدم؛ والله عليه السلام هو المتفرد بالخلق، فهو عليه السلام يخلق ما يشاء في أي وقت يشاء، وإذا تفرد عليه السلام بالخلق، فهو أيضاً المتفرد بالأمر.

والأمر نوعان: كوني وشرعي ^(١).

(١) «فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد» (ص ٦٥)، و«شرح ثلاثة الأصول»، لصالح الفوزان (ص ١١٦).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَالرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ، وَالِدَلِيلُ: قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ

فَالْكُونِي: هو الأمرُ القدري الذي يقول الله فيه للشيء: كن فيكون؛ مثلُ قوله - تعالى -: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

والشرعي: هو الوحي المنزل من السماء على نبيه ﷺ الذي يأمر فيه عباده بطاعته، واجتناب ما نهى عنه.

• **قوله: (والربُّ هو المعبود)؛ أي:** هو المستحقُّ ﷻ لأن يُعبدَ دون ما سواه، فلا يكفي الإنسان أن يُقرَّ لله بالربوبية؛ بل لا بد أن يتوجَّه بالعبودية له ﷻ، ويعملَ بمقتضاها مخلصًا له - سبحانه - وفق ما أنزله المولى - سبحانه - من شرعٍ على نبيه محمدٍ ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ الآية، جمعت هذه الآية - بعدما بيَّنت عظمة الله في خلقه السماوات والأرض - بين الأمر بعبادة الله وحده والنهي عن عبادة ما سواه؛ فقال - سبحانه -: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾، ف«اعْبُدُوا» فعلٌ أمرٌ؛ أي: أخلصوا له العبادة؛ لأنه ربُّكم.

قال إمامُ المفسِّرين ابنُ جرير الطبري رَحِمَهُ اللهُ في هذه الآية بعد أن ذكرَ تفسيرَ ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا لها: «والذي أرادَ ابنُ عباسٍ - إن شاء الله - بقوله في تأويل قوله: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ وحْدوه؛ أي: أفردوا الطاعة والعبادة لربكم دون سائر خلقه»^(١).

(١) «تفسير الطبري» (١/ ٣٦٣).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

الْتَمَرَتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿البقرة: ٢١ - ٢٢﴾ قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -: الْخَالِقُ لِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ.

ثم نقل المصنف قول ابن كثير^(١) رَحِمَهُ اللَّهُ: (الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة).

قال ابن كثير: «عن ابن عباس: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؛ أي: لا تُشركوا بالله غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر، وأنتم تعلمون أنه لا ربَّ لكم يرزقكم غيره، وقد علمتم أن الذي يدعوكم إليه الرسول ﷺ من توحيده؛ هو الحق الذي لا شك فيه»^(٢).

وهذا أول أمر وأول نهى في كتاب الله؛ فقد أمر الله ﷻ بعبادته بالتوحيد؛ لأنه أعظم واجب، ونهاهم عن الشرك؛ لأنه أعظم ذنب؛ فعن عبد الله بن مسعود قال: سألت النبي ﷺ: أيُّ الذنب أعظم عند الله؟ قال: «أن تجعلَ لله ندًّا وهو خالقك»^(٣).

فهذه الآية التي استدلل بها المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ فيها إشارة إلى البراهين العقلية التي تنقض الشرك والإلحاد معًا، ففيها تقرير أن الله هو الخالق الرازق المدبّر لهذا الكون، ومن كانت هذه صفته فهو المستحق للعبادة.

(١) لم أجد هذا الكلام في تفسير ابن كثير بهذا النص، ولكن بالمعنى.

(٢) «تفسير القرآن العظيم»، لابن كثير (١/١٩٥).

(٣) أخرجه البخاري (٤٧٦١).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا...

بعد أن بين المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ الرَّبَّ هُوَ الْمَعْبُودُ؛ كَانَ مِنَ الْمُنَاسِبِ أَنْ يَذْكَرَ أَنْوَاعَ الْعِبَادَةِ الَّتِي يُعْبَدُ اللَّهُ وَحْدَهُ بِهَا، وَيَجِبُ إِفْرَادُهُ بِهَا.

• **قوله: (وأنواع العبادات التي أمر الله بها)** تنبيه على أن هذه الأمور الثلاثة «التي سيأتي ذكرها؛ وهي: الإسلام والإيمان والإحسان» هي أعظم مراتب الدين، وأعظم أنواع العبادات؛ كما هو مبين في حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ المشهور.

والعبادات ثلاثة أنواع^(١):

الأول: عبادات قلبية؛ أي: التي تكون بالقلب؛ كالخوف، والرجاء، والتوكل، والمحبة، وأكثر العبادات من هذا النوع.

الثاني: عبادات قولية؛ أي: التي تكون باللسان؛ كالذكر، والدعاء.

الثالث: عبادات بدنية؛ أي: التي تكون بسائر الجوارح؛ كالصيام، والحج، والزكاة.



(١) «المفيد في مهمات التوحيد» (ص ٩٥).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

مثلُ: الإسلام، والإيمان، والإحسان.

شرح الشيخ رحمه الله هنا في ذكر أمثلة على العبادة، فقال: **(مثلُ: الإسلام، والإيمان، والإحسان)**، وهذه الثلاثة هي أعظم العبادات، وسيأتي شرحها في كلام الشيخ رحمه الله في الأصل الثاني، عند قوله: «ومعرفة دين الإسلام بالأدلة».

وهذه النماذج من العبادات التي أوردها الشيخ رحمه الله من باب التمثيل لا الحصر؛ لأن العبادات أكثر مما ذكره، ولا يمكن استيعابها في رسالة مختصرة كهذه، ولشيخ الإسلام ابن تيمية رسالة مستقلة موسومة بـ«العبودية»، تكلم فيها عن العبادة، وأنواعها، وبيان الانحرافات التي تحصل فيها من الصوفية أو غيرهم، وهي رسالة نفيسة ينبغي لطالب العلم أن يقرأها ويحرص على ضبط مسائلها.



شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَمِنْهُ: الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ،
وَالرَّهْبَةُ، وَالْحُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالْإِنَابَةُ، وَالِاسْتِعَانَةُ، وَالِاسْتِعَاذَةُ،
وَالِاسْتِعَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي
أَمَرَ اللَّهُ بِهَا؛ كُلُّهَا لِلَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، وَالِدَلِيلُ: قَوْلُهُ - تَعَالَى -:
﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ

العبادات التي ذكرها المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ هُنا، بعضها من الأقوال، وبعضها من الأفعال، وبعضها ظاهر، وبعضها باطن، وبعضها لسانِي، وبعضها قلبي، وبعضها فعلي قلبي، وبعضها من عمل الجوارح؛ فهي نماذج متنوعة من العبادات، وسيأتي إن شاء الله - تعالى - تفصيلها بأدلتها ومعانيها؛ لأن المؤلف ذكرها أولاً مجملَةً، ثم أورد على كل عبادة دليلها مفصلاً.

• **قوله: «كُلُّهَا لِلَّهِ»؛ أي: كلُّ أنواع العبادات - مما ذكرها هنا، وما لم يذكر - لله وحده لا شريك له، ولا يحلُّ صرفُ شيء منها لغيره رَحِمَهُ اللَّهُ.**

• **وقوله - تعالى -: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ﴾، استدلال به الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ على كون العبادة حقاً لله - تعالى -، ولا يجوزُ صرفُها لغيره. والشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا جارٍ على طريقة أهل العلم، وعلى جادة السلف الصالح، يذكرون المسألة مضمومةً إليها دليلها؛ إما من كتاب الله ﷻ وإما من سنة نبيه - صلوات الله وسلامه عليه - فهم لا يأتون بشيء من عند أنفسهم، ولا يخترعون الأدلة، وحاشاهم من ذلك.**

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ﴾، قيل: المرادُ بها أماكنُ السجود، وهي البقاعُ التي تُقام الصلاةُ بها، وعليه؛ فالمعنى: أنها إنما بُنيت لعبادة الله وحده، فلا تعبدوا فيها غيره.

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ [الجن: ١٨].

وقيل: المراد بالمساجد أعضاء السجود: الجبهة، والأنف، واليدين، والركبتان، وأطراف القدمين، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظُمٍ: عَلَى الْجَبْهَةِ - وَأَشَارَ بِيَدِهِ عَلَى أَنْفِهِ - وَالْيَدَيْنِ، وَالرَّكْبَتَيْنِ، وَأَطْرَافِ الْقَدَمَيْنِ»^(١)، وعليه؛ فالمعنى: فلا يَسْجُدْ لغيره^(٢).

﴿لِلَّهِ وَحْدَهُ - سُبْحَانَهُ - لَا شَرِيكَ لَهُ.

﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾، وهذا يشمل النهي عن دعاء المسألة ودعاء العبادة؛ إذ إن الدعاء عبادة.

﴿أَحَدًا﴾ نكرة في سياق النهي؛ فتعم كل أحد، ولا يستثنى شيء من هذا العموم؛ لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، ولا صنم، ولا وثن، ولا قبر، ولا شيخ، ولا ولي، ولا حي، ولا ميت، كائنًا من كان؛ لأنها تعم كل من دعي من دون الله. ففي الآية دليل على أن العبادة لا تنفع إلا مع التوحيد، وأنها إذا خالطها الشرك تبطل وتكون وبالاً على صاحبها.

فلا يجوز أن تتخذ المساجد للشرك ودعوة غير الله؛ بأن تُقام على القبور؛ بل يجب النهي عن ذلك، ويجب أن تُطهر أيضًا من بدع الروافض الغلاة، والصوفية المبتدعة، ومن كل أنواع البدع والشرك والمعاصي؛ لأنها لله وحده - سبحانه -.

«فائدة»: الدعاء يأتي في القرآن على معنيين^(٣):

- (١) أخرجه البخاري (٨٠٩).
- (٢) «حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول» (ص ٧٢).
- (٣) «مجموع الفتاوى» (١٥/١٠).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

الأول: دعاء المسألة والطلب؛ أي: طلب ما ينفع الداعي؛ من جلب نفع أو دفع ضرر.

الثاني: دعاء العبادة؛ أي: بأي نوع من أنواعها التي ليس فيها سؤال ولا طلب؛ كأن يتعبد للمدعو طلباً لثوابه أو خوفاً من عقابه، وهذا لا يصح صرفه لغير الله؛ لأن ذلك شرك أكبر مخرج من الملة.

والدعاء في قوله: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ شامل للمعنيين: دعاء العبادة، ودعاء المسألة؛ فلا يصح قصر النهي في الآية على دعاء المسألة والطلب فقط دون دعاء العبادة، أو العكس؛ بل النهي في الآية يشمل النوعين؛ ويدل على ذلك قوله - تعالى -: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، وجه الدلالة: أنه فسر الدعاء بأنه عبادة، وكذلك قوله - تعالى - على لسان الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤٨]، ثم قال ﷺ بعد ذلك، ﴿فَلَمَّا أَعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٤٩].

ففي الآية الأولى أخبر عن إبراهيم عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾؛ فدل ذلك على أن إبراهيم عليه السلام حين قال: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾ قصد: وما تعبدون.

والحاصل: أن المولى ﷺ أمر عباده بإخلاص الدعاء له وحده في العبادة، والإخلاص عمل قلبي لا يصلح إلا لله ﷻ كما قال - تعالى -:

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ
فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ
دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا
هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ [الزمر: ١ -
٣]، وكما قال - تعالى - : ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ [الزمر: ١٤].



شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللَّهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ.

• **قوله: (فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا)؛ أي:** مَنْ تَوَجَّهَ بِشَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ تِلْكَ الْعِبَادَاتِ لِغَيْرِ اللَّهِ **(فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ)**، والمقصودُ بالشرك هنا هو الأكبرُ، ومنه قوله ﷺ: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِلهِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ [المائدة: ٥]، وقوله ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَحَبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]؛ فجعلَ الشركَ بالله - تبارك وتعالى - مُبْطِلًا لِلْأَعْمَالِ، مُحْبِطًا لَهَا، وهذه قاعدةٌ كبرى في التفريق بين أنواعِ الشرك؛ يَتَمَيَّزُ بها الشركُ الأكبرُ عن غيره، فالأكبرُ أنْ تُصَرِفَ أَيَّ عِبَادَةٍ لِغَيْرِ اللَّهِ وَتَعْبُدَ.

وقد سبق بيانُ أقسامِ الشرك، والكلامُ عنها بالتفصيل، ولكن لا بأسَ من ذكرِ تقسيمٍ آخَرَ للشرك ذكره الشيخُ صالح آل الشيخ - حفظه الله - فقال:

«والشركُ أقسامٌ، والعلماءُ يَقْسِمُونَ الشركَ باعتباراتٍ مختلفةٍ:

فتارةً يُقَسِّمُ الشركَ إلى: شركٍ ظاهرٍ، وشركٍ خفي.

وتارةً يُقَسِّمُ الشركَ إلى: شركٍ أكبرٍ، وشركٍ أصغرٍ.

وتارةً يُقَسِّمُ الشركَ إلى: شركٍ أكبرٍ، وشركٍ أصغرٍ، وخفيٍّ.

وهذه تقسيماتٌ معروفةٌ عند العلماء، وكلُّ تقسيمٍ باعتبارٍ، وهي تلتقي في نتيجة كلِّ قِسْمٍ والتعريفِ، لكنه اختلافٌ في التقسيمِ باعتباراتٍ مختلفة.

فمثلاً: مَنْ يَقْسِمُونَ الشركَ إلى: ظاهرٍ وخفيٍّ، إلى: جليٍّ وخفيٍّ؛ فيكونُ الجليُّ منه ما هو أصغرُ، ومنه ما هو أكبرُ؛ الجليُّ: الظاهرُ الذي يُحَسُّ؛ مثل الذبح لغير الله والنذر لغير الله، هذا جليٍّ، هذا من نوع

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها



الشرك الأكبر، هو جلي أكبر، كذلك مثل الاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، كذلك هذه من أنواع الشرك الجلي الأكبر. الحلف بغير الله - تعالى - شرك جلي، ولكنه أصغر. هذا قسم: شرك جلي، قسيمه: الشرك الخفي؛ منه ما هو أكبر كشرك المنافقين؛ فإن شركهم خفي لم يُظهروه، وإنما أظهروا الإسلام، فما قام في قلوبهم من التنديد والشرك صار خفيًا؛ لأنهم لم يُظهروه، فهو شرك خفي، ولكنه أكبر.

وهناك شرك خفي أصغر؛ مثل يسير الرياء؛ فإن كان الرياء كاملاً، كان ذلك شركاً أكبر؛ كشرك المنافقين، وإن كان يسيراً كتصنع المرء للعبادة لمخلوقٍ مثله لغير الله؛ فهذا إذا كان يسيراً؛ فإنه شرك أصغر خفي.

هذا نوع من أنواع التقاسيم.

بعض العلماء يقول: الشرك قسمان: أكبر وأصغر؛ فإذا كان أكبر؛ قسّم الأكبر إلى: جلي وخفي، وقسّم الأصغر إلى: جلي وخفي.

والأوضح أن يُقسّم إلى ثلاثة: إلى أكبر، وأصغر، وخفي؛ ويكون الخفي مثل يسير الرياء، والأصغر مثل الحلف بغير الله، وتعليق التائب، ونحو ذلك، والأكبر مثل الذبح، والنذر، والاستغاثة، ودعاء غير الله ﷻ^(١).

فمن صرف شيئاً من العبادة لغير الله ﷻ فإنه يكون بذلك مشركاً؛ إذ العبادة حق الله - تعالى -، فمن جعل شيئاً من هذا الحق الخالص لله ﷻ لغيره؛ فقد وقع في الشرك - والعياذ بالله! -.

(١) «شرح ثلاثة الأصول»، للشيخ صالح آل الشيخ (ص ٧٥ - ٧٦).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

• **قوله - تعالى -: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ﴾** استدلل به المصنف على أن من دعا غير الله، أو صرف شيئاً من أنواع العبادة لغيره **وَعَجَلَ** فهو مشرك كافر، وقوله - تعالى -: ﴿لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ بيان لحقيقة من دعا مع الله **وَعَجَلَ** غيره؛ أنه لا برهان له على ذلك أصلاً؛ والبرهان: هو الدليل الذي لا يترك في الحق لبساً عند السامع، وهو أقوى من الدليل والحجة؛ لأن الدليل قد يكون ظنيّاً، أما البرهان فهو دليل قطعي؛ ولهذا يطلق عليه برهان^(١)؛ لأنه مأخوذ من الفعل «أَبَرَه»؛ يقال: أبَرَه الرجل؛ إذا غلب وأتى بالعجائب^(٢)، والدليل على كفر من دعا أحداً مع الله قوله **وَعَجَلَ** في الآية نفسها: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾.

وقوله - سبحانه -: ﴿لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، هذه صفة كاشفة مبينة للأمر، وليست صفة مقيدة تُخرج ما عليه برهان؛ لأنه لا يمكن أن يكون برهان أصلاً على أن مع الله إلهاً آخر.

وَمَنْ دعا غير الله **وَعَجَلَ** فإن جزاءه جهنم خالداً فيها، فلا فلاح له، ولا توفيق؛ قال - تعالى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ [النساء: ٤٨]، وقال - تعالى -: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].



(١) «حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول» (ص ٧٣).

(٢) «لسان العرب»، مادة: (بره)، (١٣/٤٧٦).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَفِي الْحَدِيثِ: «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ».

• **قوله: (وفي الحديث: «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ»)**؛ هذا شروع من المصنف رَحِمَهُ اللهُ في تفصيل الأدلة على أنواع العبادة التي سبق عَدُّها مجملَةً؛ وأما الإسلام والإيمان والإحسان فستأتي أدلتها مفصلةً في الأصل الثاني.

وإنما بدأ المصنف بالدعاء لأنه أهمُّها.

والدعاء - كما قلنا سابقًا - **على قسمين**: دعاء عبادة، ودعاء مسألة.

فدعاء العبادة: هو توجُّه العبدِ إلى الله - تعالى - بأنواع العبادات؛ من الصلاة، والذبح، والنذر، والصيام، والحج وغيرها، خوفًا وطمعًا، يرجو رحمته، ويخافُ عذابه، وإن لم يكن في ذلك صيغة سؤالٍ وطلبٍ؛ فالعابدُ: هو الذي يريدُ الجنة، ويهربُ من النار، وهو سائلٌ راغب راهب، يرغبُ في حصول مُرادِهِ، ويرهبُ من فَوَاتِهِ، وهو سائلٌ لما يطلبه بامثال الأمرِ في فعل العبادة^(١).

ودعاء المسألة: هو طلبُ شيءٍ من الله وَجَلَّ؛ كطلب الهداية، وطلب الرزق، وطلب العلم، وطلب التوفيق، كما في قوله - تعالى -: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦ - ٧].

وهذان النوعان من الدعاء متلازمان؛ كما بيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية، فقال رَحِمَهُ اللهُ: «الدعاء في القرآن يُرادُ به هذا تارةً، وهذا تارةً، ويُرادُ

(١) «تيسير العزيز الحميد» (ص ١٨٦).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

به مجموعهما؛ وهما متلازمان؛ فإن دعاء المسألة: هو طلب ما ينفع الداعي، وطلب كشف ما يضره ودفعه، وكل من يملك الضر والنفع فإنه هو المعبود، لا بد أن يكون مالكا للنفع والضر، ولهذا أنكر - تعالى - على من عبد من دونه ما لا يملك ضرا ولا نفعاً، وذلك كثير في القرآن؛ كقوله - تعالى -: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [يونس: ١٠٦]، وقال: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ [يونس: ١٨]، فنفي - سبحانه - عن هؤلاء المعبودين الضر والنفع القاصر والمتعدي، فلا يملكون لأنفسهم ولا لعابديهم.

وهذا كثير في القرآن، يبين - تعالى - أن المعبود لا بد أن يكون مالكا للنفع والضر؛ فهو يدعو للنفع والضر دعاء المسألة، ويدعو خوفاً ورجاءً دعاء العبادة؛ فعلم أن النوعين متلازمان، فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة. وعلى هذا فقولُه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، يتناول نوعي الدعاء، وبكل منهما فسرت الآية؛ قيل: أعطيه إذا سألني، وقيل: أئيبه إذا عبدني، والقولان متلازمان، وليس هذا من استعمال اللفظ المشترك في معنييه كليهما، أو استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه؛ بل هذا استعماله في حقيقته المتضمنة للأمرين جميعاً، فتأمل؛ فإنه موضوع عظيم النفع، وقل ما يُفطن له^(١).

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٥/١٠١١).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

والحديث الذي استدلل به المصنف - وإن كان فيه ضعف من جهة السند - صحيح المعنى، وله شواهد يعتضد بها؛ منها: حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله - تعالى -: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، قال: «الدعاء هو العبادة»، وقرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿دَاخِرِينَ﴾^(١).

فقوله: (مُنْعُ الْعِبَادَةِ)؛ أي: لُبُّهَا؛ ومنح كل شيء: لُبُّهُ وخُلَاصَتُهُ، فإذا كان الإنسان لا يقوم إلا بمخه، فكذلك العبادة لا تقوم إلا بمخها، وهو الدعاء^(٢).

والمقصود من الحديث: أن الدعاء هو ركنُ العبادة الأعظم، وليس المقصود حصر العبادة فيه دون سواه، ونظيره حديث: «الحج عرفة»؛ فعن عبد الرحمن بن يعمَرَ أن ناسًا من أهل نجد أتوا رسولَ الله ﷺ وهو بعرفة، فسألوه، فأمر منادياً فنادى: «الحج عرفة»^(٣)، فظاهر هذا اللفظ أن أعمال الحج مقصورة على الوقوف بعرفة، وأنه هو الحج كله؛ لأن تعريف الخبر يدل على حصر المبتدأ فيه كما هو مقرر في علم المعاني، ولكن هذا ليس مراداً؛ وإنما المقصود: أن عرفة ركنُ الحج الأعظم والأهم فيه، فكذلك حديث «الدعاء هو العبادة»^(٤)، معناه: أن الدعاء هو ركنُ العبادة الأعظم؛ ولذلك جاء الحديث بهذه الصيغة مع ضمير الفصل «هو»؛ لأن في هذا دلالة على عظم مكانة الدعاء بين العبادات.

(١) أخرجه أبو داود (١٤٧٩).

(٢) «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (١٥٢٧/٤).

(٣) أخرجه أبو داود (١٩٤٩). (٤) أخرجه أبو داود (١٤٧٩).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].



استدل المصنف رَحِمَهُ اللهُ بِهذه الآية الكريمة على تلك العبادة العظيمة «الدُّعَاءِ»، ووجهُ الدلالة: أن الله ﷻ سَمَّى الدعاء عبادةً، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾؛ أي: عن دعائي.

• وقوله: ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾؛ أي: أذلاء صاغرين؛ جزاء لاستكبارهم عن عبادة الله رب العالمين.

فالدُّعَاءُ من أَجَلِّ العبادات التي يُتَقَرَّبُ بها إلى الله ﷻ ولا يجوزُ صرفه لغير الله؛ فَمَنْ دعا غيرَ الله؛ من ميت، أو غائب، أو شجرٍ، أو حجرٍ؛ أو سألَه، وطلبَه، وعرضَ عليه حاجاتِه؛ فقد أشركَ بالله العظيم؛ لأنَّ الدعاءَ عبادةً، والعبادةُ لا تُصَرَفُ إلا لله، ولا يُتَوَجَّهُ فيها إلا إلى الله ﷻ.



شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَدَلِيلُ الْخَوْفِ: قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

انتقل الشيخ رحمه الله هنا إلى نوع آخر من أنواع العبادة، وهو: الخوف.

والخوف: انفعال يحصل بتوقع حلول مكروه، أو قوات محبوب^(١).

وهو ثلاثة أنواع^(٢):

النوع الأول: خوف السرّ؛ وذلك بأن يخاف غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، كأن يخاف أن يمرضه أحد أو أن يقبض روحه، أو يميت ولده، كما يحصل لكثير من الجهال حينما يتوعدّهم الدجالون والمُشعوذون؛ ويغفلون أن الرزق، والحياة، والممات، والشفاء، والأمراض؛ كلها من المولى وَعَلَيْكَ.

وضابط هذا النوع ما قاله الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله: «هو أن يخاف العبد من غير الله - تعالى - أن يصيبه مكروه، بمشيئته وقدرته، وإن لم يُبأشره، فهذا شرك أكبر؛ لأنه اعتقاد للنفع والضرر في غير الله؛ قال الله - تعالى -: ﴿فَإِنِّي فَازَهُبُونَ﴾ [النحل: ٥١]، وقال - تعالى -: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ [البقرة: ١٥٠]، وقال - تعالى -: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧]»^(٣).

(١) «التعريفات» (ص ١٠١).

(٢) «حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول» (ص ٧٦).

(٣) «تيسير العزيز الحميد» (ص ٢٣).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وهذا النوع شرك أكبر؛ وهو ما يقصد المصنف رَحِمَهُ اللهُ التحذير منه.

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ: «فالواجب خشية الله وخوفه؛ لأنه مصرف القلوب ومقلِّبها، والقادر على كل شيء، وهو الذي ينفع ويضر، ويعطي ويمنع؛ فالواجب تخصيصه بالخوف، وألا يُخاف هذا الخوف إلا الله في كل الأمور، ولكن خوف السر يختص به - سبحانه -؛ وهو كون الإنسان يخاف من أجل قدرة خاصة سرية ليست حسب الحس، ولذلك يعتقد عباد القبور أن بعض الناس له القدرة على التصرف في الكون مع الله ﷻ، ويعتقدون ذلك أيضًا في الأصنام والجن وغيرها، وهذا هو الشرك الأكبر، ويعتقد فيهم أيضًا أن لهم القدرة على العطاء والمنع، وزيع القلوب، وموت النفوس؛ دون أسباب حسية»^(١).

فيجب على المؤمن أن يصرف هذا النوع من الخوف إلى الله رب العالمين دون من سواه؛ إذ إنَّ تعلُّقه به - سبحانه - من أعظم واجبات الدين ومقتضيات الإيمان، وتعلُّقه بغير الله - تعالى - من الشرك الأكبر؛ لأن الخوف من أعظم عبادات القلب.

انظر إلى نبي الله هود عليه السلام بعدما نصَّح قومه ودعاهم إلى نبذ الشرك، قالوا له: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ [هود: ٥٤]؛ يخوفونه - بزعمهم - آلهتهم من الأحجار والأصنام؛ فقال لهم نبي الله المؤمن الموحد: ﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [٥٤] مِنْ دُونِهِ فَيَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ﴾ [٥٥] إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ

(١) «شرح ثلاثة الأصول»، للعلامة ابن باز (٥١ - ٥٢).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌ بِنَاصِيذِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤ - ٥٦﴾ [هود: ٥٤ - ٥٦].

فلا يَهْوِلَنَّكَ فعلُ البشر، وإن كثر عددهم وعظم مكرهم؛ فأقصى ما يستطيعون فعله هو تنفيذُ إرادة الله ﷻ فالذي يخافُ غيرَ الله فيما لا يقدرُ عليه إلا الله؛ مشركُ الشرك الأكبر، وهذا يُسمَّى «خوفَ عبادة»، وهو كثيرٌ في الناس، كما قال ﷻ: ﴿يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ [النساء: ٧٧].

النوع الثاني: الخوفُ الطبيعي، وهو جائز؛ لأنه خوفٌ من شيء ظاهر؛ كالخوف من عدو، أو سبع، أو دابة ضارة، أو نحو ذلك؛ فهذا الخوف لا يُعدُّ شرًّا؛ لأنه خوف طبيعي من شيء ظاهر معروف، فالوقاية والحذر منه مطلوب، وهذا النوع من الخوف هو الذي وصف الله ﷻ به نبيه موسى ﷺ بعدما قتل رجلاً من قوم فرعون، وذلك في قوله: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢١]، فهذا الخوف لا يُلَامُ عليه الإنسان إذا انعقدت أسبابه، أما إذا كان وهماً، أو له سببٌ ضعيف، فهو مذموم؛ لأن صاحبه جبانٌ.

النوع الثالث: أن يترك الإنسان ما يحِبُّ عليه خوفاً من الناس؛ كأن يترك الأمرَ بالمعروف والنهي عن المنكر خوفاً من الناس، فهذا خوفٌ محرم ومذموم؛ انظر ماذا فعل الصحابة - رضوان الله عليهم - وكيف ثبتوا وصدقوا في توكلهم على الله بعد غزوة أحد، عندما قيل لهم: إن المشركين أرادوا أن يُعيدوا عليكم الكرَّةَ؛ ليستأصلوا شأفتكم؛ كما ذكر الله ذلك في كتابه العزيز في قوله: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

[آل عمران: ١٧٣]، وما كان منهم إلا أن وقفوا مثلَ الجبال وثبتوا؛ لأن هذا الخوف ليس بمأذون به في الشرع، وإنما هو من تسويل الشيطان، كما قال - تعالى -: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَائَهُ﴾، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿[آل عمران: ١٧٥].

والخوف، والرجاء، والمحبة: هي أركانُ التعبد القلبي، وقد تكلم عنها ابن القيم كلاماً نفيساً؛ فقال: «القلبُ في سيره إلى الله وَجَّهٌ بمنزلة الطائر؛ فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلِم الرأس والجناحان؛ فالطائر جيد الطيران، ومتى قُطِع الرأسُ مات الطائرُ، ومتى فُقد الجناحان فهو عرضةٌ لكل صائد وكاسرٍ، ولكنَّ السلفَ استحبُّوا أن يَقْوَى في الصحة جناحُ الخوف على جناح الرجاء، وعند الخروج من الدنيا يَقْوَى جناحُ الرجاء على جناح الخوف، هذه طريقة أبي سليمان وغيره؛ قال: ينبغي للقلب أن يكونَ الغالبُ عليه الخوف، فإن غلب عليه الرجاء فسَد»^(١).

فإذا قيل لك مثلاً: لماذا تصلي؟ لماذا تصوم؟ لماذا تحج؟ فينبغي أن تقول: أنا أؤدي هذه الطاعات حباً لله، ورجاءً لثوابه، وخوفاً من عقابه، كما قال الله وَجَّهٌ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧].

فهذا شأنُ أهل الإيمان؛ يتقربون إلى الله وَجَّهٌ بأنواع القرب، وصنوف العبادات؛ حباً لله، ورجاءً لثوابه، وخوفاً من عقابه وَجَّهٌ.

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٥١٣).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ:

• **قوله: (الرَّجَاءُ)، هو في اللغة:** الأمل^(١)، وربما عُبر عن الخوف بالرجاء؛ كما في قوله - تعالى -: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]؛ أي: لا تخافون له عظمة^(٢).

والرجاء في الاصطلاح: «طمعُ الإنسان في أمر قريب المنال، وقد يكون بعيد المنال؛ تنزيلاً له منزلةً القريب»^(٣).

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «الرجاء حادٍ يحدو القلوبَ إلى بلاد المحبوب؛ وهو الله والدارُ الآخرة، ويُطَيَّبُ لها السير، وقيل: هو الاستبشارُ بجودِ فضلِ الربِّ - تبارك وتعالى - والارتياحُ لمطالعةِ كرمه - سبحانه -، وقيل: هو الثقةُ بجودِ الربِّ - تعالى -»^(٤).

وقال شيخُ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «الرجاء ينبغي أن يتعلق بالله، ولا يتعلقُ بمخلوق، ولا بقوة العبد، ولا عمله؛ فإن تعلّقَ الرجاء بغير الله إشراكٌ، وإن كان الله قد جعل لها أسباباً؛ فالسببُ لا يَسْتَقِلُّ بنفسه؛ بل لا بد له من مُعاونٍ، ولا بد أن يمنعَ المُعارضُ المعوَّقَ له، وهو لا يحصلُ ويبقى إلا بمشيئة الله - تعالى -»^(٥).

«فائدة» في الفرق بين الرجاء والتمني:

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «واعلم أن الرجاء المحمود لا يكون إلا لِمَن عمل بطاعة الله، ورجا ثوابها، أو تاب من معصيته ورجا قبول

(١) انظر: «الصحاح»، مادة: (رجا)، و«مقاييس اللغة»، مادة: (رجا).

(٢) انظر: «مشارق الأنوار»، مادة: (رج و)، و«لسان العرب»، مادة: (رجا).

(٣) «شرح ثلاثة الأصول»، للعلامة ابن عثيمين (ص ٥٧ - ٥٨).

(٤) «مدارج السالكين» (٣٦/٢ - ٣٧). (٥) «مجموع الفتاوى» (٢٥٦/١٠).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

توبته، فأما الرجاء بلا عمل، فهو غرورٌ وتمنٍ مذمومٌ^(١).

وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «والفرقُ بينه [أي: الرجاء] وبين التمني: أن التمني يكونُ مع الكسل، ولا يسلكُ بصاحبه طريقَ الجد والاجتهاد، والرجاء يكونُ مع بذل الجهد وحسن التوكل.

فالأول: كحالٍ مَنْ يتمنى أن يكونَ له أرضٌ يبذرُها ويأخذُ زرعَها.

والثاني: كحالٍ مَنْ يَشْتَقُّ أرضَه وَيَفْلَحُهَا وَيَبْذُرُهَا، ويرجو طلوعَ الزرع، ولهذا أجمع العارفون على أن الرجاء لا يصحُّ إلا مع العمل.

قال شاه الكرمانى^(٢): علامةُ صحة الرجاءِ حسنُ الطاعة.

والرجاء ثلاثة أنواع: نوعانِ محمودان، ونوعٌ غرورٌ مذمومٌ^(٣).

فالأولان: رجاء رجلٍ عملٍ بطاعة الله على نورٍ من الله؛ فهو راجٍ لثوابه، ورجلٍ أذنبَ ذنوبًا ثم تاب منها؛ فهو راجٍ لمغفرة الله - تعالى - وعفوه، وإحسانه، وجوده، وحلمه، وكرمه.

والثالث: رجلٌ مُتَمَادٍ في التفریط والخطايا؛ يرجو رحمة الله بلا عمل؛ فهذا هو الغرورُ والتمني، والرجاء الكاذب.

وللسالك نظران: نظرٌ إلى نفسه وعيوبه وآفاتِ عمله؛ يَفْتَحُ عليه بابَ الخوفِ إلى سَعَةِ فضلِ ربه، وكرمه، وبرّه، ونظرٌ يَفْتَحُ عليه بابَ الرجاء؛ ولهذا قيل في حدِّ الرجاء: هو النظرُ إلى سَعَةِ رحمة الله.

(١) «شرح ثلاثة الأصول»، للشيخ ابن عثيمين (ص ٥٨).

(٢) شاه بن شجاع الكرمانى: متصوف من أصحاب أبي تراب النخشي، ينظر: «حلية الأولياء» (٢٣٧/١٠ - ٢٣٨).

(٣) «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» (٣٧/٢).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال أبو علي الرُّوذباري^(١): الخوفُ والرجاءُ كجناحي الطائر؛ إذا استَويا استوى الطيرُ وتمَّ طيرانُهُ، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقصُ، وإذا ذهبَا صار الطائرُ في حد الموت^(٢).

• وقولُهُ - تعالى -: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾؛ أي: يطمعُ في ثواب الله ورجائه عياناً يوم القيامة.

﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾؛ أي: فليأتِ بالسبب الذي يؤهِّله لحصول المطلوب؛ فيعمل العملَ الصالح؛ لأجل أن ينال الثوابَ من الله، ودخولَ الجنة، والنجاةَ من النار، والنظرَ إلى وجه الله ورجائه. ولا يُعدُّ العملُ صالحاً إلا إذا توفَّر فيه شرطان^(٣):

١ - الإخلاصُ لله - سبحانه -، كما قال - تعالى -: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥]، فلا بد أن يكونَ العملُ خالصاً لوجه الله، خالياً من الشرك.

٢ - المتابعةُ للرسول ﷺ؛ قال - تعالى -: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]. وإن اختلَّ شرطُ منهما؛ فإنه يكونُ عملاً فاسداً لا ينفعُ صاحبه.

فالعملُ الذي فيه شركٌ؛ لا يُقبلُ من صاحبه، والعملُ الذي فيه

(١) أبو علي محمد بن أحمد بن القاسم بن منصور بن شهريار، ويمتدُّ نسبه للأمرء الفارسيين، من المتصوفة. انظر: «حلية الأولياء» (١٠/٣٥٦ - ٣٥٧).

(٢) «مدارج السالكين» (٣٧/٢). (٣) «تقريب التدمرية» (ص ١١٣).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

بدعة؛ يُردُّ على صاحبه؛ قال رحمه الله: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»^(١).

والآية التي ذكرها المصنف أشارت إلى أن الرجاء عبادة لله وعجل، وأشارت أيضًا إلى أن الرجاء لا يصحُّ إلا مع العمل الصالح.



شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ :

• **قوله: (ودليل التَّوَكُّلِ)، التَّوَكُّلُ لغةً:** إظهارُ العجزِ والاعتمادِ على غيرك، والاسم: التُّكْلَان، ويُقال: وَكَلْتُ بالله، وَتَوَكَّلَ عليه، وَاتَّكَلْتُ؛ أي: اسْتَسَلَمْتُ إليه^(١).

والتَّوَكُّلُ شرعاً: الاعتمادُ على الله وَحْدَهُ، وتفويضُ الأمور إليه ﷻ^(٢).

قال العلامةُ ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللهُ: «التَّوَكُّلُ على الله نوعان: أحدهما: توكُّلٌ عليه في تحصيلَ حَظِّ العبدِ من الرزقِ والعافية، وغيرهما.

والثاني: توكُّلٌ عليه في تحصيلِ مرضاته.

فأما **النوعُ الأولُ**؛ فغايتُهُ المَطْلُوبَةُ وإن لم تكن عبادةً - لأنها محضُ حظِّ العبدِ - فالتَّوَكُّلُ على الله في حصوله عبادة، فهو منشأٌ لمصلحة دينه ودنياه.

وأما **النوعُ الثاني**؛ فغايتُهُ عبادة، وهو في نفسه عبادة؛ فلا عِلَّةَ فيه بوجهِ؛ فإنه استعانةٌ بالله على ما يُرضيه، فصاحبُه متحقِّقٌ بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، فتركه تركٌ لشطر الإيمان، والعلةُ إنما هي في ضعفِ هذا التَّوَكُّلِ^(٣).

فالتَّوَكُّلُ ثلاثةُ أمور: اعتقادٌ، واعتمادٌ، وعملٌ.

(١) «الصحاح»، مادة: (وكل)، و«لسان العرب»، مادة: (وكل).

(٢) «شرح ثلاثة الأصول»، لفضيلة الشيخ ابن الفوزان (ص ١٣٨).

(٣) «طريق الهجرتين»، طبعة المجمع (ص ٥٧٠).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا﴾

فالاعتقاد؛ فهو أن يعلم العبد أن الأمر كله لله، فإن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، والله ﷻ هو النافع الضار، المعطي المانع. ثم بعد هذا الاعتقاد يعتمد بقلبه على ربه ﷻ ويثق به غاية الوثوق. ثم بعد هذا يأتي الأمر الثالث، وهو أن يفعل الأسباب المأذون فيها شرعاً.

وفي الحديث عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا خرج الرجل من بيته فقال: بسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله؛ يقال له: كُفَيْتَ وَوُكِّيتَ، وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ»^(١).

والتوكل من أعظم أنواع العبادة، فلا يتوجّه به العبد إلا للمولى ﷻ ولا يجوز أن يقول: توكلت على فلان^(٢)؛ لأن التوكل عبادة لله - سبحانه - لا يجوز أن تُصرف لغيره - سبحانه -، وعلى العبد أن يعتقد أن الذي يُعطي ويمنع، ويضر وينفع، هو الله ﷻ؛ فمن اعتمد على غير الله ﷻ في جلب المنافع أو دفع المضار، فيما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ؛ فقد أشرك شركاً أكبر.

لكن إذا أسندت إلى أحد من الخلق تصرفاً، فهذا لا يُسمى توكلاً، إنما يسمى توكيلاً، مثل أن تقول: وكّلت فلاناً ببيع تلك الأرض، فهذا ليس توكلاً؛ بل هو توكيل.

وقَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا﴾؛ قدم فيه الجار والمجرور

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٩٥).

(٢) سيأتي ذكر أنواع التوكل، بعد عدة صفحات.

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿المائدة: ٢٣﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

على العامل؛ ليفيد الحصر؛ أي: حصر التوكل في الله وحده لا شريك له، ثم قال - تعالى -: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، فقرن الإيمان بالتوكل، فدل ذلك على أن حصول الإيمان مشروط بالتوكل عليه - سبحانه -، فإخلاص التوكل على الله شرط في صحة الإيمان؛ ينتفي عند انتفائه.

ومن أسماء الله **وَكِيلٌ**: الوكيل؛ أي: الموكول إليه أمور عباده **وَعَلَى**؛ وعلى هذا فهو فعيل بمعنى مفعول، أو: هو القائم على أمور عباده، أو الحافظ الكافي؛ وعلى هذا فهو فعيل بمعنى فاعل.

ثم ساق المصنف قوله - تعالى -: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾، مع أنه لا يسوق في الغالب إلا دليلاً واحداً لكل نوع من أنواع العبادات؛ لكون الكتاب مختصراً قصد به المبتدئون، ولكنه هنا ساق دليلين لهذه العبادة العظيمة؛ فلعله قصد من الدليل الأول: بيان وجوب التوكل على الله، وأما الدليل الثاني: فقصد به بيان جزاء من توكل على الله، وهو قوله - تعالى -: ﴿فَهُوَ حَسْبُهُ﴾؛ أي: كافيه.

قال الإمام ابن القيم **رحمته الله**: «قال بعض السلف: جعل الله - تعالى - لكل عمل جزاء من جنسه، وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته لعبده؛ فقال: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾، ولم يقل: نُؤْتِيهِ كَذَا وكَذَا من الأجر، كما قال في الأعمال؛ بل جعل نفسه - سبحانه - كافي عبده المتوكل عليه، وحسبه وواقيه، فلو توكل العبد على الله - تعالى - حقَّ توكله، وكادته السماوات والأرض ومن فيهن، لجعل له مخرجاً من ذلك

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وكفاه ونصره»^(١).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لو أنكم توكلتم على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير؛ تغدو خُمَصًا، وتروحُ بطانًا»^(٢).

والطير لا تجلس في أوكارها تنتظر الطعام؛ بل تذهب يَمَنَةً وَيَسْرَةً باحثَةً عنه، متوكلة على ربها، فالتوكل لا بد فيه من فعل الأسباب.

فائدة: قال شيخنا صالح الفوزان: «التوكل لا يُنافي الأخذ بالأسباب؛ بل يجمع المسلم بين التوكل على الله والأخذ بالأسباب، ولا تنافي بينهما؛ فأنت تعمل الأسباب التي أُمِرَت بعملها، ولكن لا تعتمد على الأسباب، وإنما تعتمد على الله؛ أنت تزرع الزرع في الأرض، هذا سبب، ولكن لا تعتمد على زرعك وفعلك؛ بل اعتمد على الله في نمو هذا الزرع، وتسميره، وحمايته، وإصلاحه، ولهذا يقول: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ (١٣) **ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ** [الواقعة: ٦٣ - ٦٤].

فالزارع الحقيقي هو الله، أما أنت فقد فعلت سببًا فقط، قد يُنتج هذا الزرع ويُنبَت، وقد لا يُنتج، وإذا نبت؛ قد يصلح، وقد لا يصلح، قد يصاب بآفة فيذهب»^(٣).

وإذا تقرّر ما سبق، فاعلم أن التوكل على غير الله ﷻ ثلاثة أنواع^(٤):

(١) انظر: «بدائع الفوائد» (٢/٢٣٩، ٢٤٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٤٤).

(٣) «شرح ثلاثة الأصول»، لفضيلة الشيخ صالح الفوزان (ص ١٣٩ - ١٤٠).

(٤) «حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول» (ص ٨٤).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ

النوع الأول: التوكل على غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ من جلب المنافع، ودفع المضار؛ وهذا شرك أكبر.

النوع الثاني: أن يتوكل على حي حاضر؛ من ملك، أو وزير، أو مسؤول، فيما أقدره الله عليه من رزق أو دفع أذى، وهذا شرك أصغر؛ بسبب قوة تعلق القلب بهذا الإنسان، واعتماده عليه، أما إذا اعتقد أن هذا الإنسان سبب، وأن الله - تعالى - هو الذي أقدره على هذا الشيء وأجراه على يديه؛ فهذا لا بأس به، إذا كان لهذا الإنسان أثر صحيح في حصول المراد، لكن كثير من الناس ربما لا يخطر على باله هذا المعنى، ويكاد يعتمد اعتماداً كلياً على هذا الإنسان في حصول مراده.

النوع الثالث: أن يوكل غيره في فعل ما يقدر عليه نيابة عنه؛ فهذا جائز، دلّ عليه الكتاب والسنة والإجماع، لكن لا يعتمد عليه في حصول ما وُكل فيه؛ بل يتوكل على الله ﷻ في تيسير أمره الذي يطلبه؛ إما بنفسه وإما بنائبه، ولهذا لا تقول: توكلت على فلان، إنما تقول: وكّلت فلاناً.

• **قوله: (الرغبة)** هي: السؤال والتضرع والابتهال، مع محبة الوصول إلى الشيء المحبوب، فإذا كان الإنسان يدعو، وعنده قوة إقبال لحصول مطلوبه؛ فحينئذ يُقال: عنده رغبة^(١).

• **وقوله: (والرهبة)** هي: الخوف المؤدّي للهرب من شيء مرهوب؛ فهي خوف مقرون بعمل^(٢).

(١) «حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول» (ص ٨٧).

(٢) «حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول» (ص ٨٧).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَالْخُشُوعُ: قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

• **وقوله: (وَالْخُشُوعُ)** هو: الخضوع والتذلل بين يدي الله، والتطامن لعظمة الله - سبحانه - بحيث يستسلم لقضائه الكوني والشرعي^(١)، ومعناه قريب من معنى الخضوع؛ إلا أن الخضوع في البدن، والخشوع في القلب والبصر والصوت^(٢).

• **وقوله - تعالى -: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ﴾**؛ المقصود بالضمير هنا: الأنبياء الذين سَمَّاهم الله وَجَلَّ في هذه السورة؛ فهم يبادرون ويسابقون في الخيرات، وفي عمل القُرْبَات والطاعات، ويسألون الله **﴿رَغَبًا﴾**؛ أي: يطمعون فيما عند الله وَجَلَّ وحصول المطلوب، **﴿وَرَهَبًا﴾**؛ أي: خوفًا من عذاب الله؛ فيدعونه - سبحانه - طمعًا في رحمته وخوفًا من عذابه، **﴿وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾**؛ أي: خاضعين، متذللين، متواضعين لله وَجَلَّ.

وفي الآية ردُّ على الصوفية الذين يقولون: «نحن لا نعبد الله رغبةً في ثوابه، ولا خوفًا من عقابه، وإنما نعبدُه محبةً له فقط»^(٣).

فهذا كلام باطل؛ لأن الأنبياء ﷺ كانوا يدعون الله رغبًا ورهبًا؛ وهم أكملُ الخلق.

وفي الآية دليلٌ على أنه ينبغي للداعي أن يجمع بين الرغبة في رحمة الله - تعالى - والرَّهبة من عذابه، وفيها أيضًا دليلٌ على فضل

(١) «شرح ثلاثة الأصول»، للعلامة ابن عثيمين (ص ٥٩).

(٢) «حاشية ثلاثة الأصول»، للشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي (ص ٦٢).

(٣) «شرح ثلاثة الأصول»، لصالح الفوزان (ص ١٤٢).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ: قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ [البقرة: ١٥٠].



الْخُشُوعُ فِي الْعِبَادَاتِ؛ وَلَا سِيَّما الصَّلَاةُ وَالِدَعَاءُ ^(١).
فهذه الأمور الثلاثة «الرَّغْبَةُ وَالرَّهْبَةُ وَالْخُشُوعُ» دلت الآية على أنها من أجل أنواع العبادات؛ فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لغير الله، فهو مشرِكٌ كافر.

• **قَوْلُهُ: (الْخَشْيَةُ)**، هي: مصدرُ الفعل خَشِيَ، وتأتي بمعنى: الخوف، لكنها أخصُّ منه، فهي الخوف المبنِي على العلم بعظمة مَنْ يُخْشَى، وكمالِ سلطانه ^(٢)؛ لذلك خُصَّ العلماءُ بها في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

فالرَّهْبَةُ، والخوف، والخشية؛ كلها بمعنى واحدٍ، وإن كان بعضها أخصَّ من بعضٍ؛ إلا أنها يَجْمَعُها الخوفُ من الله وَجَلَّ، وهذا من صفات الأنبياء وعبادِ الله الصالحين ^(٣).

وقد نهى الله ﷻ المسلمين عن خشية الكافرين، وأمر بخشيته وحده لا شريك له؛ فقال: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ [البقرة: ١٥٠].

قال العلامة السعديُّ: «الخوفُ، والخشيةُ، والخضوعُ، والإخباتُ، والوجلُّ؛ معانيها متقاربةٌ؛ فالخوفُ يمنعُ العبدَ عن محارمِ الله، وتشاركه الخشيةُ في ذلك، وتزيدُ أن خوفه مقرونٌ بمعرفةِ الله، وأما الخضوعُ، والإخباتُ، والوجلُّ؛ فإنها تنشأ عن الخوف والخشية لله، فيخضعُ العبدُ لله

(١) «حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول» (ص ٨٩).

(٢) «شرح ثلاثة الأصول»، لفضيلة الشيخ العثيمين (ص ٦٠).

(٣) «شرح ثلاثة الأصول»، لصالح الفوزان (ص ١٤٣).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

.....

وُيُخَبْتُ إِلَى رَبِّهِ مَنِيبًا إِلَيْهِ بِقَلْبِهِ، وَيَحْدُثُ لَهُ الْوَجَلُ، وَأَمَّا الْخُشُوعُ فَهُوَ حُضُورُ الْقَلْبِ وَقْتُ تَلَبُّسِهِ بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَسُكُونِ ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ؛ فَهَذَا خُشُوعٌ خَاصٌّ، وَأَمَّا الْخُشُوعُ الدَّائِمُ الَّذِي هُوَ وَصَفُ خَوَاصِّ الْمُؤْمِنِينَ فَيَنْشَأُ مِنْ كَمَالِ مَعْرِفَةِ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ وَمِرَاقَبَتِهِ، فَيَسْتَوْلِي ذَلِكَ عَلَى الْقَلْبِ، كَمَا تَسْتَوْلِي الْمَحَبَّةُ^(١).



شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَدَلِيلُ الْإِنَابَةِ:

• **قوله: (ودليل الإنابة)، الإنابة في اللغة:** مصدرٌ قياسي للفعل الرباعي «أناب» بمعنى: رَجَعَ إلى الطاعة^(١)، وزِيدَت التَّاءُ في المصدر عوضاً عن عين الكلمة؛ مثل: أقام إقامةً، وأعاد إعادةً^(٢).

والإنابة في الشرع: الرجوع إلى الحق، مع العمل الصالح. فالمنيب إلى الله: هو المُسرِعُ إلى مرضاته، الراجعُ إليه كلَّ وقت، المتقدِّم إلى محابه^(٣).

والإنابة جامعةٌ لمقام المحبة والخشية، لا يكون العبدُ منيباً إلا باجتماعهما^(٤).

قال أبو إسماعيل الهروي رَحِمَهُ اللهُ: «الإنابة ثلاثة أشياء: الرجوعُ إلى الحق إصلاحاً، كما رَجَعَ إليه اعتذاراً، والرجوعُ إليه وفاءً، كما رَجَعَ إليه عهداً، والرجوعُ إليه حالاً كما رَجَعَ إليه إجابة»^(٥).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في شرح ذلك: «لما كان التائب قد رَجَعَ إلى الله بالاعتذار والإقلاع عن معصيته، كان من تَتِمَّةِ ذلك رجوعه إليه بالاجتهاد والنصح في طاعته، كما قال: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [الفرقان: ٧٠]، وقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا﴾ [البقرة: ١٦٠].

فلا تنفعُ توبةً وبطالةً، فلا بد من توبة وعملٍ صالح؛ تركٍ لما يكره، وفعلٍ لما يحبُّ، وتخلُّ عن معصيته، وتَحِلَّ بطاعته»^(٦).

(١) «الفروق اللغوية»، للعسكري (ص ٣٠٣).

(٢) «شرح ابن عقيل» (١٢٩/٣)، باب أبنية المصادر.

(٣) «مدارج السالكين» (٤٣٣/١). (٤) «مدارج السالكين» (١٥٦/١).

(٥) «منازل السائرين» (ص ١٧). (٦) «مدارج السالكين» (٤٣٣/١ - ٤٣٤).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٤].

قال الشيخ صالح الفوزان: «والتوبة والإنابة بمعنى واحد، ولكن بعض العلماء يقول: الإنابة أخص من التوبة؛ لأنها توبة مع إقبال إلى الله ﷻ؛ أي: توبة خاصة، والإنسان قد يتوب ويترك الذنب ولا يعود إليه، ويندم عليه، ولكن قد يكون في الإقبال على الله إقبال ضعيف.

أما الإنابة فهي إقبال على الله ﷻ؛ ولهذا قال: ﴿وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ﴾ [الزمر: ٥٤]؛ أي: ارجعوا له، وأقبلوا عليه ﷻ ﴿مِنْ قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٤] إذا جاء العذاب المهلك الماحق؛ فإنها لا تقبل توبة من تاب عند ذلك؛ ﴿إِلَّا قَوْمٌ لَّمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ﴾ [يونس: ٩٨]، هذا مستثنى، وإلا فإنه إذا نزل العذاب المهلك فإنها لا تقبل التوبة، ولهذا قال: ﴿مِنْ قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾^(١).

والإنابة والتوبة لهما أجل، ولهما حد؛ يتضح بما يلي:

- ١ - لا تقبل توبة من غرغر، أو من حضره الموت.
- ٢ - لا تقبل توبة من نزل به العذاب الماحق المهلك.
- ٣ - لا تقبل التوبة إذا طلعت الشمس من مغربها.

قال العلامة ابن القيم: «والإنابة إنابتان: إنابة لربوبيته؛ وهي إنابة المخلوقات كلها؛ يشترك فيها المؤمن والكافر، والبر والفاجر، قال الله

(١) «شرح ثلاثة الأصول»، لفضيلة الشيخ ابن الفوزان (ص ١٤٣ - ١٤٤).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

- تعالى -: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ [الزمر: ٨]، فهذا عامٌ في حق كل داعٍ أصابه ضرٌّ، كما هو الواقع، وهذه الإنابة لا تستلزم الإسلام؛ بل تُجامعُ الشرك والكفر، كما قال - تعالى - في حق هؤلاء: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ (٣٣) لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَانَيْتَهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٣ - ٣٤]، فهذا حالهم بعد إنابتهم.

والإنابة الثانية: إنابة أوليائه، وهي إنابةٌ لإلهيته، إنابة عبودية ومحبة، وهي تتضمن أربعة أمورٍ: محبته، والخضوع له، والإقبال عليه، والإعراض عما سواه، فلا يستحقُّ اسمَ المنيبِ إلا مَنْ اجتمعت فيه هذه الأربع، وتفسيرُ السلف لهذه اللفظة يدورُ على ذلك.

وفي اللفظة معنى الإسراع، والرجوع، والتقدم^(١).

وفي الآية الكريمة ما يدلُّ على أن الإنابة من العبادات، وأن الله ﷻ أمر بها، ولهذا لم يذكر المصنفُ التوبة من أنواع العبادات، وإنما اقتصر على ذكر الإنابة؛ لأن صورة العبادات بالنسبة للإنابة أوضح من صورتها بالنسبة إلى التوبة؛ بسبب زيادة الإقبال على العبادات^(٢).

وقال الشيخُ ابنُ عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «والمرادُ بقوله - تعالى -: ﴿وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾: الإسلامُ الشرعي؛ وهو: الاستسلامُ لأحكام الله الشرعية، وذلك أن الإسلامَ لله - تعالى - نوعان:

(١) «مدارج السالكين» (١/٤٣٣).

(٢) «حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول» (ص ٩١).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

الأول: إسلام كوني؛ وهو: الاستسلام لحكمه الكوني، وهذا عام لكل من في السماوات والأرض من مؤمن وكافر، وبر وفاجر، لا يمكن لأحد أن يستكبر عنه، ودليله قوله - تعالى -: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣].

الثاني: إسلام شرعي؛ وهو: الاستسلام لحكمه الشرعي، وهذا خاص بمن قام بطاعته من الرسل وأتباعهم بإحسان، ودليله في القرآن كثير، ومنه هذه الآية الكريمة التي ذكرها المؤلف (رحمه الله) ^(١).



شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ:

• **قوله: (ودليل الاستعانة)**، الاستعانة في اللغة: طلبُ العَوْنِ؛ لأنَّ السَّيْنَ والتَّاءَ في اللغة للطلب، فإذا قيل: استعانَ؛ فمعناه: طلبُ الإعانة، وإذا قيل: استغاثَ؛ فمعناه: طلبُ العَوْتِ، وإذا قيل: استخبرَ؛ فمعناه: طلبُ الخبرِ، وهكذا^(١).

والاستعانة في الشرع أربعة أنواع^(٢):

النوع الأول: الاستعانة بالأَمْوَاتِ أو الأَحْيَاءِ، على أمرٍ لا يَقْدِرُ عليه إلا اللهُ ﷻ؛ فهذا شركٌ.

النوع الثاني: الاستعانة بالمخلوق فيما يَقْدِرُ عليه؛ كأن تستعينَ برجلٍ ليحملَ لك المتاعَ إلى البيتِ؛ فهذا جائزٌ، والمُعِينُ مُثَابٌّ على ذلك إذا أخلصَ النيةَ؛ لأنه من التعاونِ على البرِّ، وقد أمر الله بذلك، ورَغِبَ فيه؛ قال - تعالى -: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»^(٣).

وإن كانت الاستعانة بالمخلوق على إثمٍ؛ فهي حرامٌ؛ قال الله - تعالى -: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

(١) «حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول» (ص ٩٢).

(٢) «حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول» (ص ٩٢).

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وَفِي الْحَدِيثِ: «وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ».



النوع الثالث: الاستعانة بالله، وهي الاستعانة المتضمنة لكمال الذل من العبد لربه، مع الثقة به والاعتماد عليه، وهي تتضمن ثلاثة أشياء:

أ - الخضوع والتذلل لله - تعالى - .

ب - الثقة بالله ﷻ .

ج - الاعتماد على الله ﷻ .

وهذه الاستعانة لا تُصَرَفُ إِلَّا لِلَّهِ؛ وَدَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وَوَجْهُ الدَّلَالَةِ: أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - قَدَّمَ الْمَعْمُولَ «إِيَّاكَ» عَلَى الْعَامِلِ «نَعْبُدُ»، وَتَقْدِيمُ مَا حَقُّهُ التَّأْخِيرُ - فِي مِثْلِ هَذَا السِّيَاقِ - يَفِيدُ الْحَصَرَ وَالِاخْتِصَاصَ، وَعَلَى هَذَا: يَكُونُ صَرَفُ هَذَا النُّوعِ لغيرِ اللَّهِ - تَعَالَى - شَرْكَاً مُخْرِجاً مِنَ الْمِلَّةِ.

النوع الرابع: الاستعانة بأعمال وأحوال محبوبة شرعاً؛ فهذا النوع مشروع؛ بدليل قوله - تعالى -: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]^(١).

وما ذكره المصنف ﷺ من قوله - تعالى -: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وكذلك الحديث: «وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»^(٢) فيه دليل على أمور؛ منها:

(١) انظر: «شرح ثلاثة الأصول»، لفضيلة الشيخ العثيمين (٦٢٦٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥١٦).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

أ - حصر الاستعانة في الله **وَعَجَّلْ**؛ وذلك في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله **وَعَجَّلْ** كما سبق تفصيله.

ب - البراءة من الحول والقوة؛ لأن الإنسان لا قوة له إلا بالله، ولا يقدر على شيء إلا بالله **وَعَجَّلْ** وهذا غاية التعبد لله؛ إذا تبرأ العبد من الشرك، وتبرأ من الحول ومن القوة^(١).

قال العلامة ابن القيم **رَحِمَهُ اللهُ**: «ثم إن القلب يعرض له مَرَضَانِ عظيمان، إن لم يتداركهما العبد، تَرَامِيَا به إلى التَّلَفِ ولا بد، وهما الرياء والكِبَر؛ فدواء الرياء بـ **﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾**، ودواء الكبر بـ **﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾**.

وكثيراً ما كنتُ أسمعُ شيخَ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: **﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾** [الفاتحة: ٥] تدفع الرياء، **﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾** [الفاتحة: ٥] تدفع الكبرياء. فإذا عوفي من مرض الرياء بـ **﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾** [الفاتحة: ٥]، ومن مرض الكبرياء والعُجب بـ **﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾** [الفاتحة: ٥]، ومن مرض الضلال والجهل بـ **﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾** [الفاتحة: ٦]؛ عوفي من أمراضه وأسقامه، ورفل في أثواب العافية، وتمت عليه النعمة، وكان من المُنعم عليهم، غير المغضوب عليهم؛ وهم أهل فساد القصد، الذين عرفوا الحق وعدلوا عنه، والضالين؛ وهم أهل فساد العلم، الذين جهلوا الحق ولم يعرفوه»^(٢).

(١) انظر: «شرح ثلاثة الأصول»، لفضيلة الشيخ ابن الفوزان (ص ١٤٦).

(٢) «مدارج السالكين» (١/ ٧٨).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَدَلِيلُ الْإِسْتِعَاذَةِ: قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١].

● **قَوْلُهُ: «الاستعاذة»**، هي: طلبُ اللجوءِ إلى مَنْ تعتقدُ أنه يُعيدُك ويُلجئُك^(١).

وحقيقتُها: الهربُ من شيء تخافُه إلى مَنْ يَعِصُمُك منه^(٢).

و«أعوذ» معناه: ألتجئُ وأعتصمُ وأتحرزُ^(٣)؛ فإذا قلتَ: «أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم»، كان المعنى: أنك تطلبُ الالتجاءَ إلى الله والاعتصامَ به والتحرزَ من الشيطان الرجيم.

وطلبُ العوذِ يكونُ باللسان، ولكنه في الحقيقة عبادةٌ قلبية تقومُ بالقلب، ولو لم يُفصَحْ بها اللسانُ.

وقد فرَّق العلماءُ بين «عاذَ» و«لاذَ»^(٤)؛ فالعِياذُ: لدفع المَكروه، والليّاذُ: لطلب المحبوب، كما قال الشاعرُ:

يا مَنْ أَلُوذُ بِهِ فِيمَا أُوْمِّلُهُ وَمَنْ أَعُوذُ بِهِ فِيمَا أَحَاذِرُهُ
لا يَجْبِرُ النَّاسُ عَظْمًا أَنْتَ كَاسِرُهُ وَلَا يَهَيِضُونَ عَظْمًا أَنْتَ جَابِرُهُ

والاستعاذة نوع من أنواع العبادة؛ فلا يجوزُ أن تستعِذَ بغيرِ الله ﷻ؛ فمَنْ استعاذَ بقبرٍ أو بوثنٍ؛ فإنه يكونُ مشرِّكًا شرًّا أكبرَ، فلا تُصرفُ الاستعاذةُ إلا لله، والدليلُ: قوله - تعالى -: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١]، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١].

(١) «حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول» (ص ٩٥).

(٢) «تيسير العزيز الحميد» (ص ١٧٠). (٣) «بدائع الفوائد» (٢/ ٢٠٠).

(٤) «مقاييس اللغة» (٥/ ٢٢٠).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

والفلق: هو الصبح^(١)؛ قال - تعالى -: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦]؛ فَرَبُّ الْفَلَقِ هو: الله ﷻ.

وتكملة السورة تدل على أن الاستعاذة من كل شيء لا تكون إلا بالله؛ فقولُه - تعالى -: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ٢]؛ أي: من شر جميع المخلوقات، وقولُه: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق: ٣]؛ أي: من شر الليل إذا أقبل، والغسق: الظلام^(٢)، وإذا أظلم الليل تخرج الوحوش والسباع، وقولُه: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤]؛ أي: من السحر وأهله، وأما قولُه: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥]؛ فالحسد: تمنّي زوال النعمة عن صاحبها^(٣)، وهو من أعظم الخصال المذمومة؛ لأن فيه اعتراضاً على الله ﷻ، وفيه إساءة إلى الخلق؛ فجاء الأمر في الآية بالاستعاذة من شر الحاسد؛ ويدخل فيه العائن أيضاً.

فأنت تستعيد بالله من كل هذه الشرور؛ فدل هذا على أن الاستعاذة لا يجوز أن تُصرف لغير الله - تعالى -.

فائدة: قال ابن كثير في تفسير قول الله - تعالى -: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]: «أي: كنا نرى أن لنا فضلاً على الإنس؛ لأنهم كانوا يعوذون بنا - أي: إذا نزلوا وادياً أو مكاناً موحشاً من البراري وغيرها؛ كما كان عادة العرب في جاهليتها - يعوذون بعضهم ذلك المكان من الجان؛ أن يصيبهم بشيء يسوءهم، كما

(٢) «تفسير الطبري» (٧٠٢/٢٤).

(١) «تفسير الطبري» (٧٠٠/٢٤).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١١١/١٠).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمامه وخفارتة، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم، ﴿زَادُوهُمْ رَهَقًا﴾؛ أي: خوفًا وإرهابًا وذعرًا، حتى بقوا أشدَّ منهم مخافةً وأكثرَ تعوذًا بهم، كما قال قتادة: ﴿زَادُوهُمْ رَهَقًا﴾؛ أي: إثما، وازدادت الجن عليهم بذلك جراءة^(١).

ويدخل في عموم الاستعاذة بالله ﷻ: الاستعاذة بصفاته، والاستعاذة بكلماته وبعزته، ونحو هذا، كما في حديث خولة بنت حكيم رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ نَزَلَ مِنْزَلًا، ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ^(٢) شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ»^(٣).

وأما قوله - تعالى - : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾؛ فهذه السورة اشتملت على أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

فقوله - تعالى - : ﴿رَبِّ النَّاسِ﴾؛ أي: مُربِّي الناس بنعمه العظيمة؛ فهو المحيي، الرازق، الشافي، المعطي، جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه. وقوله - تعالى - بعد هذه الآية: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٢]؛ أي:

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٢٣٩/٨)

(٢) الفعل (يضره) مجزوم، ولكنه حرك لالتقاء الساكنين، وتحريكه بالضم هو الصواب عند البصريين، وجائز عند الكوفيين، ولكن المشهور في رواية الحديث هو التحريك بالفتح.

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٠٨).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

مالكهم والمتصرف فيهم - سبحانه -؛ فالخلق كلهم أجمعون تحت مشيئته وحكمه؛ لأنه خالقهم وموجدهم من عدم وَعَلَى اللَّهِ.

وقوله - تعالى -: ﴿إِلَهُ النَّاسِ﴾ [الناس: ٣]؛ أي: أنه وَعَلَى اللَّهِ إله الأولين والآخرين، لا إله إلا هو - سبحانه - ولا معبود سواه.

وقوله - تعالى -: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ [الناس: ٤]؛ الوسواس بالفتح: هو الشيطان، وأما الوسواس بالكسر فهو مصدر الفعل «وَسَّوَسَ يُوَسِّوَسُ وَسْوَاسًا»^(١).

والوسواس: اسم من أسماء الشيطان؛ لأنه يوسوس للإنسان ويُخِيلُ إليه، وَيَشْعَلُهُ؛ من أجل أن يُلقِي في قلبه الرعب، والتردد، والحيرة في أموره، وخصوصًا في أمر العبادة. ومعنى الخناس: الذي يَخْنُسُ ويتعُدُّ، فهو يوسوس إذا غفلت عن ذكر الله، ويخنس؛ أي: يتأخر، إذا ذكرت الله وَعَلَى اللَّهِ؛ فهو وسواس مع الغفلة، وخناس عند ذكر الله وَعَلَى اللَّهِ.

لذا جاء في الحديث عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنتُ أسيرُ مع رسول الله ﷺ بين الجحفة والأبواء، إذ غَشِينَا رِيحٌ وظُلْمَةٌ، فجعل رسول الله ﷺ يتعوَّذُ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، ويقولُ: «يا عقبة؛ تعوَّذْ، فما تعوَّذْ متعوَّذْ بمثلهما»، ثم سمعته يُؤمِّنُ بهما في الصلاة^(٢).

(١) «تفسير حقائق الروح والريحان في رواي علوم القرآن» (٣٢/٤٧٤).

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٦٣).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَدَلِيلُ الْإِسْتِغَاثَةِ: قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِفٍ مِّنَ الْمَلَكِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩].

• **قوله: (الاستغاثة)**، هي: طلبُ الغوث عند الشدائد، فإذا وقع الإنسانُ في شدة؛ طلبَ الغوثَ من الله، والنجاةَ من هذه الشدة.

والاستغاثةُ على نوعين:

النوع الأول: الاستغاثةُ بالمخلوق فيما لا يقدرُ عليه إلا الله ﷻ؛ وهذا شرك؛ فمن استغاثَ بغير الله؛ من جنٍّ أو إنسٍ، أو غائبٍ أو ميتٍ؛ فقد وقع في الشرك بالله ﷻ.

النوع الثاني: الاستغاثةُ بالمخلوق الحاضر الحيِّ فيما يقدرُ عليه، وهذا جائز؛ قال - تعالى - في قصة موسى: ﴿فَاسْتَعِذْهُ الْوَيْلُ لِمَن شِيعَئِهِ عَلَى الَّذِي مِّنْ عَدُوٍّ﴾ [القصص: ١٥]^(١).

فالاستغاثةُ عبادة، كما في الآية التي استدللَّ بها المصنف رَحِمَهُ اللهُ، وهي قوله - تعالى -: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِفٍ مِّنَ الْمَلَكِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]، ووجهُ الاستدلال: أنها أتت في معرضِ الثناء عليهم، ورُتِّبَ عليها الإجابة، فدلَّ ذلك على أن الله يحبُّها ويرضاها.

والاستغاثةُ بغير الله ﷻ قد تكونُ جائزة؛ وذلك إذا تحقَّقَ فيها ثلاثةُ شروط:

الأول: أن يكونَ المستغاثُ به حيًّا؛ إذ لو كان ميتًا لكانت الاستغاثةُ شركًا؛ لأن الميتَ لا يتوجَّهُ له إلا مَنْ يَعْتَقِدُ أن له تصرفًا خفيًّا

(١) انظر: «شرح ثلاثة الأصول»، لفضيلة الشيخ ابن الفوزان (١٤٦).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها



في الكون، فيجعل له حظًا من الربوبية؛ قال الله - تعالى -: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ قَلِيلًا مَّا نَذْكُرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

الثاني: أن يكون حاضرًا؛ فلا تجوز الاستغاثة بالغائب، والعلّة في ذلك كما في الشرط الأول.

الثالث: أن يكون قادرًا على العوّث؛ لأن الاستغاثة بأحد فيما لا يقدر عليه إلا الله وَعَلَى؛ شرك، والاستغاثة بعاجز فيما يقدر عليه غيره؛ لغو وسخرية.



شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَدَلِيلُ الذَّبْحِ :

• **قوله: (الذبح)**، هو: إزهاقُ الرُّوحِ بإِراقةِ الدمِ على وجهٍ مخصوصٍ^(١).

وقال الشوكاني: «هو ما أنهرَ الدمَ، وفَرَى الأوداجَ، وذكر اسمُ الله عليه، ولو بحجر أو نحوه»^(٢).

والفرقُ بين الذَّبْحِ والنحر: أن الذَّبْحَ يكونُ في الحلق، والنَّحْرَ يكونُ في اللَّبَّةِ «وهي الوَهْدَةُ التي في أصلِ العنق والصدر»^(٣).

فالنحرُ: «يكون في الإبل خاصة، والذَّبْحُ: يكون في الغنم من الضأن والماعز، وأما البقرُ: فإنها تُذبح وتُنحر»^(٤).

و**(الذبح)** من العبادات الجامعة؛ قال العلماء: إن العبدَ - حال الذبح - يجتمعُ في قلبه أنواعُ من العبوديَّات^(٥):

أ - الدُّلُّ لربه ﷻ.

ب - التعظيمُ له ﷻ.

ج - الرجاءُ لما عنده حال ذبحه.

د - طلبُ البركة؛ لأنه ما ذَبَحَ إلا الله.

ووجهُ الاستدلال على عبادة **(الذبح)** من قوله - تعالى -: ﴿قُلْ إِنَّ

صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، قوله تعالى: ﴿وَنُسُكِي﴾ النُّسُكُ:

(١) انظر: «شرح ثلاثة الأصول»، لفضيلة الشيخ العثيمين (ص ٦٦)

(٢) «الدراري المضئية» (٣٢٣/٢)، و«الشرح الممتع»، لابن عثيمين (٤٤١/٧).

(٣) «شرح الزركشي على مختصر الخرقي» (٦٤٩/٦).

(٤) انظر: «توضيح الأحكام من بلوغ المرام»، للبسام (١١٩/٤).

(٥) «شرح الأصول الثلاثة الشيخ صالح آل الشيخ» (٤٢).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

قَوْلُهُ - تَعَالَى - : ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٦١) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ ۚ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿[الأنعام: ١٦١ - ١٦٣].

فُسِّرَ بَعْدَهُ تَفْسِيرَاتٌ عِنْدَ السَّلَفِ ؛ مِنْهَا : الذَّبْحُ وَالنَّحْرُ ، وَهَذَا كَمَا قَالَ ﷺ فِي آيَةِ أُخْرَى : ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴿[الكوثر: ١ - ٢]؛ فَقَوْلُهُ ﷺ : ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ أَمْرٌ بِأَنْ يُوحَّدَ اللَّهُ ﷻ بِالصَّلَاةِ وَالنَّحْرِ ، وَمِنْ ثَمَّ فَالْنَسْكُ هُنَا : هُوَ الذَّبْحُ .

قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَنِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ : «وَالْمَقْصُودُ : أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ دَلَّتْ عَلَى أَنَّ أَقْوَالَ الْعَبْدِ وَأَعْمَالَهُ الْبَاطِنَةَ وَالظَّاهِرَةَ ؛ لَا يَجُوزُ أَنْ يُصَرَفَ مِنْهَا شَيْءٌ لغير الله كائناً مَنْ كَانَ ، فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئاً لغير الله ؛ فَقَدْ وَقَعَ فِيهِمَا نِفَاهُ - تَعَالَى - مِنْ الشَّرِكِ بِقَوْلِهِ : ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩]» (١) .

والذبْحُ لَهُ أَرْبَعَةُ أَحْوَالٍ (٢) :

الأول : أَنْ يَقَعَ عِبَادَةٌ ؛ بِأَنْ يُقْصَدَ بِهِ تَعْظِيمُ الْمَذْبُوحِ لَهُ ، وَالتَّذَلُّلُ لَهُ ، وَالتَّقَرُّبُ إِلَيْهِ ، وَهَذَا لَا يَجُوزُ إِلَّا لِلَّهِ ﷻ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي شَرَعَهُ اللَّهُ - تَعَالَى - ؛ فَصَرَفُهُ لغير الله شَرْكٌ أَكْبَرُ .

وَدَلِيلُ ذَلِكَ : مَا ذَكَرَ الشَّيْخُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ ؛ وَهُوَ قَوْلُهُ - تَعَالَى - : ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٦١) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ ۚ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿[الأنعام: ١٦١ - ١٦٣].

(١) انظر : «قرة عيون الموحدين» ، للعلامة عبد الرحمن بن حسين آل الشيخ (ص ٦٨) .

(٢) «شرح ثلاثة الأصول» ، لصالح الفوزان (ص ١٥٤) .

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَمِنَ السُّنَّةِ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ».

الثاني: الذبح من أجل أكل اللحم، وهذا لا بأس به؛ لأنه ما ذبح تقرباً لشيء، ولا تعظيماً لأحد، وإنما ذبح لحاجة مشروعة.

الثالث: الذبح على وجه الفرح والسرور؛ بمناسبة زواج، أو انتقال إلى مسكن جديد، أو قدوم غائب، أو ما شابه ذلك، كأن يجمع الأقارب ويذبح من باب إظهار الفرح والسرور بما حصل له؛ وهذا لا بأس به؛ لأنه ليس فيه تعظيم ولا تقرب لأحد.

الرابع: الذبح من أجل التصدق باللحم على الفقراء والمساكين والمُعوزين، وهذا يُعدُّ سُنَّةً، وهو من العبادة.

قوله - عليه الصلاة والسلام -: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ» دليل على أن الذبح عبادة؛ لأنه لعن من صرفه لغير الله، فدلَّ على أنه يختص بالله، وهذا الاختصاص علامة العبادة، ومن ثمَّ فالذبح عبادة، فإذا صرفه أحد لغير الله؛ بأن ذبح للأصنام، أو للقبور المعبودة من دون الله التماساً لشفاعة أربابها، أو للزُهرة، أو لقدوم سلطان، ونحو ذلك؛ فهو مشرك كافر^(١).

واللَّعْنُ: هو الطرد والإبعاد من رحمة الله وَجَّعَ^(٢).

• وقوله: (لَعَنَ اللَّهُ)، هذا يحتمل أنه خبر، ويحتمل أنه إنشاء.

فإن كان خبراً؛ فمعناه: أن الرسول ﷺ يُخبرنا أن الله ﷻ أوقع اللعن بالفعل على من ذبح لغير الله.

(١) انظر: «حاشية ثلاثة الأصول»، للشيخ ابن قاسم (ص ٧٦).

(٢) «حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول» (ص ١٠٠).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وإن كان إنشاء؛ فمعناه: الدعاء؛ أي: أن الرسول ﷺ يدعو على
 مَنْ ذبح لغير الله أن يطرده الله من رحمته.
 وكونه خبراً أبلغ في المعنى؛ لأنه يُفيد تحقق وقوع اللعن، بخلاف
 كونه إنشاء؛ لأن الدعاء قد يُستجاب، وربما لا يُستجاب^(١).



(١) انظر: «القول المفيد»، للشيخ العثيمين (١/٢٢٢).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَدَلِيلُ النَّذْرِ: قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧].



- **قوله: (النذر)**، هو: إلزام الإنسان نفسه بشيء لم يلزمه بأصل الشرع^(١).
وقيل: هو: إيجاب المرء على نفسه شيئاً لم يجب عليه.
وهو نوعان^(٢):

النوع الأول: النذر المطلق؛ وهو إلزام العبد نفسه بطاعة الله ﷻ أو عبادة؛ كأن يقول: نذرت أن أصوم شهراً لله، وهذا جائز مباح؛ لحديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يَطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعه، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلَا يَعْصِهِ»^(٣).

النوع الثاني: النذر المقيّد؛ وحقيقته: أن يلزم العبد نفسه بطاعة الله ﷻ مقابل شيء يحدثه الله ﷻ له ويقدره ويقضيه له؛ كأن ينذر أن يصوم شهراً إن شفاه الله من المرض، فيشفى؛ فيلزم بوفاء نذره.

وهذا مكروه؛ لحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «نهى النبي ﷺ عن النذر»، وقال ﷺ: «إنه لا يرُدُّ شيئاً، وإنما يُستخرج به من البخيل»^(٤)؛ لأن المؤمن المقبل على ربه لا يعبد الله ﷻ بالمقايضة؛ وإنما يعبد الله ﷻ ويتقرب إليه؛ لأنه هو المستحق لذلك، فهذا النوع مكروه لهذا.

قال المصنف رحمته الله: (ودليل النذر: قوله - تعالى -: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ [الإنسان: ٧]).

ووجه الاستدلال: أن الله ﷻ امتدحهم بأنهم يوفون بالنذر، وإذ

(١) «شرح ثلاثة الأصول»، لصالح الفوزان (ص ١٥٤).

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص ١٥٩).

(٣) أخرجه البخاري (٦٦٩٦). (٤) أخرجه البخاري (٦٦٠٨).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

امتدحهم بذلك دلّ على أن هذا العمل منهم - وهو الوفاء بالنذر - محبوبٌ له ﷺ؛ فثبت أنه عبادةٌ لله - تعالى - .

«فائدة» في النذر المقيد؛ متى يكون شركاً؟

قال الشيخ صالح آل الشيخ: «إن شفى الله - لاحظ - إن شفى الله مريضاً؛ فللولي الفلاني عليّ نذرٌ بكذا وكذا، فهذا على المقابلة، ولو كان على هذا النحو، فصرفه لغير الله ﷻ شركٌ؛ لأن القول الأول منه وهو قوله: «إن شفى الله مريضاً» - هذا ربوبية، وقوله: «فللولي الفلاني عليّ نذر» هذا شركٌ في العبودية؛ هو أقرّ بالربوبية، ولكنه أشرك بالعبودية، هذا جهةُ النذر، الوفاء لأصحاب القبور أو نحوهم، أو الجنّ، أو الملائكة؛ هذا كله شركٌ»^(١).



(١) «شرح كتاب الثلاثة الأصول»، للشيخ صالح آل الشيخ (ص ٤٢).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام بالأدلة.

لَمَّا فَرَّغَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ بَيَانِ الْأَصْلِ الْأَوَّلِ، انْتَقَلَ إِلَى بَيَانِ الْأَصْلِ الثَّانِي، وَهُوَ (مَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدْلَةِ).

وَالَّذِينَ يُطْلَقُ وَيُرَادُّ بِهِ مَعَانٍ عَدَّةٌ مِنْهَا ^(١):

١ - الطاعة والانقياد؛ يُقَالُ: دَانَ يَدِينُ دِينًا وَدِيَانَةً؛ أَي: خَضَعَ، وَذَلَّ، وَأَطَاعَ.

٢ - مَا يَتَدَيَّنُ بِهِ الْإِنْسَانُ؛ يُقَالُ: دَانَ بِكَذَا؛ أَي: اتَّخَذَهُ دِينًا وَتَعَبَّدَ بِهِ، وَهَذَا الْمَعْنَى يَشْمَلُ الْمَعْنَى الْأَوَّلَ؛ لِأَنَّ مَنْ دَانَ بِدِينٍ؛ خَضَعَ لَتَعَالِيمِهِ، وَانْقَادَ لَهَا.

٣ - الْحِسَابُ؛ يُقَالُ: دَانَهُ؛ إِذَا حَاسَبَهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، وَقَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ [١٧ - ١٨]؛ أَي: الْحِسَابُ.

• **قوله: (دين الإسلام)، الإسلام في اللغة:** مصدرٌ قياسي للفعْل الرباعي «أَسْلَمَ»؛ يُقَالُ: أَسْلَمَ نَفْسَهُ لِلشَّيْءِ؛ إِذَا انْقَادَ لَهُ، وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لِلْقَتْلِ؛ أَي: خَضَعَ لَهُ.

وَالْإِسْلَامُ شَرْعًا: هُوَ الدِّينُ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ وَجَعَلَهُ خَاتَمَ الْأَدْيَانِ، وَأَكْمَلَهُ لِعِبَادِهِ، وَأَتَمَّ بِهِ عَلَيْهِمُ النِّعْمَةَ ^(٢).

• **قوله: (بالأدلة)؛** أَي: أَنَّ مَعْرِفَةَ دِينِ الْإِسْلَامِ لَا تَكُونُ بِالتَّقْلِيدِ أَوْ

(١) «حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول» (ص ١٠٣).

(٢) «حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول» (ص ١٠٣).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

بالآراء المجردة، وإنما تكون بالأدلة من الكتاب والسنة؛ لأن الذي يبني دينه على تقليد الناس؛ يكون إمعة، وفي الحديث عن محمد بن المنكدر قال: كانت أسماء تُحدث عن النبي ﷺ، قال: «إِذَا دَخَلَ الْإِنْسَانُ قَبْرَهُ، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا، أَحَفَّ بِهِ عَمَلُهُ، الصَّلَاةُ وَالصَّيَامُ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ الْمَلَكُ مِنْ نَحْوِ الصَّلَاةِ، فْتَرُدُّهُ، وَمِنْ نَحْوِ الصَّيَامِ، فَيَرُدُّهُ، قَالَ: فَيُنَادِيهِ: اجْلِسْ، قَالَ: فَيَجْلِسُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَاذَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ يَعْنِي: النَّبِيَّ ﷺ؟ قَالَ: مَنْ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ؟ قَالَ: أَنَا أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: يَقُولُ: وَمَا يُدْرِيكَ؟ أَدْرَكَتَهُ؟ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: يَقُولُ: عَلَى ذَلِكَ عِشْتُ، وَعَلَيْهِ مِتُّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ، قَالَ: وَإِنْ كَانَ فَاجِرًا، أَوْ كَافِرًا، قَالَ: جَاءَ الْمَلَكُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ شَيْءٌ يَرُدُّهُ، قَالَ: فَأَجْلَسَهُ، قَالَ: يَقُولُ: اجْلِسْ، مَاذَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ قَالَ: أَيُّ رَجُلٍ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قَالَ: يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا، فَقُلْتُ، قَالَ: فَيَقُولُ لَهُ الْمَلَكُ: عَلَى ذَلِكَ عِشْتُ، وَعَلَيْهِ مِتُّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ، قَالَ: وَتُسَلَّطُ عَلَيْهِ دَابَّةٌ فِي قَبْرِهِ، مَعَهَا سَوْطٌ، تَمْرَتُهُ ^(١) جَمْرَةٌ مِثْلُ غَرَبِ الْبَعِيرِ، تَضْرِبُهُ مَا شَاءَ اللَّهُ، صَمَاءٌ لَا تَسْمَعُ صَوْتَهُ فَتَرْحَمُهُ» ^(٢).

فالواجب على المسلم أن يحرص على معرفة دينه بالأدلة؛ من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولا يتحقق ذلك إلا بالتعلم والأخذ عن أهل العلم.

(١) في نسخة من المسند (ثمرته) بالمثلثة، وفي أخرى: (ثمرته) بالمشناة، ولم يتضح لي معناه.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٦٩٧٦).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَهُوَ: الْإِسْتِسْلَامُ لِلَّهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالْإِنْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ،

قال الشيخ صالح آل الشيخ: «التقليد لا يسوغ في أصول الدين؛ أي: هذه الأصول الثلاثة؛ فالتقليد في دين الإسلام، والتقليد في العبادة، والتقليد في الشهادة بأن محمداً رسول الله؛ لا يكفي؛ فإذا قال قائل: أنا مسلم بحكم أني في بلد إسلام، وهو لم يعتقد هذه الأمور اعتقاداً عن علم، ولو لمرة في حياته، ولو كانت قبل البلوغ؛ فإنه لا يخلص من التبعة، فلا بد أن يعتقد ما يجب اعتقاده عن معرفة، وهي هذه الأصول الثلاثة، وعن معرفة وعلم ودليل، ولهذا توسع الشيخ رحمه الله كما ترى في بيان مسألة الأدلة؛ فلذلك لكل مسألة دليلها؛ لأن المتعلم لهذا يخرج به عن رتبة التقليد لمن علمه، فيكون اعتقاده حاصلاً عن دليل، ولهذا ينبغي تعليم الصغار المميزين هذه الرسالة، أو الكبار، يعلمونها بأدلتها»^(١)، وقد سبق التفصيل في هذا الأمر في بداية الشرح.

• **قوله: (وَهُوَ: الْإِسْتِسْلَامُ)**، يُطْلَقُ الْإِسْلَامُ وَيُرَادُ بِهِ: الْمَعْنَى الْعَامُّ، كَمَا يُطْلَقُ وَيُرَادُ بِهِ الْمَعْنَى الْخَاصُّ، وَبَيَانُ ذَلِكَ فِيمَا يَلِي:

١ - **أما المعنى العام:** فهو الإسلام الذي يشمل جميع الخلق والناس، كما قال ﷺ: «أَفْغَيْرَ دِينَ أُلِّهِ يَبْعُوثُ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ» [آل عمران: ٨٣].

٢ - **وأما المعنى الخاص:** فيراد به ما بُعث به النبي محمد ﷺ، وطلب من الناس أن يدينوا به، وأن يعتقدوه، وهذا هو مراد المصنف رحمه الله بقوله: **(وَهُوَ: الْإِسْتِسْلَامُ لِلَّهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالْإِنْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ،**

(١) «شرح الثلاثة الأصول»، للشيخ صالح آل الشيخ (ص ٤٤).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ.

والبراءة من الشرك وأهله؛ يعني: إسلام الوجه والقصد لله ورسوله؛ قال - تعالى -: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]، وقال - تعالى -: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١١٢]؛ أي: أخلص عمله لله ورسوله، وانقاد لله عن طواعية واختيار، ورغبة ومحبة.

قال ابن كثير: «وقال سعيد بن جبير: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ﴾ أخلص، ووجهه؛ قال: دينه، ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾؛ أي: متبع فيه الرسول ﷺ؛ فإن للعمل المتقبل شرطين:

أحدهما: أن يكون خالصاً لله وحده، **والآخر:** أن يكون صواباً موافقاً للشريعة.

فمتى كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يتقبل؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة؛ يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به؛ إلا كان من أصحاب النار»^(٢).

والمعنى: أن كلَّ مَنْ سَمِعَ ببعثة النبي ﷺ وبرسالته، يجب عليه الإيمان به، فإن مات ولم يؤمن به كان من أصحاب النار، وهذا عام؛ يدخل فيه المشرك، والبُذوي، والنصراني، وغير ذلك من الديانات

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٨٥). (٢) أخرجه مسلم (٢٤٠).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

الشركية الأخرى، فكلُّ مَنْ كان على الإسلام العام، ولم يقبل الإسلام الخاص، لم يكن مؤمنًا ولا مسلمًا.

• **قوله: (الاستسلام لله بالتوحيد)؛** أي: بإفراد الله وَعَلَى بالعبادة؛ فَمَنْ عَبدَ الله وحده لا شريك له؛ فقد استسلم له، قال - تعالى -: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [الزمر: ٥٤].

وهذا يشمل أنواع التوحيد الثلاثة^(١):

١ - توحيد الله وَعَلَى في ربوبيته.

٢ - وتوحيده وَعَلَى في ألوهيته.

٣ - وتوحيده وَعَلَى في أسمائه وصفاته.

والمقصود الأخص من هذه الأنواع الثلاثة هو: توحيد الألوهية؛ أي: توحيد العبادة؛ لأن الخصومة إنما وقعت فيه، ومعلوم أن توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية، ولتوحيد الأسماء والصفات.

• **قوله: (والانقياد له بالطاعة)،** المراد: أن يكون الإنسان منقادًا لله - تعالى - غير ممانع، ولا متولٍّ عن طاعته، وإنما ينقاد ويذعن له - سبحانه - كما قال وَعَلَى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَانُ الْمُبِينِ﴾ [النور: ٥٤].

والطاعة: اسم جامع للعمل بكل ما أمر الله وَعَلَى به، والانتهاه عما نهى عنه.

(١) «شرح الطحاوية»، ت: الأرنؤوط (١/٢٤).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

• **قوله: (وَالْبِرَاءَةُ مِنَ الشَّرْكِ وَأَهْلِهِ)، البراءة في اللغة معناها:**
الخروج من الشيء والمفارقة له ^(١)، والمراد بها هنا: التبرؤ من أهل
الشرك وأهل الكفر، قال - تعالى - : ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ
وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا
بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ
لَا اسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ
الْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: ٤]، وسبب ذلك أنهم أعداء لله ولرسوله وللدين، فلا
يُتخذون أولياء، ولا يُناصرون؛ لا بالقول ولا بالفعل، وعليه؛ فلا يكفي
أن تستسلم لله وتنقاد له بالطاعة، وأنت لا تتبرأ من الشرك، ولا من
المشركين.

فالمسلم يجب عليه أن يعمل بما يلي:

- ١ - الاستسلام لله بالتوحيد.
- ٢ - الانقياد له بالطاعة.
- ٣ - البراءة مما يضاد التوحيد ويضاد الطاعة، وهو الشرك.
- ٤ - البراءة من أهل الشرك.



(١) انظر: «الترجمان عن غريب القرآن» (ص١٤٢)، وفي «مقاييس اللغة» (١/٢٣٦):
(التباعد من الشيء ومزاييلته)، وفي «الفروق اللغوية» (ص١٣٨): (ومنه البراءة وهي
قطع العلقه).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَهُوَ ثَلَاثُ مَرَاتِبَ: الْإِسْلَامُ، وَالْإِيمَانُ، وَالْإِحْسَانُ.

• **قوله: (وَهُوَ ثَلَاثُ مَرَاتِبَ)**، المراتب: جمع مَرْتَبَةٍ، ومعناها: الدرجة؛ فالمراتب: الدرجات^(١)، ومعنى العبارة: أن الدين ثلاث درجات؛ بعضها أعلى من بعض، أول هذه المراتب: الإسلام، ثم بعده: الإيمان ثم بعده الإحسان، وبيان ذلك فيما يلي:

المرتبة الأولى: مرتبة الإسلام، وهي أوسع المراتب؛ فكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمناً، فدائرة الإسلام يدخل فيها المنافقون الذين يُظهرون الإسلام، ويلتزمون به التزاماً ظاهراً، وحكمهم: أنهم مسلمون في الظاهر، وتجري عليهم أحكام الإسلام في الدنيا، ولكنهم في الآخرة في الدرك الأسفل من النار، كما قال الله - تعالى -: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]؛ وذلك لانتفاء حقيقة الإيمان عنهم؛ فغاية ما عندهم هو الإسلام الظاهري فقط.

المرتبة الثانية: مرتبة الإيمان؛ وهي أوسع من مرتبة الإحسان، فمرتبة الإحسان أخص منها؛ أي: أن كل محسن مؤمن، دون العكس، والمؤمنون يتفاوتون في هذه المرتبة؛ فمنهم المقربون، ومنهم الأبرار، ومنهم الظالم لنفسه؛ فالمقربون: هم أصحاب أعلى الدرجات، والأبرار دونهم.

وأما الظالم لنفسه: فهو المرتكب للكبائر التي هي دون الشرك، فهو مؤمن فاسق، أو مؤمن ناقص الإيمان، قال - تعالى -: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ

(١) «شرح ثلاثة الأصول»، لصالح الفوزان (ص ١٥٩).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

سَابِقُ بِالْخَيْرِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ [فاطر: ٣٢].

المرتبة الثالثة: مرتبة الإحسان؛ وهي: أن يُحَسِّنَ العبدُ العبادةَ وَيُتَقِنَهَا فيما بينه وبين الله، وقد عَرَفَهُ النبي ﷺ في الحديث بقوله: «أن تعبدَ اللهَ كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، والمعنى: أن يكونَ عندك علمٌ يقيني أن الله يراك أينما كنت^(١).

ونُجِملُ ما فَصَّلناه سابقًا في تعريف الإسلام والإيمان والإحسان؛ فنقول^(٢):

١ - الإسلام: هو إقامة الأعمال الظاهرة، وذلك يشمل: الشهادتين، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، مع الإخلاص الذي يصحُّ هذه الأعمال، والاتباعَ وفقَ ما جاء به النبي ﷺ.

٢ - الإيمان: له أركانٌ ستة؛ وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وبالقدرِ خيرِه وشرِّه، مع ما تيسَّرَ من العمل الظاهر الذي معه يصحُّ هذا الإيمانُ الباطن.

٣ - الإحسان: هو مقامُ المراقبة لله ﷻ.

«فائدة»: الفرقُ بين الإسلام والإيمان من المسائل التي يتكرَّرُ ذكرُها في كتب العقائد، وحاصلُ ما يقرُّره العلماءُ في هذا: أنه إذا ورد أحدُ هذين اللفظين مفردًا عن الآخر؛ فالمقصودُ به: دينُ الإسلام كله، ولا

(١) «شرح ثلاثة الأصول»، لصالح الفوزان (ص ١٦٠).

(٢) «شرح ثلاثة الأصول»، لصالح الفوزان (ص ٢٣٣).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

فرق حينئذ بين الإسلام والإيمان، وأما إذا ورد هذان اللفظان معاً في سياق واحد؛ فيُرادُ بالإيمان: الأعمال الباطنة، وهي أعمال القلوب؛ كالإيمان بالله - تعالى - وحبّه، وخوفه، ورجائه ﷻ والإخلاص له، ويُرادُ بالإسلام: الأعمال الظاهرة التي قد يصحبها الإيمان القلبي، وربما لا يصحبها؛ فيكون صاحبها منافقاً، أو مسلماً ضعيف الإيمان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «اسم الإيمان: تارة يُذكر مفرداً غير مقرون باسم الإسلام ولا باسم العمل الصالح ولا غيرهما، وتارة يُذكر مقروناً؛ إما بالإسلام؛ كقوله في حديث جبريل: «ما الإسلام... وما الإيمان»؟ وكقوله - تعالى -: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وقوله ﷻ: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٤]، وقوله - تعالى -: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣٥) ﴿فَمَا وَحَدَّا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٥ - ٣٦]، فلما ذكر الإيمان مع الإسلام؛ جعل الإسلام هو الأعمال الظاهرة: الشهادتان، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج؛ وجعل الإيمان ما في القلب من الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر. وإذا ذكر اسم الإيمان مجرداً؛ دخل فيه الإسلام والأعمال الصالحة؛ كقوله في حديث الشعب: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»، وكذلك سائر الأحاديث التي يجعل فيها أعمال البر من الإيمان»^(١).

(١) «مجموع الفتاوى» (٣١/٧ - ٥١)، باختصار.

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «إذا اقترن أحدهما بالآخر، فإن الإسلام يُفسَّرُ بالاستِسْلام الظاهر الذي هو: قولُ اللسان، وعملُ الجوارح، ويصدرُ من المؤمن كامل الإيمان، وضعيف الإيمان، قال الله - تعالى -: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٤]، ومن المنافق، لكن يُسمى مسلماً ظاهراً، ولكنه كافرٌ باطنًا، ويُفسَّرُ الإيمانُ بالاستِسْلام الباطن الذي هو إقرارُ القلب وعمله، ولا يصدرُ إلا من المؤمن حقًا، كما قال - تعالى -: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [الأنفال: ٢ - ٣]، وبهذا المعنى يكونُ الإيمانُ أعلى، فكلُّ مؤمنٍ مسلمٌ، ولا عكس»^(١).



(١) «مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين» (٢٩/٤).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ، فَأَرْكَانُ الْإِسْلَامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ.

فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ:

• **قوله: (وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ...)**؛ أي: أن كل مرتبة من مراتب الدين الثلاث لها أركان، والأركان: جمع ركن؛ وهو: جانب الشيء الأقوى الذي لا يقوم ولا يتم إلا به، وسيبين المصنف كل مرتبة، مع ذكر أركانها، والدليل على ذلك ^(١).

• **قوله: (فَأَرْكَانُ الْإِسْلَامِ خَمْسَةٌ...)**، هذه هي أركان المرتبة الأولى؛ مرتبة الإسلام، وتسمى الأصول الخمسة، والمباني الخمسة، وهي الأساس الذي تقوم عليه الأعمال الأخرى، والدليل عليها حديث جبريل عليه السلام المشهور الذي رواه الفاروق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسيأتي ذكره وشرحه.

فهذه الأركان التي ذكرها المصنف رحمته الله لا يقوم الإسلام إلا بها، فإذا فقدت كلها أو فقد أحدها؛ فإن الإسلام لا يستقيم، وأما ما لم يذكره من الطاعات الأخرى؛ فهي مكملات لهذه الأركان.

ثم شرع الشيخ رحمته الله في بيان كل ركن بدليله؛ فقال: **(فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ)**؛ أي: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله؛ والشهادة: هي الاعتقاد الجازم الذي يعبر عنه اللسان ^(٢)، والشهادة تكون

(١) «حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول» (ص ١٠٥).

(٢) «حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول» (ص ١٠٦).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْغَنِيُّ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

مقرونة برؤية المشهود أو بسماعه؛ لذا اختير لفظ الشهادة دون لفظ الاعتقاد؛ لأن لفظ الشهادة يفيد التوكيد والجزم، فيكون هذا الذي تعتقده كأنك تشاهده، والذي تشاهده تشهد به.

• **قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْغَنِيُّ الْحَكِيمُ﴾**؛ أي: حكم، وقضى، وأعلم، وبين، وألزم؛ فلفظ «الشهادة» من الله يدور على هذه المعاني الخمسة: الحكم، والقضاء، والإعلام، والبيان، والإلزام.

فقوله - تعالى -: ﴿لَا إِلَهَ﴾ ينفي جميع ما عبد من دون الله.

وقوله - تعالى -: ﴿إِلَّا هُوَ﴾ يثبت العبادة لله وحده.

فقوله - تعالى -: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾؛ أي: لا معبود بحق إلا الله وعلو، ومن عبد غير الله فعبادته باطلة، قال - تعالى -: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَكَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

فالله شهد لنفسه - جلَّالَه وتقدَّست أسماؤه - بالوحدانية، وهو أصدق القائلين، وشهادته - سبحانه - أصدق الشهادات؛ لأنها صادرة عن حكيم خبير، بكل شيء عليم.

قوله - تعالى -: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ أيضًا شهدوا بأنه لا إله إلا هو. والملائكة: عالم خلقهم الله لعبادته، وسيأتي تفصيل الكلام عنهم بإذن الله.

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وقال - تعالى -: ﴿وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ ؛ لأن أولي العلم هم أعلمُ الخلق بالله - سبحانه - وأخشى عبادِه له - سبحانه - كما قال - تعالى -: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، وأولو العلم لا يشهدون إلا بما هو حق، وكلُّ عالم يشهدُ له بالوحدانية، وأنه لا إله إلا هو، وهذا فيه تشریفٌ لأهل العلم؛ حيث قرَنَ شهادَتَهُم بشهادته وشهادة الملائكة.

ولا عبرة بقول غيرهم؛ من الملاحدة، والمشركين، والصابئين الذين يكفرون بالله و﴿يَكْفُرُ﴾ ؛ لأن قولهم مخالفٌ لشهادة الله، وشهادة ملائكته، وشهادة أولي العلم من خلقه.

وقوله - تعالى -: ﴿قَائِمًا﴾ منصوبٌ على الحال من فاعلِ ﴿شَهِدَ﴾ وهو الله - سبحانه - أي: حال كونه قائمًا.

وقوله - تعالى -: ﴿بِالْقِسْطِ﴾ ؛ أي: بالعدل.

وقوله - تعالى -: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ تأكيدٌ للجملة الأولى.

وقوله - تعالى -: ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ؛ هما اسمان من أسماء الله و﴿يَكْفُرُ﴾ يتضمَّنان صفتين من صفاته؛ وهما: العزة والحكمة التي تليقُ بجلاله - سبحانه و﴿يَكْفُرُ﴾ .



شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَمَعْنَاهَا: لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ إِلَّا اللَّهُ، «لَا إِلَهَ» نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، «إِلَّا اللَّهُ» مُثَبِّتًا الْعِبَادَةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ فِي مُلْكِهِ.

• **قوله: (لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ إِلَّا اللَّهُ)**، ذكره الشيخ تفسيرًا لقوله - تعالى -: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، فليس معنى هذه العبارة: أنه لا خالق ولا رازق إلا الله؛ لأن هذا المعنى من قبيل توحيد الربوبية، وأهل الشرك يُقرُّون به، وإنما يُنكرون إفراد الله بالألوهية والعبادة؛ فلا يقولون: لا إله إلا الله؛ قال - تعالى -: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥ - ٣٦]، وحكى الله - تعالى - عنهم قولهم: ﴿أَجْعَلِ الْأَلْهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]، وذلك لما نهاهم ﷺ عن عبادة الأصنام.

فالمعنى الصحيح لهذه العبارة هو: لا معبود بحق إلا الله، ولو كان معناها: لا خالق ولا رازق إلا الله، لما امتنعوا من قول: لا إله إلا الله؛ لأنهم لما سُئلوا عن المخلوقات أقرُّوا بأن خالقها هو الله - تعالى -، كما قال - تعالى -: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١].

قال الشيخ صالح آل الشيخ: «معنى لا إله إلا الله؛ أي: لا معبود بحق إلا الله وحده، لا إله إلا الله، وهي أربع كلمات:

١ - (لا): وهو حرفٌ لنفي الجنس، وهي تعملُ عملَ «إن»؛ قال ابن مالك في ألفيته:

عملَ (إن) اجعلْ لـ «لا» في نكره
ويكون اسمُها نكرة؛ كما قال هنا: لا إله.

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

٢ - (إله): على وزن «فَعَال» بمعنى «مفعول»؛ أي: إله بمعنى: مألوه، يعني: معبود^(١)؛ لأن الإلهة بمعنى: العبادة، والألوهية بمعنى: العبودية، وأصلها من: أَلَهَ يَأْلَهُ إلهةً وألوهةً؛ إذا عبدَ مع الحب والخوف والرجاء؛ أي: إذا عبدَ عابدٌ ما يعبدُه خائفًا راجيًا محبًا؛ فإنه يكونُ قد أَلَهَهُ، قال الراجز في رَجَزِهِ المشهور:

لَلَّهِ دَرُ الْغَانِيَاتِ الْمُدَّةِ سَبَّحْنَ وَاسْتَرْجَعْنَ مِنْ تَأْلِهِي
أي: من عبادتي^(٢)

وجاء تفسيرُ (لا إله إلا الله) في القرآن الكريم في قوله - تعالى -: ﴿الرَّ كَنُتْ أَحَكَمَتْ ءَايُنُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمِ خَيْرٍ﴾ أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿[هود: ١ - ٢]، وهو التفسيرُ الموافق للسُّنة ولِللغة العرب، وبه تَعْلَمُ أَنَّ مَنْ فَسَّرَ الإلهَ بالربِّ - يعني: بأنه القادرُ على الاختراع^(٣)؛ كما هو تفسيرُ أهلِ الكلام المذموم والأشاعرة والماتريدية ونحوهم - فإن هذا من أبطل ما يكونُ؛ لأنه مناقضٌ للقرآن والسُّنة؛ فإن مادةَ «الإله» غيرُ مادةِ «الرب»، ولهذا نجدُ هناك مَنْ لا يكفُرُ مَنْ أشركَ مع الله وَجَّكَ إِلَهًا آخرَ في العبادة، ويقولُ: ما دام أنه مُقرٌّ بتوحيد الربوبية، وبأن الله هو المتوحد في أفعاله، وبرزقه، وإحيائه وإماتته، وفي تدبيره في الأمر، وفي مُلكه، وفيما يفعل؛ فإن هذا مؤمنٌ! وهذا باطل.

وبعضُهم يفسِّرُ الإلهَ بتفسيرٍ آخرَ يرجعُ إلى معنى الربوبية، يقول أحدُ

(١) «مختار الصحاح» (ص ٢١).

(٢) «شرح الطحاوية»، لصالح آل الشيخ (ص ٢٦).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٠١).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها



كبار وأئمة الأشاعرة، وهو السنوسي في كتابه المعروف بـ «أم البراهين» في العقائد الأشعرية^(١)؛ يقول: «فالإله: هو المستغني عما سواه، المفتقر إليه كل ما عداه».

يقول: فمعنى (لا إله إلا الله): لا مستغنياً عما سواه، ولا مفتقراً إليه كل ما عداه إلا الله، فصار معنى كلمة التوحيد عندهم: هو توحيد الله ﷻ في ربوبيته فقط.

وهذا من أبطل الباطل؛ لأن المشركين قد أخبر الله ﷻ في كتابه بأنهم مُقَرَّرُونَ بهذا الذي جعله معنى كلمة التوحيد؛ قال - تعالى -: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَإِنِّي يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١]، وقال - تعالى -: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَإِنِّي يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف: ٨٧]، ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ﴾ [يونس: ٣١]، وقال - تعالى -: ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا نُنْقِوْنَ﴾ [يونس: ٣١]، وقال - تعالى -: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [المؤمنون: ٨٦]، ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْمُونَ﴾ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَإِنِّي تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٨ - ٨٩]، إلى آخر ما جاء في هذه الآيات.

٣ - (إلا) أداة استثناء، وعند بعضهم أداة حصر^(٢).

٤ - (الله)، ومعنى العبارة: لا معبود بحق إلا الله، وخبر «لا» محذوف؛ ذلك لأن العرب ترى في لغتها أن «لا» النافية للجنس يُحذف

(٢) «النحو الوافي» (١/ ٥٧٢).

(١) «متن أم البراهين» (ص ٦).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

خبرها إذا كان واضحاً^(١)، ومن الواضح أن المشركين لم يُنازعوا في وجود آلهة أخرى؛ فهم يعلمون أن هناك آلهة كثيرة موجودة؛ لهذا لا يصح أن يقال: إن خبر (لا إله): موجود؛ لأنهم قالوا: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَحْدًا﴾ [ص: ٥]، لكنَّ الخبر معلوم؛ لأنه زبدة الرسالة، وهو ما قدَّره الشيخ هنا «بحق»، أو يُقدر «حق» بدون الباء؛ لأن خبر «لا» إذا حذف قُدر بالمناسب الذي يُعلم؛ قال ابن مالك في الألفية في آخر باب «لا» النافية للجنس^(٢):

وشاع في ذا الباب إسقاط الخبر إذا المراد مع سقوطه ظهر إذا؛ فصار معنى: (لا إله إلا الله): لا أحد بحق يستحق العبادة إلا الله ﷻ، وهناك معبودات غير الله ﷻ ولكنها معبودات بالباطل، والتقدير هذا من أنسب ما يكون^(٣).

إذا عرفت هذا؛ فاعلم أن قولك مثلاً: «الله إله» لا يكفي؛ لأن اللات إله، والعزى إله، ومناة إله، كل هذه الأصنام تُسمى آلهة، فلا بد أن تقول: (لا إله إلا الله)؛ أي: تجمع بين النفي والإثبات، حتى يتحقق لك التوحيد، ويتنفي الشرك.



(١) «شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك» (٢/٢٥).

(٢) «ألفية ابن مالك» (ص ٢٣).

(٣) «شرح الثلاثة الأصول»، صالح آل الشيخ (ص ٤٧).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوضِّحُهَا: قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٨]، وَقَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا.....

خيرٌ ما يُفسَّرُ القرآنَ هو القرآنُ، لذا فسَّرَ المصنفُ رَحِمَهُ اللهُ «لا إله إلا الله» من القرآن، وذلك في آيتين من كتاب الله وَحْدَهُ؛ **أولهما**: قَوْلُهُ - تَعَالَى - على لسان الخليل إبراهيم - عليه الصلاة والسلام -: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾، وهذا هو النفي «لا إله»، ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾، وهذا هو الإثبات «إلا الله»؛ ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، الكلمة الباقية هي: لا إله إلا الله.

الآية الثانية: قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾؛ هذه الآية نزلت في وفدِ نَجْرَانَ، وهم نصارى بني تغلب من العرب، قدموا على النبي ﷺ وناظروه في شأن عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وعندما طلب النبي ﷺ منهم المباهلة، خافوا ولم يباهلوا، ورضوا بدفع الجزية له؛ لأنهم يعلمون أنهم على باطل، وأنه رسولُ الله ﷺ حقًا.

وقد اشتملت الآية على معنى: «لا إله إلا الله»؛ لأن قَوْلَهُ - تَعَالَى -: ﴿إِلَّا نَعْبُدُ﴾ هذا هو النفي «لا إله»، وقَوْلَهُ - تَعَالَى -: ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾ هذا هو الإثبات.

وهذه الكلمة «لا إله إلا الله» هي العدل الذي قامت به السماوات والأرض؛ لأنها قامت على التوحيد وعلى ألا يُشْرَكَ في عبادة الله أحدٌ، لا ملكٌ مقربٌ ولا نبيٌّ مرسلٌ.

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ [آل عمران: ٦٤].



• **وقوله - تعالى :- ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ ؛ أي :**
كما فعل اليهود والنصارى، الذين اتخذوا الأحرار والرهبان أرباباً من دون الله؛ كما قال - تعالى - : ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

ومعنى اتخاذ الأحرار والرهبان أرباباً من دون الله: هو طاعتهم في تحليل ما حرم الله - تعالى - وتحريم ما أحل الله - تعالى -؛ فعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: «يا عدي! اطرح عنك هذا الوثن»، قال: وسمعتُه يقرأ في سورة براءة: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾، قال: «أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلُّوه، وإذا حرَّموا عليهم شيئاً حرَّموه»^(١).

وقد سبق الكلام على هذه المسألة.

• **وقوله - تعالى :- ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ ؛ أي :** لم يقبلوا دعوة التوحيد.

• **وقوله - تعالى :- ﴿فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ ، وذلك بأن**
تُشهدوهم على أنكم موحدون وأنهم كفار، ففي هذا: وجوبُ الجهر ببطلان ما عليه المشركون، وتركُ السكوت عن ذلك، فيجبُ إعلانُ بطلانِ الشرك، والردُّ على أهله.

(١) سبق تخريجه.

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

إذا عَرَفْتَ هذا؛ فاعلم أن «لا إله إلا الله» لها سبعة شروط^(١)، وهي:

١ - العلمُ المنافي للجهل؛ أي: أن تعلم انتفاء جميع أنواع العبادة عن كل ما سوى الله، وثبوت ذلك لله وحده، قال - تعالى -: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وقال - تعالى -: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾؛ أي: لا إله إلا الله، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]، وفي الحديث عن عثمان قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة»^(٢).

٢ - اليقينُ المنافي للشك والريب؛ أي: أن يكون المسلم موقناً بهذه الكلمة؛ يقيناً جازماً لا شك فيه ولا ريب؛ قال - تعالى -: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].
فقلوه: ﴿لَمْ يَرْتَابُوا﴾؛ أي: أيقنوا ولم يشكوا، وفي الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقي الله بهما عبدٌ غير شاكٍّ فيهما إلا دخل الجنة»^(٣).

٣ - الإخلاصُ المنافي للشرك والرياء؛ وذلك بتصفية العمل من جميع شوائب الشرك الظاهرة والخفية، ويحصل ذلك بإخلاص النية في جميع العبادات لله وحده؛ قال - تعالى -: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢٤].

(١) كتاب «عقيدة التوحيد»، للشيخ صالح الفوزان (ص ٢٦ - ٣١)، و«معارج القبول» (٣٢/١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦). (٣) أخرجه مسلم (٢٧).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وقال - تعالى - : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥]، وعن أبي هريرة أنه قال: قيل: يا رسول الله، مَنْ أَسْعَدُ الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «لقد ظننتُ يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أول منك؛ لِمَا رأيتُ من حرصك على الحديث، أَسْعَدُ الناس بشفاعتي يوم القيامة مَنْ قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه، أو نفسه»^(١).

٤ - الصدق المنافي للكذب؛ وذلك بأن يقول هذه الكلمة صادقًا من قلبه؛ يواطئ قلبه لسانه، قال - تعالى - في ذم المنافقين: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]، لكذبهم في الشهادة، وعن أنس بن مالك أن النبي ﷺ ومعاذٌ رديفُهُ على الرَّحْلِ، قال: «يا معاذُ بنِ جبل»، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: «يا معاذُ»، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك؛ ثلاثًا، قال: «ما مِنْ أَحَدٍ يشهدُ أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسولُ الله، صدقًا من قلبه، إلا حَرَّمَهُ الله على النار»، وأخبر بها معاذٌ عند موته تأثُّمًا^(٢).

٥ - المحبة المنافية للبغض والكراهة؛ وذلك بأن يُحِبَّ قائلُها الله ورسوله ﷺ ودينَ الإسلام، والمسلمين القائمين بأوامر الله، الواقفين عند حدوده، وأن يُبْغِضَ مَنْ خالف التوحيدَ وأتى بما يناقضه من شرك أو كفر، أو يناقض كماله من بدع ومعاصٍ؛ عملاً بقوله ﷺ: «إِنْ أُوثِقَ عُرَى

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

الإيمان أن تُحبَّ في الله، وتُبغِضَ في الله»^(١). ومما يدلُّ على اشتراط المحبة في الإيمان قوله - تعالى -: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

٦ - الانقياد المنافي للترك؛ فلا بد لقائلٍ لا إله إلا الله أن ينقاد لشرع الله، ويذعن لحكمه، ويسلم وجهه لله؛ قال - تعالى -: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٤].

٧ - القبول المنافي للرد؛ فلا بد من قبول هذه الكلمة، قبولاً حقاً، بالقلب واللسان، وقد قصَّ الله في القرآن الكريم علينا أنباءً من قد سبق ممَّن أنجاهم الله لقبولهم «لا إله إلا الله»، وذكر انتقامه وإهلاكه لمن ردَّها ولم يقبلها؛ قال - تعالى -: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٣].



شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَدَلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ: قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

• **قَوْلُهُ: (وَدَلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ)**، هذا هو الشرط الثاني من الشهادة، وهي: شهادة أن محمدًا رسول الله، ومعناها: الإيمان بأنه رسول الله حقًا، وأن الله أرسله للثقلين الجن والإنس؛ بشيرًا ونذيرًا، عليه الصلاة والسلام، وأنه خاتم الأنبياء؛ ليس بعده نبي، كما قال الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿٤٥﴾ ودَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥ - ٤٦].

ومن لوازم هذه الشهادة: متابعة الرسول ﷺ في كل ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، وأدلة شهادة أن محمدًا رسول الله كثيرة، من الكتاب والسنة، ومن المعجزات الباهرات الدالة على نبوته ورسالته ﷺ.

واستدل الشيخ رحمه الله على هذا الشرط: الشهادة بأن محمدًا رسول الله، بقوله - تعالى -: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

فقوله - تعالى -: ﴿جَاءَكُمْ﴾؛ هذا خطاب لجميع الناس؛ لأن رسالته ﷺ عامة لجميع الثقلين: الإنس والجن.

• **وقوله - تعالى -: ﴿رَسُولٌ﴾**؛ هو: من أُوْحِيَ إليه بشرع وأُمر بتبليغه، وسُمي رسولاً لأنه مُرسل من قبل الله ﷻ.

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

• **وقوله - تعالى :- ﴿مَنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ ؛ أي : من جنسكم ؛ من البشر ، وليس ملكاً من الملائكة ، وهذه سنة الله ﷻ أنه يُرسل إلى البشر رسلاً منهم ؛ من أجل البيان .**

• **وقوله - تعالى :- ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾ ؛ أي : شاقٌّ عليه ﷻ .**

• **وقوله - تعالى :- ﴿مَا عِنْتُمْ﴾ ؛ أي : ما يشقُّ عليكم ، والعنتُ معناه : التعب والمشقة ، والرسول ﷺ يشقُّ عليه ما يشقُّ على أمته ؛ لأنه لا يريد لها المشقة ، وإنما يريد لها اليسر والسهولة ؛ لهذا جاءت الشريعة سيرةً وسهلةً ، قال - تعالى :- ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة: ٦] ، فشريعته سهلةٌ تناسبُ قدرةَ الناس واستطاعةَ المكلفين ، ولا تحمّلهم ما لا يطيقون .**

• **وقوله - تعالى :- ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ ؛ أي : على هدايتكم وإخراجكم من الظلمات إلى النور .**

• **وقوله - تعالى :- ﴿رءُوفٌ﴾ من الرأفة ؛ وهي الرفق ، واللطف .**

• **وقوله - تعالى :- ﴿رَحِيمٌ﴾ ، وصفه - سبحانه - برحمته للبشر ؛ فليس هو بغليظ ؛ كما قال - تعالى :- ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِهِ الْبُحْرَانُ لَفُتِحَ الْقَلْبُ لِأَنْفُسِهِمْ مِنْ حَوْلِكَ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] .**

وقد كان ﷺ متواضعاً ليناً مع المؤمنين ، يخفّض لهم جناحه ، ويستقبلهم بالبشر ، والمحبة ، والعطف ، والإحسان ، وهذه من صفاته ﷻ .



شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصَدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ،

• **قوله: (ومعنى شهادة أن محمدًا)؛ أي:** أن الشهادة بأن محمدًا رسول الله ﷺ ليست لفظًا يُقال باللسان فقط، ولكنها تشمل أمورًا؛ أولها وثانيها: أن تعترف بلسانك وبقلبك «أي: نطقًا واعتقادًا» أنه رسول الله، ثم لا يكفي النطق باللسان والاعتراف بالقلب فقط؛ بل لا بد من أمر ثالث؛ وهو: الاتباع؛ قال الله - تعالى -: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف: ١٥٧].

ويتحقق ذلك من خلال هذه الجمل الأربع التي ذكرها الشيخ رحمه الله؛ وهي:

١ - **(طاعته فيما أمر)؛** وفي ذلك يقول الله ﷻ: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]؛ ففي هذه الآية جعل الله طاعته - سبحانه - في طاعة الرسول ﷺ.

٢ - **(تصديقه فيما أخبر)؛** والرسول ﷺ أخبر عن أمور كثيرة من الغيب؛ فأخبر عن الله، وعن الملائكة، وعن غير ذلك من الأمور الغائبة، وأخبر أيضًا عن أمور مستقبلية؛ من قيام الساعة، وأشراتها، والجنة، والنار، وأخبر عن أمور ماضية؛ كأحوال الأمم السابقة؛ فلا بد من تصديقه في كل ما أخبر به؛ لأن أخباره كلها صدق لا كذب فيها؛

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَاجْتَنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ، وَأَلَّا يُعْبَدَ اللَّهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ.

قال - تعالى -: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ - ٤].

٣ - (اجتناب ما نهى عنه وزجر)؛ وقد نهى النبي ﷺ عن أقوال وأفعال، وصفات كثيرة؛ وهو ﷺ لا ينهى إلا عما فيه ضررٌ وشرٌّ، ولا يأمر إلا بما فيه خير وبرٍّ؛ قال - تعالى -: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

٤ - (ألا يُعْبَدَ الله إلا بما شرع)؛ أي: لا بد من التقيّد في العبادات بما شرّعه الله لرسوله ﷺ؛ فلا تجوزُ العبادة بما لم يشرّعه، وإن كان القصدُ حسنًا؛ لأن ما لم يأت به رسولُ الله ﷺ ليس من الدين، والنية وحدها لا تكفي فيه؛ بل لا بد من الاتباع؛ لأن العبادات توقيفية؛ كما قال رسول الله ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»^(١).

فائدة: لماذا جعلت الشهادتان ركنًا واحدًا، ولم تجعل شهادة «أن لا إله إلا الله» ركنًا، وشهادة «أن محمدًا رسول الله» ركنًا؛ مع أن المشهود به متعدّد؟ **الجواب من وجهين**^(٢):

الوجه الأول: أن هاتين الشهادتين أساسُ صحة الأعمال وقبولها؛ إذ لا يُقبل العمل ولا يكون صحيحًا إلا بأمرين:

١ - الإخلاص لله - سبحانه -.

٢ - والمتابعة للرسول.

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٧).

(٢) «حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول» (ص ١٠٧).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

الوجه الثاني: أن الرسول ﷺ مبلّغ عن الله، فالشهادة له بالرسالة والعبودية من تمام شهادة أن لا إله إلا الله، فكأن الثانية تكملة للأولى.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب: «وأما متابعة الرسول؛ فواجب على أمته متابعته في الاعتقادات والأقوال والأفعال، فتوزن الأقوال والأفعال بأقواله وأفعاله؛ فما وافق منها قبل، وما خالف ردّ على فاعله كائناً من كان، فإن شهادة «أن محمداً رسول الله» تتضمن تصديقه فيما أخبر، وطاعته، ومتابعته في كل ما أمر به، وقد روى البخاري^(١) من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «كلُّ أمّتي يدخلون الجنة إلا من أبى»، قيل: ومن أبى يا رسول الله؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»^(٢).



(١) أخرجه مسلم (١٧١٨).

(٢) ينظر: «الرسائل الشخصية»، لمحمد بن عبد الوهاب، تحقيق: الفوزان (ص ١٠٦).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَدَلِيلُ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ: قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام، والزكاة هي الركن الثالث، وهي قرينة الصلاة في كتاب الله، والصلاة عبادة بدنية، أما الزكاة فعبادة مالية.

ولما امتنع أناس من دفع الزكاة بعد وفاة الرسول ﷺ قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة؛ فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها»^(١).

فالزكاة حق واجب في الأموال، وركن من أركان الإسلام كالصلاة، وكثيراً ما تجدهما في كتاب الله ﷻ مقترنتين في الآية الواحدة، مثال ذلك: قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]، وقَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿فَأَقِمْ وَاتَّوِا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨]، وغيرها كثير.

وفي الآية التي في المتن دليل على التوحيد، وعلى الصلاة والزكاة.

فدليل التوحيد قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾؛ لأن التوحيد هو: عبادة الله مع الإخلاص له، وترك عبادة ما سواه، فالدين،

(١) أخرجه البخاري (١٤٠٠).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

والتوحيد، والعبادة؛ بمعنى واحد، ومعنى: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾؛ أي: في العبادة.

وهذا من حرص الشيخ على التوحيد؛ حيث ذكره مع الصلاة والزكاة في دليل واحد.

(ودليل الصلاة): قوله - تعالى -: ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، والمعنى: أن يأتوا بها كما أمر الله ﷻ بشروطها، وأركانها، وواجباتها.

(ودليل الزكاة): قوله - تعالى -: ﴿وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾؛ أي: أن يدفعوا الزكاة للمستحقين لها، وهم ثمانية أصناف، ذكرهم الله في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ فُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَدِيرِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

ومجموع هذه الأمور الثلاثة «الإخلاص، والصلاة، والزكاة» هو: ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾؛ وهي صفة لموصوف محذوف؛ والتقدير: دين الملة القيّمة؛ أي: المستقيمة^(١).



شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَدَلِيلُ الصَّيَامِ: قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

• **قَوْلُهُ: (وَدَلِيلُ الصَّيَامِ)؛** أي: هذا دليل وجوب الصيام من القرآن الكريم.

• **وقَوْلُهُ - تعالى -: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾؛** أي: فُرض عليكم.

• **وقَوْلُهُ - تعالى -: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾؛** أي: كما فُرض على مَنْ كان قبلكم من الأمم، وهذا يدلُّ على أن الصيام كان معروفاً عند الأمم السابقة، وفي الشرائع القديمة، ولم تختصَّ به شريعة محمد ﷺ.

• **وقَوْلُهُ - تعالى -: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾** فيه بيانٌ للحكمة من مشروعية الصيام، وهو أنه سببٌ للتقوى؛ لأن الصيام يربِّي الإنسان على ترك ما أَلِفَتْهُ نفسه من شهوات ورغبات؛ تقرباً إلى الله ﷻ؛ فيكسبه هذا التقوى، كما أن الصيام يكسِّر شهوة النفس وحِدَّتْهَا؛ لأن الشيطان يجري من ابنِ آدَمَ مجرى الدم؛ فمع تناولِ الشهوات يتسلطُ الشيطان، ومع تركِ الشهوات يضعفُ مجرى الدم، فيُطرَدُ الشيطانُ عن المسلم، ففي الصيام حصولُ التقوى التي هي جَمَاعُ الخير كله، والإنسان إذا ترك المباحات طاعةً لله، كان تركه للمحرمات من بابِ أولى، فالصيام يدربُّه على تجنُّب الحرام، ويدربُّه على التمكن من نفسه الأَمَّارة بالسوء، ويطرُدُ عنه الشيطان، ويُلِينُ قلبه للطاعة، ولذلك تجدُ الصائم أقرب إلى الخير من المفطر؛ فتجذُّه يحرصُ على تلاوة القرآن، وعلى الصلاة، ويذهبُ إلى المسجد مبكراً؛ لأن الصيام قد ليَّنه وهذَّبَه، وكل هذا داخلٌ في قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَدَلِيلُ الْحَجِّ: قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا

لَمَّا ادعى اليهود - عليهم لعنة الله - أنهم مسلمون، وأنهم على دين إبراهيم عليه السلام، امتحنهم الله وَعَلَى في هذه الآية بقوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 97]؛ أي: فإن كنتم مسلمين فحُجُّوا؛ لأن الله فرض حج البيت على المسلمين؛ فإذا امتنعتم من الحج فهذا دليل على أنكم لستم مسلمين، ولستم على ملة إبراهيم.

● **وقوله - تعالى -: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ﴾**؛ أي: هذا فرضٌ وحقٌ لله وَعَلَى على الناس.

● **وقوله - تعالى -: ﴿حِجُّ﴾**، الحج: بكسر الحاء وفتحها، وأصله في اللغة: القَصْدُ، والحجُّ شرعاً: قَصْدُ الكعبة المشرفة والمشاعر المقدسة في وقت مخصوص لأداء عباداتٍ مخصوصة، وهي مناسك الحج^(١).

● **وقوله - تعالى -: ﴿الْبَيْتِ﴾**؛ أي: الكعبة، وما حولها من المشاعر تابع لها.

● **وقوله - تعالى -: ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾**، فيه بيان شرط الوجوب؛ وهو: الاستطاعة.

والاستطاعة نوعان^(٢):

أ - استطاعة بدنية؛ وهي: القدرة على المشي أو الانتقال إلى مكة.

(١) «شرح ثلاثة الأصول»، لصالح الفوزان (ص ١٩٣).

(٢) «شرح ثلاثة الأصول»، لصالح الفوزان (ص ١٩٣).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ [آل عمران: ٩٧].

ب - استطاعة مالية؛ وهي: القدرة على توفير المركب الذي ينقله،
والزاد الذي يأكله؛ ذهابًا وإيابًا.

ولا يجب الحج على غير المستطيع؛ أي: الذي ليس عنده زاد ولا
راحلة؛ لأن شرط وجوب الحج هو الاستطاعة.

• **وقوله - تعالى -: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾:** دليل على أن
مَن امتنع عن الحج مع القدرة عليه؛ فإنه كافرٌ كفرًا أصغرًا، وأما مَن تركه
جاحدًا لوجوبه؛ فإنه كافرٌ كفرًا أكبرًا بإجماع المسلمين.

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

المرتبة الثانية: الإيمان

• **قوله: (الإيمان)**، هو في اللغة: التصديق الجازم^(١)؛ قال - تعالى -
على لسان إخوة يوسف عليه السلام: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧]؛ أي:
بمصدق لنا.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله بحث طويل عن المعنى اللغوي
للإيمان، خلاصته في قوله: «فكان تفسيره -؛ أي: الإيمان - بلفظ
الإقرار أقرب من تفسيره بلفظ التصديق، مع أن بينهما فرقاً»^(٢).

وقال الشيخ ابن عثيمين: «أكثر أهل العلم يقولون: إن الإيمان في
اللغة: التصديق، ولكن في هذا نظر... [إلى أن قال:] ولهذا لو فُسر
الإيمان بالإقرار لكان أجود؛ فنقول: الإيمان: الإقرار، ولا إقرار إلا
بالتصديق؛ فتقول: أقر به، كما تقول: آمن به، وأقر له، كما تقول:
آمن له»^(٣).

والإيمان شرعاً: قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح،
يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية^(٤).

وقولنا: «باللسان»؛ أي: لا بد فيه من النطق والاعتراف باللسان.
وقولنا: «اعتقاد بالقلب»؛ أي: لا بد أن يكون من يؤمن معتقداً في
قلبه لما ينطقه بلسانه، وإلا كان مثل المنافقين الذين: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ
مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧].

(١) «إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد» (٢/ ٢٥١).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٧/ ٢٩١).

(٣) «شرح العقيدة الواسطية» (٢/ ٢٢٩)، و«مجموع فتاوى ورسائل العثيمين» (٨/ ٥٧٤).

(٤) «الإيمان»، لابن تيمية (ص ١٣٧).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَهُوَ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً؛ فَأَعْلَاهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،
وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ.

وقولنا: «عمل بالجوارح»؛ أي: لا بد من أداء الفرائض، وتجنب
المحرمات.

واعلم أن عمل القلب يشمل أنواع الاعتقادات، كما يشمل أنواع
العبادات القلبية؛ مثل: الخشية، والخوف، والرجاء.

وأما عمل الجوارح فيشمل الأعمال الظاهرة؛ كالصلاة وغيرها.

• **قوله: (وَهُوَ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً)** مأخوذ من حديث أبي
هريرة رضي الله عنه الآتي، وهو من الأدلة على أن الإيمان: قول باللسان،
واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح.

والحديث المشار إليه هو ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال: «الإيمان بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أو: بَضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ:
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ
الْإِيمَانِ»^(١).

وموضع الدلالة من هذا الحديث على أن القول من الإيمان:
قوله صلى الله عليه وسلم: «قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

ويدل على أن عمل الجوارح من الإيمان: قوله صلى الله عليه وسلم: «إِمَاطَةُ الْأَذَى
عَنِ الطَّرِيقِ»، فهذا من أعمال الجوارح.

والدليل على أن اعتقاد القلب من الإيمان: قوله صلى الله عليه وسلم: «وَالْحَيَاءُ
شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ».

(١) أخرجه مسلم (٣٥).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

فدل الحديث على أن الإيمان: قولٌ باللسان، واعتقادٌ بالقلب، وعملٌ بالجوارح.

وقد أوضحنا سابقاً أنه إذا ذكر الإيمان والإسلام معاً؛ كان لكلٍ منهما معنى، فالمراد بالإسلام حال اجتماعه مع الإيمان: الأعمال الظاهرة؛ أي: أركان الإسلام الخمسة المعروفة، والمراد بالإيمان: الأعمال الباطنة؛ أي: الأركان الستة المعروفة، التي محلها القلب.

وإذا ذكر واحدٌ منهما فقط؛ دخل فيه الآخر، ولذلك يُعبر أحياناً عن المسلم بالمؤمن والعكس، والمعنى واحد؛ لأنه لا بد أن يكون مسلماً مؤمناً؛ يقيم أركان الإسلام، ويقيم أركان الإيمان.

إذا عرفتَ هذا؛ فاعلم أن الإيمان له أركان، وله شعب، وقد بينها النبي ﷺ في حديثين:

الحديث الأول: حديث جبريل المشهور^(١)، وفيه ذكر أركان الإيمان، وسيأتي.

والحديث الثاني: هو هذا الحديث الذي ذكره المصنف، وذكر فيه شعب الإيمان.

والفرق بين الأركان والشعب^(٢): أن الركن لا يطلق إلا على جزء الشيء الذي إذا انتفى؛ انتفى الشيء نفسه؛ كأركان الإيمان؛ فإنها إذا انتفى واحد منها؛ انتفى الإيمان كله وبطل، وزال بزواله؛ لأن الشيء لا

(١) «صحيح مسلم»، برقم: (١).

(٢) «شرح ثلاثة الأصول»، لصالح الفوزان (ص ٢٠٢).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

يقومُ إلا على أركانه؛ فإذا فقد ركنٌ من أركان الشيء؛ لم يتحقق.
وأما الشَّعب؛ فإنها مكملاتٌ، لا يزولُ الإيمانُ بزوال شيء منها،
إلا أن يكونَ من الأركان؛ فيزول الإيمان بزوالها.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «ولما كان الإيمان أصلًا له شعب
متعددة، وكلُّ شعبة منها تُسمى إيمانًا؛ فالصلاة من الإيمان، وكذلك
الزكاة والحجُّ والصيام، والأعمالُ الباطنة؛ كالحياء، والتوكل، والخشية
من الله، والإنابة إليه، حتى تنتهي هذه الشعبُ إلى إمطة الأذى عن
الطريق، فإنه شعبة من شعب الإيمان. وهذه الشعبُ منها ما يزولُ
الإيمانُ بزوالها؛ كشعبة الشهادة، ومنها ما لا يزولُ بزوالها؛ كترك إمطة
الأذى عن الطريق، وبينهما شعبٌ متفاوتة تفاوتًا عظيمًا، منها ما يُلحقُ
بشعبة الشهادة ويكونُ إليها أقرب، ومنها ما يُلحقُ بشعبة إمطة الأذى،
ويكونُ إليها أقرب»^(١).

وهذه الشُّعبُ نوعان:

أ - بعضها واجباتٌ.

ب - وبعضها مستحبات.

وحديثنا هنا عن الشعب الواجبات، التي إذا ترك المسلم شيئًا
منها، أو فعل شيئًا من المحرمات؛ فإنه لا يزولُ إيمانه بالكلية عند أهل
السُّنة والجماعة، ولكن يزولُ كمالُ الإيمانِ الواجب، فيكون مؤمنًا ناقصَ
الإيمان، أو مؤمنًا فاسقًا، كما لو شرب الخمر، أو سرق، أو زنى، أو

(١) «الصلاة وأحكام تاركها» (ص ٥٥).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

فعل شيئاً من الكبائر، فإنه يكون فاعلاً للمحرّم، أو مرتكباً لكبيرة من كبائر الذنوب، لكنه لا يكفر بذلك، ولا يخرج من الإيمان بالكلية.

فإذا عرفت هذا؛ فاعلم أن قوله - تعالى -: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿[الجن: ٢٣]، ليس المراد به الظاهر؛ لأن ظاهره كفر من أتى بمعصية مطلقاً؛ فالواجب ردّ هذه الآية إلى قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فيتبيّن الحق؛ وهو: أن صاحب المعصية لا يخرج بفعلها من الدين، ولكنه يكون متوعداً بالنار؛ إن شاء الله غفر له، وإن شاء عذبه، وقد يكون له مكفرات في الدنيا بالمصائب والبلاءات، أو في القبر بالضغطة أو فتنة الملكين وعذاب القبر؛ فهذه الأمور تكفر السيئات، والمكفرات كثيرة.

وأما زيادة الإيمان ونقصانه؛ فإليك الأدلة عليها:

أولاً: الدليل على زيادة الإيمان: قوله - تعالى -: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، ففيه أن الإيمان يزيد بسماع القرآن، ومثله قوله - تعالى -: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤]، وقوله - تعالى -: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَزَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: ٣١]، ففيه أن الإيمان يزيد باليقين وبالطاعات.

ثانياً: الدليل على نقصان الإيمان: مأخوذ من النصوص السابقة،

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

.....

ووجهُ الدلالة: أن كلَّ شيء قابلٌ للزيادة؛ فإنه قابلٌ للنقص، ويدلُّ على ذلك أيضًا الحديث الصحيح عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ»، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ - تَعَالَى -: «أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ...» الحديث ^(١)، ووجهُ الدلالة من هذا الحديث: أن الإِيْمَانَ قد ينقصُ في القلب حتى يكون على وزن حبة خردل.

ومن الأدلة على ذلك أيضًا: قوله - تعالى -: ﴿هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيْمَانِ﴾ [آل عمران: ١٦٧]، ففيه أن الإِيْمَانَ ينقصُ حتى يكون أقرب إلى الكفر.



شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.



• **قوله: (وأركانه)؛ أي: الدعائم التي يقوم عليها الإيمان، ويزول بزوالها، أو بزوال ركن منها (ستة)؛ وهي^(١):**

١ - **الإيمان بالله:** أي: الإيمان بأن الله وَحْدَهُ واحدٌ أحد، فردٌ صمد، لا شريك له؛ لا في ربوبيته، ولا في ألوهيته، ولا في أسمائه وصفاته، وهذا يشمل أنواع التوحيد الثلاثة؛ وقد سبق تبين ذلك في أول الشرح.

٢ - **الإيمان بالملائكة:** وهي: جمع ملك، وأصله: «مَلَأَك» ثم حُذفت الهمزة، وقيل: أصله «ملك» على ظاهره^(٢). والملائكة: خلق من خلق الله في عالم الغيب، خلقهم الله لعبادته وتنفيذ أوامره في ملكه، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وهم أصناف؛ كل صنف له عمل موكّل به:

فمنهم: الموكّل بالوحي؛ وهو جبريل عليه السلام، أشرف الملائكة أجمعين، وهو الروح الأمين.

ومنهم: الموكّل بحمل العرش؛ قال - تعالى -: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ [غافر: ٧]، وقال - تعالى -: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾ [الحاقة: ١٧].

ومنهم: الموكّل بالقطر والنبات، وهو ميكائيل^(٣).

(١) «معارج القبول بشرح سلم الوصول» (٢/٦٥٥).

(٢) «شرح ثلاثة الأصول»، لصالح الفوزان (ص٢٠٧).

(٣) «معارج القبول بشرح سلم الوصول» (٢/٦٥٩).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

ومنهم: الموكل بالنفخ في الصور، وهو إسرافيل، ينفخ في الصور؛ فيهلك كل شيء^(١).

ومنهم: الموكل بقبض الأرواح عند نهاية آجالها، وهو ملك الموت؛ قال - تعالى -: ﴿قُلْ يَتُوفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي ذُكِّرَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السَّجْدَة: ١١]، ومعه أعوان من الملائكة؛ قال - تعالى -: ﴿تَوَفَّاهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١].

ومنهم: الموكل بالأجنة في الأرحام؛ قال رسول الله ﷺ: «ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله، ورزقه، وأجله، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح»^(٢).

ومنهم: الموكلون بحفظ أعمال بني آدم؛ قال - تعالى -: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۖ كِرَامًا كُنِينًا﴾ [الانفطار: ١٠ - ١١]، يلزمونهم بالليل والنهار، قال ﷺ: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم - وهو أعلم بهم -: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون»^(٣)؛ أي: أنهم يشهدون للمصلين عند الله ﷻ، ولهذا قال - تعالى -: ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨].

وهناك ملائكة يحفظون بني آدم الذين يحافظون على أذكار الصباح

(١) «فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام»، ط. المكتبة الإسلامية (٥٦١/٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٠٨). (٣) أخرجه البخاري (٥٥٥).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

والمساء، وأذكّار النوم، وغيرها، فيحفظونهم من الشرور والآفات بأمر الله ﷻ؛ كما لو نام الإنسان في البريّة بين السباع والحيّات والهوامّ.

وقد قال الله - تعالى - في هؤلاء الملائكة الذين سخرهم الله ﷻ لذلك: ﴿لَهُمْ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]؛ أي: بأمر الله، فهؤلاء يحفظون بني آدم - بأمره ﷻ - من المكاره والأخطار، إلى أن يحين الأجل، فإذا حان الأجل؛ تخلّوا عنه، فوقع ما قدّر الله له؛ من الموت أو الإصابة التي تُفضي إلى الموت.

والملائكة يختلفون في خلقهم أيضًا، كما يختلفون في وظائفهم؛ قال الله - تعالى -: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَئِكَ أَجْنَحٌ مِّثْنَى وَثَلَاثَ وَرُبْعَ زَيْدٍ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: ١].

ولا يعلم حقيقة الملائكة وأصنافهم وأوصافهم إلا الله، ولكن يجب علينا إثبات ما جاء في النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة، كما يجب اعتقادها والإيمان بها، وأما ما لم يرد به نصّ صحيح؛ فإننا نمسك عن الخوض فيه؛ لأن هذا من علم الغيب الذي استأثر الله به.

والخلاصة: أن الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان؛ فمن جحد وجود الملائكة كان كافرًا؛ لأنه لم يؤمن بالغيب، وكذلك الذي يؤوّل الملائكة ويزعم أنها معانٍ وليست أجسامًا، أو يقول: هي الخواطر التي تعرض للإنسان وتدفعه إلى فعل الخير، وأما إن كانت هواجس شرّ؛ فهي شياطين؛ فهذا قولٌ إلحادي، وهو كلامُ الفلاسفة؛

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

مَنْ اعتقده فقد كفر^(١).

٣ - الإيمان بالكتب؛ أي: الكتب التي أنزلها الله على الرسل لهداية البشر؛ نؤمن بأنها كلامُ الله حقيقةً، ونؤمنُ بما سمَّى الله منها؛ مثل: التوراة، والإنجيل، والقرآن العظيم، وصحف إبراهيم وموسى، والزبور، كما نؤمنُ بما لم يُسمَّه الله منها.

والإيمان بالكتب السابقة يكونُ إيماناً مجملًا، وأما الإيمان بالقرآن فيكونُ إيماناً مفصلاً؛ فنؤمنُ أن كلَّ ما فيه قد أنزله - سبحانه - على نبيِّنا محمد ﷺ؛ فمن جحد منه آيةً أو أنكر حرفاً من حروفه؛ فهو كافر مرتدٌّ عن الإسلام^(٢).

٤ - الإيمان بالرسول: يجبُ الإيمانُ بجميع الرسل من أولهم إلى آخرهم؛ مَنْ سمَّى الله منهم، ومَنْ لم يُسمَّ؛ نؤمنُ بهم أنهم رسلُ الله حقًّا؛ جاءوا بالرسالة، وبلغوها لأُممهم، فمن كفر برسول واحدٍ فهو كافرٌ بجميع الرسل؛ لقوله - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۖ﴾ (١٥٠) أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ۖ (١٥١) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا [النساء: ١٥٠ - ١٥٢].

وقد قال الله - تعالى -: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥]،

(١) «شرح ثلاثة الأصول»، لصالح الفوزان (ص ٢١١).

(٢) «شرح ثلاثة الأصول»، لصالح الفوزان (ص ٢١٣).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

مع أنهم كذبوا نوحًا فقط، إلا أن تكذيبهم لنوح يُعدُّ تكذيبًا لبقية المرسلين؛ لأن كلمتهم واحدة، وكذلك من كفر بالنبیین: عيسى عليه السلام ونبينا محمد ﷺ كاليهود، أو كفر بنبينا محمد ﷺ كالنصارى، فإنه يُعدُّ كافرًا بالجميع.

وقد ذكر الله جملةً من أسماء الرسل، كما في سورة الأنعام، فقال: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَهُودًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام: ٨٣ - ٨٦].

وذكر غيرهم في آيات أخرى، فهؤلاء نؤمن بهم تفصيلاً، وأما من لم يذكر الله اسمه، فنؤمن به جملةً.

٥ - الإيمان باليوم الآخر: والمراد به يوم القيامة، وسمي باليوم الآخر؛ لأنه بعد اليوم الأول الذي هو يوم الدنيا، والإيمان باليوم الآخر يشمل الإيمان بما بعد الموت؛ من عذاب القبر ونعيمه، وسؤال الملكين في القبر، وكل ما يكون بعد القبر، وكذلك يشمل الإيمان بالبعث والنشور، والحشر، والحساب، ووزن الأعمال، والصراط، والميزان (الذي توزن به الحسنات والسيئات)، والجنة والنار.

فكل ما ثبت أنه يحصل في اليوم الآخر؛ نؤمن به جملةً وتفصيلاً، ولا نشك في شيء منه، فمن شك في شيء من ذلك فهو كافر مرتد عن الإسلام.

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وبعضُ الناس قد يحصلُ له شكٌّ في عذاب القبر أو البعث بعد الموت، وذلك بسبب شبهاتِ أهل الكفر والإلحاد، ولذلك سنفصِّل القول فيما يتعلقُ بكلِّ منهما؛ ليزول الشكُّ عمن في قلبه شبهةٌ.

أولاً: البعثُ بعد الموت: والأدلة عليه ثابتةٌ شرعاً وعقلاً:

أ - دليُّه من الشرع: قوله - تعالى - : ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّيَنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

وقد ضرب الله للناس بعض الأمثلة الحسية على ثبوت البعث بعد الموت، ومنها ما يلي:

١ - بعث الله قوم موسى بعدما أماتهم حين قالوا له: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ﴾ [البقرة: ٥٥]، فحلَّت بهم عقوبة من الله؛ وهي قوله: ﴿فَاخَذَتْكُمْ الصَّعِقَةُ وَأَنْتُمْ نَظَرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥]، ثم أحياهم الله بعد ذلك كما قال - تعالى - : ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٦].

٢ - بعث الله قتيلاً بني إسرائيل الذي اختصموا فيمن قتلته، فأمرهم الله - تعالى - أن يذبحوا بقرةً، ويضربوه ببعضها، ليخبرهم بمن قتلته، فكان كما أمر، قال - تعالى - : ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ نَفْسًا فَاذَرْنَاكُم فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مِمَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٢ - ٧٣].

٣ - بعث الله الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوفٌ، فراراً من الموت، بعدما أماتهم؛ قال - تعالى - : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

دَيَّرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرُ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿البقرة: ٢٤٣﴾.

٤ - بعث الله الذي مرَّ على قرية ميتة، فاستبعد أن يُحييها الله - تعالى -، فأماته الله - تعالى - مائة سنة ثم أحياء، قال - تعالى - ﴿أَوِ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿البقرة: ٢٥٩﴾.

٥ - في قصة إبراهيم الخليل عليه السلام حين سأل الله - تعالى - أن يُريه كيف يحيي الموتى، فأمره الله - تعالى - أن يذبح أربعة من الطير، ويفرقهن أجزاءً على الجبال التي حوله، ثم يناديها، فتلتئم الأجزاء بعضها إلى بعض ويأتين إلى إبراهيم سعيًا، وفي ذلك يقول الله - تعالى -: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿البقرة: ٢٦٠﴾.

فكلُّ هذه أمثلةٌ حسية واقعية تدلُّ على إمكان الإحياء بعد الإماتة.

ب - الدليل من العقل: أشار الله في كتابه العزيز إلى بعض الأدلة العقلية على جواز البعث بعد الموت في عدة مواضع، منها ما يلي:

١ - قال الله - تعالى -: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

﴿الرُّومُ: ٢٧﴾، وقال الله - تعالى -: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، قال الله - تعالى -: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩].

وجه الدلالة من هذه الآيات: الاستدلال بالبَدْء على الإعادة؛ لأن الله - تعالى - هو خالق الكون ابتداءً باعترافهم، فإذا ثبت أنه قادرٌ على ابتداء الخلق، فكيف يعجزُ عن إعادته؟ ومعلومٌ في الشاهد أن الإعادة أهونٌ من الابتداء.

٢ - قال الله - تعالى -: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩].

وجه الدلالة من الآية: أن الأرض تكون ميتة هامدة ليس فيها شجرة خضراء، فينزل عليها المطر؛ فتتهتز خضراء حية، فيها من كل زوج بهيج؛ فالقادر على إحيائها بعد موتها قادرٌ على إحياء الموتى.

ثانيًا: عذاب القبر:

والدليل عليه من الشرع: قوله - تعالى -: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وكذلك قوله - تعالى - في شأن فرعون وقومه: ﴿فَوَقَدَ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥ - ٤٦]؛ فقوله ﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ فيه دليل على عذاب القبر، والمقصود: غدوًّا وعشيًّا من أيام الدنيا^(١).

وعن ابن عباس قال: مرَّ النبي ﷺ بحائط من حيطان المدينة أو مكة، فسمع صوت إنسانين يُعَذِّبان في قبورهما، فقال النبي ﷺ: «يُعَذِّبان، وما يعذبان في كبير»، ثم قال: «بلى، كان أحدهما لا يستتر من بوله، وكان الآخر يمشي بالنميمة»^(٢)، ثم دعا بجريدة فكسرها كسرتين فوضع على كل قبر منهما كسرة.

٦ - الإيمان بالقدر خيره وشره: ومعناه: أن تؤمن بأن ما يجري في هذا الكون؛ من خير أو شر، ومن كفر وإيمان، ومن نعمة ونقمة، ومن رخاء وشدة، ومن مرض وصحة، ومن حياة وموت؛ كل ذلك مقدر، فليس اتفاقاً، وليس أمراً مستأنفاً «أي: لم يسبق تقديره»^(٣).

ومن الإيمان بالقدر أيضاً: أن تؤمن بأن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأن كليهما بقضاء الله وقدره؛ قال - تعالى -: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

(١) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري»، للعيني (١٩٩/٨).

(٢) أخرجه البخاري (٢١٦).

(٣) «شرح ثلاثة الأصول»، لصالح الفوزان (ص ٢١٦).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

واعلم أن الإيمان بالقدر له أربع مراتب، من لم يؤمن بها كلها؛
فليس مؤمناً بالقدر^(١):

الأولى: مرتبة العلم؛ أي: أن الله قد علم كل شيء في الأزل؛ علم ما كان، وما يكون إلى ما لا نهاية، فلا يقع شيء إلا وقد علمه الله ﷻ بعمله القديم الأزلي، الذي هو موصوف به أزلاً وأبداً؛ فمن جحد ذلك؛ فهو كافر. وعلم الله السابق متعلق بكل شيء؛ من الكليات والجزئيات؛ من جلائل الأمور وتفصيلاتها، وهذا العلم السابق أشار الله ﷻ إليه بقوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحج: ٧٠]، وبقوله - تعالى - أيضاً: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

الثانية: مرتبة الكتابة؛ أي: أن الله كتب كل شيء في اللوح المحفوظ؛ فلا يجري شيء مخالف لما هو مكتوب في اللوح المحفوظ؛ قال - تعالى -: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢]؛ أي: في اللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه مقادير كل شيء؛ فعن عبد الواحد بن سليم قال: قدمت مكة، فلقيت عطاء بن أبي رباح، فقلت له: يا أبا محمد، إن أهل البصرة يقولون في القدر، قال: يا بني أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم، قال: فاقرأ الزخرف، قال: فقرأت: ﴿حَمَّ

(١) «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل» (ص ٢٩)، و«معارج القبول بشرح سلم الوصول» (٣/ ٩٢٠).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ ﴿٤﴾ [الزخرف: ١ - ٤]، فقال: أتدري ما أم الكتاب؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه كتاب كتبه الله قبل أن يخلق السماوات، وقبل أن يخلق الأرض، فيه أن فرعون من أهل النار، وفيه ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١]، قال عطاء: فليقت الوليد بن عبادة بن الصامت صاحب رسول الله ﷺ فسأله: ما كان وصية أبيك عند الموت؟ قال: دعاني أبي، فقال لي: يا بني، اتق الله واعلم أنك لن تتقي الله حتى تؤمن بالله، وتؤمن بالقدر كله؛ خيره وشره، فإن ميت على غير هذا دخلت النار؛ إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنْ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ: اكْتُبْ، فَقَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبِ الْقَدَرَ؛ مَا كَانَ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الْأَبَدِ»^(١).

فمن جحد الكتابة، وقال: الله يعلم كل شيء، لكنه لم يكتب في اللوح المحفوظ شيئاً؛ فإنه كافر مرتد عن دين الإسلام.

فلا بد أن يؤمن العبد بأن الله - تعالى - كتب ما الخلق عاملون، وكتب جميع أحوالهم قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وذلك عنده في اللوح المحفوظ، كما قال - تعالى -: ﴿وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقال - تعالى -: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ﴾ [القمر: ٥٣]؛ يعني: قد سطر وكتب في اللوح المحفوظ، وقال - تعالى -: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ

(١) أخرجه الترمذي (٢١٥٥).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها



وَالْأَرْضُ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ [الحج: ٧٠].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «كُتِبَ اللهُ مقاديرَ الخلائقِ قبل أن يخلقَ السماواتِ والأرضَ بخمسين ألفَ سنة، قال: وعرشُه على الماء»^(١).

الثالثة: مرتبة المشيئة؛ أي: مشيئة الله النافذة؛ فما شاء الله كان، وما لم يشأ لا يكون، فليس ثمَّ شيءٌ يحدثُ أو يحصلُ في ملكوت الله - تعالى - إلا وقد شاءه الله - تعالى - وأرادَه كَوْنًا، سواءً في ذلك طاعاتُ المطيعين وعصيانُ العاصين، وسواءً في ذلك إيمانُ المؤمنين وكفرُ الكافرين.

وهذه الدرجة وما بعدها تكونان مع وقوع المقدَّر؛ فلا يمكنُ أن يعملَ العبدُ شيئًا إلا وقد شاءه الله - تعالى -.

الرابعة: مرتبة الخلق والإيجاد؛ فالله وَجَّكَ خالقُ كل شيء؛ من أعمال العباد، وأحوالهم، والسماوات والأرض وجميع من فيهن، خلقه الله - تعالى - فإذا أراد العبدُ أن يعملَ شيئًا؛ فإنه لا يكونُ إلا إذا خلقه الله - تعالى -.

فطاعاتُ المطيعين خلقها الله - تعالى -، ومعاصي العاصين خلقها الله - تعالى -؛ فإذا توجَّه العبدُ بإرادته إلى أن يفعلَ شيئًا؛ فإن شاء الله كَوْنًا؛ وقع بعد خلقه له، وإذا لم يشأه - ولو أرادَه العبدُ - لم يقع؛ قال - تعالى -: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠].

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٣).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الْأَرْكَانِ السُّنَّةُ: قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

• **قَوْلُهُ: «وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الْأَرْكَانِ السُّنَّةُ»؛** لَمَّا ذَكَرَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ هَذِهِ الْأَرْكَانَ، نَاسَبَ أَنْ يَذْكَرَ الدَّلِيلَ عَلَيْهَا مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ؛ لِأَنَّ كُلَّ مَنْ أَثْبَتَ شَيْئًا مِنْ أُمُورِ الدِّينِ - سِوَاءٍ مِنَ الْعَقِيدَةِ أَوْ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ - فَلَا بُدَّ أَنْ يَذْكَرَ الدَّلِيلَ عَلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ السُّنَّةِ. أما الدليل من القرآن؛ فقد ذكره الشيخ هنا، وأما الدليل من السنة؛ فسوف يأتي في حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

• **قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿الْبِرَّ﴾؛** أَي: فَعَلَ الْخَيْرَ الَّذِي يُقَرِّبُ إِلَى اللَّهِ - تَعَالَى - وَيُوصِلُ إِلَى جَنَّتِهِ؛ فَكُلُّ الطَّاعَاتِ دَاخِلَةٌ فِي مَسْمَى الْبِرِّ، وَطَاعَةُ اللَّهِ تَكُونُ: بِامْتِثَالِ الْأَوَامِرِ، وَاجْتِنَابِ النَّوَاهِي.

• **قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ﴾؛** أَي: تَتَوَجَّهُوا إِلَى أَيِّ جِهَةٍ مِنَ الْجِهَاتِ، مِنْ غَيْرِ أَمْرٍ مِنَ اللَّهِ.

• **قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾** فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى خَمْسَةِ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ السُّنَّةِ الَّتِي سَبَقَ ذِكْرُهَا، وَسَيَأْتِي ذِكْرُ الْمُصَنِّفِ الدَّلِيلَ عَلَى الرُّكْنِ السَّادِسِ.

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ رَدٌّ عَلَى الْيَهُودِ الَّذِينَ اسْتَنَكَرُوا تَحْوِيلَ الْقِبْلَةِ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدَسِ إِلَى الْكَعْبَةِ الْمَشْرَفَةِ، وَجَحُودُهُمْ هَذَا إِنَّمَا هُوَ مِنْ بَابِ الْعِنَادِ وَالْمَكَابَرَةِ، وَالْحَسَدِ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَلِهَذِهِ الْأَمَّةُ ^(١).

(١) «شرح ثلاثة الأصول»، لصالح الفوزان (ص ٢١٩).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَدَلِيلُ الْقَدَرِ قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:

[٤٩].



• **قوله:** (ودليل القدر)، هذا هو الدليل على الركن السادس من أركان الإيمان، ومعنى الآية: أن كلَّ شيء خلقه الله؛ فإنه مُقَدَّرٌ في علمه، وفي كتابته، وفي مشيئته وَعَزَّكَ، وليس هو شيئاً عَفْوِيًّا، أو من قبيل الاتفاق، وإنما هو أمرٌ مقدر في علم الله، ومكتوبٌ في اللوح المحفوظ، وسابقٌ في مشيئة الله ﷻ.

وقد ذكرنا سابقاً مراتب الإيمان بالقدر؛ وهي باختصار:

- ١ - علم الله السابق.
- ٢ - الكتابة في اللوح المحفوظ.
- ٣ - مشيئة الله النافذة.
- ٤ - الخلق والإيجاد.

وقد ضلَّ في باب القدر طائفتان من المسلمين^(١):

الطائفة الأولى: الجبرية؛ وهم الذين قالوا: إن العبد مُجَبَّرٌ على عمله، وليس له فيه إرادةٌ أو قدرة.

الطائفة الثانية: القدرية؛ وهم الذين قالوا: إن العبد مُسْتَقِلٌّ بعمله في الإرادة والقدرة، وليس لمشيئة الله وقدرته فيه أثرٌ.

والردُّ على الطائفة الأولى (الجبرية) من جهتين^(٢):

الأولى: الجهة الشرعية؛ فإن الله قد أثبت للعبد إرادةً ومشيئةً،

(١) «شرح العقيدة الواسطية»، للعثيمين (٢/٢١٨).

(٢) «شرح ثلاثة الأصول»، للعثيمين (ص١١٦).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها



وأضاف العمل إليه؛ قال - تعالى -: ﴿مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، وقال - تعالى -: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]، وقال - تعالى -: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

الثانية: الجهة العقلية؛ فإن كل إنسان يعلم الفرق بين أفعاله الاختيارية التي يفعلها بإرادته (كالأكل والشرب) وبين ما يقع عليه بغير إرادته؛ كالحرارة من الحمى، والسقوط من السطح، فهو في الأول فاعلٌ مختار بإرادته من غير جبر، وفي الثاني غير مختار ولا مريد لما وقع عليه.

والرد على الطائفة الثانية أيضًا من جهتين:

الأولى: الجهة الشرعية؛ فإن الله - تعالى - قد بين في كتابه أن أفعال العباد إنما تقع بمشيئته؛ قال - تعالى -: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال - تعالى -: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣].

الثانية: الجهة العقلية؛ فإن الكون كله مملوك لله - تعالى -، والإنسان جزء من هذا الكون؛ فهو مملوك لله - تعالى -، ولا يمكن أن يتصرف المملوك في ملك المالك إلا بإذنه ومشيئته.

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

الْمَرْتَبَةُ الثَّلَاثَةُ: الْإِحْسَانُ، رُكْنٌ وَاحِدٌ؛ وَهُوَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ.



• **قوله: (الإحسان ركنٌ واحدٌ)؛** الإحسان في اللغة: هو إتقان الشيء وإتمامه، مأخوذ من الحُسْن، وهو خلاف القبح؛ تقول: أحسن الرجل؛ أي: أتى أمرًا حسنًا، يُحسن إحساناً^(١).

وينقسم الإحسانُ شرعاً إلى ثلاثة أقسام^(٢):

١ - إحسان بين العبد وبين ربه: وهو إتقان العمل الذي كلف الله به العبد، ويحصل بأن يأتي العبد بالعمل الصالح خالصاً لوجه الله **وَعَلَى**؛ وهو على مرتبتين:

المرتبة الأولى: هي المشاهدة القلبية؛ بأن تعبد الله كأنك تراه، ويحصل هذا بأن يبلغ بك اليقين بالله كأنك تشاهده عياناً؛ ولا يكون عندك ترددٌ أو شك، وهي أعلى المرتبتين.

المرتبة الثانية: هي المراقبة؛ بأن تعلم أن الله يراك ويعلم حالك، ويعلم ما في نفسك، فلا يليق بك أن تعصيه، وتخالف أمره.

٢ - إحسان بين العبد وبين الناس: وهو بذل المعروف لهم، بأن تطعم الجائع، وتكسو العاري، وتعين المحتاج، وتشفع لمن يحتاج إلى الشفاعة، وتبذل جميع وجوه المعروف، وتكف الأذى عن الناس؛ فلا يصدر منك شيء يؤذي أحداً؛ قال - تعالى -: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

(١) «شرح ثلاثة الأصول»، لصالح الفوزان (ص ٢٢١).

(٢) «شرح ثلاثة الأصول»، لصالح الفوزان (ص ٢٢١).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، وَقَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ (٢١٧) الَّذِي يَرِنَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدَيْنِ (٢١٩) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [الشعراء: ٢١٧ - ٢٢٠].

٣ - إحسان بين الإنسان والبهائم: فقد أمر النبي ﷺ بالإحسان إلى البهائم؛ فعن شداد بن أوس، قال: ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ؛ فإذا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وإذا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ»^(١).

ذكر المصنفُ هنا الأدلة من القرآن على مرتبة الإحسان؛ وإليك بيانها:

الدليل الأول: قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾، وفيه إشارة إلى المرتبة الأولى، وهي الإحسان بين العبد وربّه؛ فالله - تعالى - مع المحسنين الذين عبدوه كأنهم يرونه، والمعية هنا معية خاصة؛ بمعنى: النصر، والتأييد، والتوفيق، والسداد.

الدليل الثاني: قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ (٢١٧) الَّذِي يَرِنَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدَيْنِ (٢١٩) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، وفيه إشارة إلى المرتبة الثانية، وهي المراقبة.

• **قوله:** ﴿وَتَوَكَّلْ﴾؛ أي: فوضْ أَمْرَكَ يا محمدُ على الله وَجَّكَ.

• **وقوله:** ﴿الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾، تضمّن صفتين لله - تعالى -؛ فهو العزيز؛ أي: الشديدُ في انتقامه من أعدائه، الرحيم؛ أي: بعباده المؤمنين، الرؤوف بهم.

(١) أخرجه مسلم (١٩٥٥).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

• **وقوله:** ﴿الَّذِي يَرِنَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾؛ أي: حين قيامك إلى عبادتك وصلاتك.

• **وقوله:** ﴿وَتَقَلُّبُكَ فِي السَّجْدَيْنِ﴾؛ أي: بين الركوع والرفع منه، والسجود؛ فهو - سبحانه - يراك رؤيةً تليقُ بجلاله وعظيم سلطانه، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

• **وقوله:** ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾؛ أي: يسمعُ الأقوال، ويعلمُ الأفعال.



شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَقَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١].

الدليل الثالث: قوله - تعالى -: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾، وفيه إشارة إلى المرتبة الثانية أيضاً، وهي المراقبة.

● **قوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾**، هذا خطابٌ للرسول ﷺ وهو عام في جميع الشؤون، من العبادة وغيرها؛ لأن «ما» نافية، وكلمة «شأن» نكرة، والنكرة في سياق النفي تفيد العموم كما هو مقرر في الأصول.

● **وقوله: ﴿وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ﴾**؛ أي: ومن الشأن الذي تكون فيه: تلاوة القرآن.

● **وقوله: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ﴾**، هذا لرسول الله ﷺ وأُمَّته.

● **وقوله: ﴿مَنْ عَمِلَ﴾**؛ يعني: خيراً كان أو شراً.

● **وقوله: ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾** فيه دليل واضح وصريح على أن الله ﷻ شهيدٌ على كل عامل بعمله، وأنه ﷻ يراه ويعلمه ويُبصره ولا يغيبُ عنه.



شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جَبْرِيلَ الْمَشْهُورُ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ...

• **قوله: (والدليل من السنة...)** إلخ، هذا هو حديث جبريل المشهور، وإليك شرحه.

• **قوله: (بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ)**، كان من عادة الصحابة - رضوان الله عليهم - الجلوس بين يدي رسول الله ﷺ يتلقون منه العلم، ويسألونه عن الدين، ويستمعون منه الأجوبة.

• **قوله: (إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ)؛** أي: ظهر لهم جبريل أمين الوحي عليه السلام في صورة رجل، ولم يظهر بصورة ملك.

• **قوله: (لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ)؛** أي: لا يعرفه أحد من الحاضرين، ولهذا تعجبوا منه؛ إذ لم يكن قادمًا من سفر مثلاً، ولا أحد منهم يعرفه؛ فجاء فجلس إلى النبي ﷺ جلوس المتعلم إلى معلمه.

• **قوله: (فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ)؛** أي: وأسند جبريل ركبته إلى ركبتي النبي ﷺ؛ أي: أنه جلس قريبًا منه جدًا، ووضع يديه على فخذي النبي ﷺ، كما جاء صريحًا في بعض الروايات.

• **قوله: (وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ)**، ولم يقل: يا رسول الله، ولعله فعل

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، قَالَ: «أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحْجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، فَقَالَ: صَدَقْتَ، فَعَجِبْنَا لَهُ؛ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ...

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ،

ذلك من أجل أن يظن الصحابة أنه من أهل البادية؛ إذ ليس من عادة الصحابة أن يخاطبوا النبي ﷺ باسمه المجرد؛ بل يقولون: «يا رسول الله»، أو «يا نبي الله».

• **قوله: (أخبرني عن الإسلام...)** إلخ، هذا أحد الأدلة من السنة على أركان الإسلام الخمسة، التي سبق بيانها، وهذه الأركان إن تحققت تحقق الإسلام بها، وما زاد عليها من الأمور الأخرى، فهي مكملات.

• **قوله: (فقال: صدقت، فعجبنا له؛ يسأله ويصدقّه)**، هذا تعجب ثان يدل على أنه عالم وليس بجاهل؛ لتصديقه للنبي ﷺ، إذن؛ فلماذا يسأل؟ ستأتي الإجابة في نهاية الحديث.

• **قوله: (فأخبرني عن الإيمان...)** إلخ؛ هو الدليل من السنة على أركان الإيمان الستة، التي سبق بيانها، ولا يتحقق إيمان العبد إلا بتحقيقها جميعاً، وقد ذكرنا سابقاً أن الإسلام والإيمان إذا ذكرا معاً كان لكل واحد منهما معنى، وإذا افترقا تضمن كل منهما معنى الآخر.

• **قوله: (فأخبرني عن الإحسان)**، هذا هو الدليل من السنة على

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ: قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»...

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ

مرتبة الإحسان، وقد بينا سابقاً أَنَّ المحسنَ هو: مَنْ يعبدُ اللهَ على درجة المشاهدة القلبية واليقين؛ كأنه يراه، وهذا أكملُ المراتب، أو يعبدُه على درجة المراقبة؛ فيعلم أن الله يراه، فيحسن العمل؛ لأن الله مطلعٌ عليه؛ وهذا هو أدنى مراتب الإحسان.

قوله: (فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ)؛ أي: متى قيام الساعة؟ وهذا سؤالٌ لا يَعْلَمُ أَحَدُ الْجَوَابِ عَنْهُ إِلَّا اللَّهُ ﷻ كَمَا قَالَ - تَعَالَى -: ﴿إِنْ اللَّهُ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤]، وَقَالَ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِنُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْعِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةٌ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وَقَالَ - تَعَالَى -: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وَمِنَ الْغَيْبِ: وَقْتُ قِيَامِ السَّاعَةِ.

• **قوله: (مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ)؛ أي: أنا وأنت سواءٌ في هذا؛ لا نعلم متى تقوم الساعة؛ فالله - تعالى - لم يُطْلِعْ أَحَدًا عَلَى وَقْتُ قِيَامِ السَّاعَةِ، لَا الْمَلَائِكَةُ، وَلَا الرُّسُلَ، وَلَا أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ؛ بَلْ هَذَا الْأَمْرُ مِمَّا اسْتَأْثَرَ اللَّهُ ﷻ بِعِلْمِهِ.**

• **قوله: (فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا)، الأمارات: جمعُ أَمَارَةٍ - بِالْفَتْحِ - وَهِيَ الْعَلَامَةُ، وَأَمَّا الْإِمَارَةُ - بِالْكَسْرِ - فَهِيَ الْوِلَايَةُ، وَالْمُرَادُ: أَخْبِرْنِي**

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوُلُونَ فِي الْبُنْيَانِ، قَالَ: فَمَضَى فَلَبِثْنَا مَلِيًّا؛ فَقَالَ: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنْ السَّائِلُ؟»، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «هَذَا جِبْرَائِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ».

عن العلامات التي تدلُّ على قرب قيامها؛ فالساعة لها أمارات وعلامات قد بيَّنها الله؛ منها الصغرى، ومنها الكبرى^(١).

• **قوله: (أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا)**، الأمة: هي المملوكة، وربَّتْها؛ أي: سيدتها، والمعنى - والله أعلم -؛ أنه في آخر الزمان يكثر التسري؛ أي: يكثر وطء الإماء المملوكات؛ فيلدن بنات، فتكون البنت الوليدة حرة، وأُمُّها أمة؛ فتكون البنت سيدهً لأمها^(٢).

• **قوله: (وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ)؛ أي: الذين ليس لهم نعال، بسبب الفقر الشديد.**

• **قوله: (الْعُرَاةَ)؛ أي: الذين ليس لهم لباس يلبسونه.**

• **قوله: «الْعَالَةَ»؛ أي: الفقراء.**

قوله: (رِعَاءَ الشَّاءِ) جمع راع؛ أي: الذين يرعون الأغنام، ويسكنون البراري والبادية، والمراد بهذه العلامة: أن يستوطن هؤلاء المذكورون المدن، ويبنون فيها القصور، والأبنية الشاهقة.

• **قوله: (فَلَبِثْنَا مَلِيًّا)؛ أي: وقتًا طويلاً.**

• **قوله: (هَذَا جِبْرَائِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ)** فيه بيان من

رسول الله ﷺ للسبب من وراء هذه الأسئلة.

(١) «شرح ثلاثة الأصول»، لصالح الفوزان (ص ٢٣٦).

(٢) «شرح ثلاثة الأصول»، لصالح الفوزان (ص ٢٣٧).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

- وقد دل هذا الحديثُ على فوائدٍ عظيمةٍ، نذكر منها ما يلي:
- ١ - أن الدينَ ينقسمُ إلى ثلاثِ مراتبٍ؛ هي: الإسلامُ، والإيمانُ، والإحسانُ؛ وكل مرتبة منها أعلى من التي قبلها على ما بيَّناه.
 - ٢ - أن التعليم بطريق السؤال والجواب مفيدٌ ونافع؛ لأن هذه الطريقة أدعى للانتباه وتلقِّي العلم.
 - ٣ - في الحديث دليلٌ على أن مَنْ سأل عن شيء لا يدرى جوابه، فعليه أن يقول: الله أعلم.



شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

الأصل الثالث: معرفة نبيكم محمد ﷺ.

• **قوله: (الأصل الثالث)؛ أي:** من الأصول الثلاثة التي صنف الشيخ رحمه الله هذا الكتاب لبيانها؛ لأنها مما يجب على كل مسلم أن يعرفه، وقد تقدم شرح الأصلين الأول والثاني، مع بيان أدلتها.

أما **الأصل الثالث**؛ فهو معرفة النبي ﷺ، ولا شك أنه أصل عظيم؛ لأنه يتعلق بسيرة من جاءنا بالبينات والهدى، ودراسة سيرته والنظر فيها من أقوى الدواعي إلى الإيمان به، والاقتداء بهديه ﷺ.

قال أبو محمد بن حزم الأندلسي رحمه الله: «من أراد خير الآخرة، وحكمة الدنيا، وعدل السيرة، والاحتواء على محاسن الأخلاق كلها، واستحقاق الفضائل بأسرها؛ فليقتد بمحمد رسول الله ﷺ، وليستعمل أخلاقه وسيره ما أمكنه، أعاننا الله على الاتساء به بمنه، آمين»^(١).

وقال أيضاً: «إن سيرة محمد ﷺ لمن تدبرها، تقتضي تصديقه ضرورة، وتشهد له بأنه رسول الله حقاً، فلو لم يكن له معجزة غير سيرته؛ لكفى»^(٢).

وقال الإمام الرباني ابن قيم الجوزية رحمه الله: «وإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلقة بهدي النبي ﷺ، فيجب على كل من نصح نفسه، وأحب نجاتها وسعادتها: أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين به، ويدخل به في عداد أتباعه وشيعته وحزبه، والناس في هذا بين مستقل ومستكثر ومحروم، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله

(١) «الأخلاق والسير»، لابن حزم (ص ٦٧، ٦٨).

(٢) «الفصل في الملل والأهواء والنحل»، لابن حزم (٢/٧٣).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

ذو الفضل العظيم^(١).

وقال شيخنا الشيخ عبد الرزاق البدر - حفظه الله -: «وسيرته - عليه الصلاة والسلام - هي أعطر سيرة لأزكى العباد سيرة؛ فهي سيرة إمام المتقين؛ وقدوة الناس أجمعين، وسيد ولد آدم أجمعين، صلوات الله وسلامه عليه، ودراسة سيرته ﷺ هي دراسة سيرة من جعله الله ﷻ للعباد أسوة... وهي تعمق محبته في القلب، وتوسع مساحتها في الفؤاد، وقد قال - عليه الصلاة والسلام -: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»، ولها أثر عظيم على العبد في تحقيق الاتساع والافتداء به، صلوات الله وسلامه عليه»^(٢).

قرّر الشيخ رحمه الله في هذا الأصل الذي يتعلق بسيرة الحبيب أموراً

مهمة؛ وهي:

- ١ - معرفة اسمه.
- ٢ - معرفة نسبه الشريف ﷺ.
- ٣ - معرفة عمره ومكان ولادته.
- ٤ - معرفة مكان هجرته.
- ٥ - معرفة حياته النبوية.
- ٦ - معرفة بماذا كان نبياً.
- ٧ - معرفة بماذا أرسل.

(١) «زاد المعاد في هدي خير العباد» (١/٦٩٧٠).

(٢) «شرح الأرجوزة الميمنية» (ص٥٦).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَهُوَ مُحَمَّدٌ

• **قوله: (وَهُوَ مُحَمَّدٌ)**، قال طائفة من أهل العلم: لم يُسمَّ بهذا الاسم أحدٌ من العرب قبله - عليه الصلاة والسلام -، وإنما كانت العرب تسمي «أحمد» وتسمي «حمداً»، وكل ذلك مشتقٌ من الحمد؛ رغبة في أن يكون المولود من ذوي الحمد؛ أي: ممَّن يحمده الناس على خصاله.

وقال آخرون: بل العرب تسمت بمحمد، لكنه قليل^(١). وهذا الاسم هو أشهر أسمائه - عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم - وقد ورد ذكره في القرآن في أربعة مواطن، وهي:

- أ - ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩].
- ب - ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤].
- ج - ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠].
- د - ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ءَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢].

وله ﷺ أسماء أخرى غير محمد، ثبتت تسميته بها في كتاب الله وسنته ﷺ:

ففي كتاب الله سُمي بأحمد، وقد ذكره الله في قوله في بشارة المسيح عليه السلام به فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ

(١) انظر: «الروض الأنف»، للسهيلى (١/١٩٣)، و«الزهر الباسم»، للحافظ مغلطاي (٣٧٦/١)، و«المورد العذب الهني في الكلام على سيرة الحافظ عبد الغني»، لقطب الدين الحلبي (٢٠/١).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنْ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ؛ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِينَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ.

مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿[الصف: ٦]﴾.

ووردت أسماء أخرى للنبي - عليه الصلاة والسلام - في بعض الأحاديث؛ منها:

حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب»^(١).

وحديث حذيفة قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول في سِكَّةٍ مِنْ سِكَكِ الْمَدِينَةِ: «أنا محمد، وأنا أحمد، والحاشر، والمقفي، ونبي الرحمة»^(٢).

ذكر الشيخ رحمته الله هنا نسب النبي ﷺ؛ فقال: (ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ)؛ فهو إذن من قبيلة قريش التي هي أشرف القبائل.

قال: (وقريش من العرب، والعرب من ذُرِّيَةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِينَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ)، وبعضُ النسَّابين يرفعون شجرة نسبه ﷺ إلى أبينا آدم عليه السلام، وهذا من مبالغاتهم، ولم يثبت في ذلك شيء؛ إنما المتحقق من نسبه: إلى عَدْنَانَ.

قال الحافظ ابن سيّد الناس اليَعْمُري: «هذا هو الصحيح المُجمَعُ

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٢٥).

(١) أخرجه البخاري (٣٥٣٢).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

عليه في نسبه، وما فوق ذلك مختلف فيه، ولا خلاف أن عدنان من ولد إسماعيل نبي الله بن إبراهيم خليل الله ﷺ، وإنما الخلاف في عدد من بين عدنان وإسماعيل من الآباء، فمقل ومكثر، وكذلك من إبراهيم إلى آدم ﷺ؛ لا يعلم ذلك على حقيقته إلا الله^(١)، ولذا: كره بعض السلف رفع نسبه فوق عدنان^(٢).

والعرب قسمان:

- ١ - عرب عاربة: وهم أصل العرب الباقية جميعاً، ويسمّون القحطانيين، وينتسبون إلى سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وقد سكنوا اليمن، ثم تفرقوا في نواحي الجزيرة.
 - ٢ - عرب مستعربة: ويسمّون العدنانيين، وقد نشؤوا في مكة، ومنها تفرقوا في جهات كثيرة من الحجاز وتهامة، وينتهي نسبهم إلى إسماعيل ﷺ كما تقدم؛ لأنه لما أصهر إلى قبيلة جرهم، كان من نسله عدنان الذي تنتسب إليه العرب المستعربة.
- والمراد بالعرب هنا: العرب المستعربة.



(١) «عيون الأثر»، لابن سيد الناس اليعمري (١/ ٧٢).

(٢) انظر: «الفصول في سيرة الرسول ﷺ»، لأبي الفداء ابن كثير (ص ٣٥).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ،
وَوَثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ نَبِيًّا رَسُولًا.

(وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ)، وكانت
ولادته ﷺ بمكة عام الفيل، في مكان يُقال له: شِعْبُ أَبِي طَالِبٍ،
بالقرب من الكعبة الشريفة^(١).

قال: (وَوَثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ نَبِيًّا رَسُولًا)، هذه مدة حياته ﷺ في النبوة؛
فقد عاش ﷺ أربعين سنة قبل النبوة؛ معروفًا بالأمانة، والصدق،
والكرم، وتجنب عبادة الأصنام وشرب الخمر، فلم يكن يعمل ما يعملُه
أهل الجاهلية؛ بل كان - عليه الصلاة والسلام - يخرجُ إلى غار حِراءٍ،
ويتعبَّد فيه الليالي ذوات العدد؛ يعبدُ الله على ملة أبيه إبراهيم الخليل
- عليه وعلى نبيِّنا الصلاة والسلام - أي: على التوحيد.

وقد بعثه الله على رأس الأربعين، فبقي في مكة ثلاث عشرة سنة؛
يدعو الناس إلى التوحيد وترك عبادة الأصنام؛ فأوقع المشركون به - عليه
الصلاة والسلام - وبأصحابه - رضوان الله عليهم - في هذه المدة أنواعًا
من الأذى والنكال، وقبل الهجرة بثلاث سنوات أُسْرِيَ به إلى بيت
المقدس، ثم عُرج به إلى السماء، وفُرضت عليه الصلوات الخمس،
فصلى بمكة ثلاث سنين، فلما تأمرت قريش على قتله، وعلى الفتك به؛
أذن الله له في الهجرة إلى المدينة، فهاجر إلى المدينة، بعدما لقيَ
الأنصارَ، وبايعهم بيعة العقبة الأولى والثانية؛ فمدة عمره في الرسالة:
ثلاث وعشرون سنة^(٢).

(١) «عيون الأثر» (١/٣٣).

(٢) «شرح ثلاثة الأصول»، لصالح الفوزان (ص ٢٥٢).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

نَبِيٍّ بِـ(اِقْرَأْ)، وَأُرْسِلَ بِـ(الْمُدَّثِّرِ)، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ.

وما تحقّق للنبي ﷺ من الخير العظيم، والفضل الكثير، والجهاد المبارك، والتمكين في الأرض؛ كلُّ ذلك تحقّق خلال هذه المدة الوجيزة، ولا شك أن ذلك من آيات الله - تعالى - ونصره لدينه، وتأيدته لنبيه ﷺ؛ قال الله - تعالى -: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١].

فعلى دُعاة الحق السير على نهج هذا الرسول - عليه الصلاة والسلام -، والتزام طريقته في الدعوة إلى هذا الدين القويم، والحرص على الدعوة إلى التوحيد وتصحيح العقائد؛ فبذلك يتحقّق النصر المبين، والتمكين للمسلمين.

• **قوله: «نَبِيٍّ...» إلخ،** فيه بيان أن الله جمع له بين النبوة والرسالة، فكانت نبوته: بنزول سورة «اقرأ» عليه، ورسالته: بنزول سورة «المدثر» عليه؛ فعن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: «أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ، فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدَ لَذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ، فَقَالَ: «اِقْرَأْ»، قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، قَالَ: «فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي»، فَقَالَ: «اِقْرَأْ»، قُلْتُ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي»، فَقَالَ: «اِقْرَأْ»، فَقُلْتُ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي الثَّالِثَةَ، ثُمَّ

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

أَرْسَلَنِي»، فَقَالَ: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ١ - ٣].

فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجِفُ فُؤَادَهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ حُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي»، فَرَمَلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِحَدِيجَةَ - وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ -: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي»، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ بْنِ أَسَدٍ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى، ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ، وَكَانَ امْرَأً تَنْصَرَفَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي، مَاذَا تَرَى، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْمُخِرَجِي هُمْ»، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوفِّيَ، وَفَتَرَ الْوَحْيَ^(١).

هذا مبدأ نبوته ﷺ؛ فقد نزل عليه قوله - تعالى -: ﴿أَقْرَأْ﴾، فصار نبيًا بذلك، ثم نزل عليه أول سورة «المدثر»، فبدأت الرسالة، وهذا معنى قول الشيخ: (نَبِيُّ بـ«أَقْرَأْ»، وَأُرْسِلَ بـ«المدثر»).

(١) أخرجه البخاري (٣).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

«فائدة»: ما الفرق بين النبي والرسول؟

لأهل العلم كلامٌ طويلٌ في هذه المسألة، ومن أجمع ما ذكر في ذلك قولُ شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فالنبيُّ: هو الذي يُنبئُ الله، وهو يُنبئُ بما أنبأ الله به، فإن أُرسل مع ذلك إلى مَنْ خالف أمر الله ليلغيه رسالة من الله إليه؛ فهو رسولٌ، وأما إذا كان إنما يعمل بالشرعة قبله، ولم يُرسل هو إلى أحد يُبلّغه عن الله رسالةً؛ فهو نبيٌّ، وليس برسول»^(١).



شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

بَعَثَهُ اللَّهُ بِالنَّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ.

• **قوله: (بَعَثَهُ اللَّهُ بِالنَّذَارَةِ...)** إلخ؛ أي: أن الله ﷻ أرسل نبيّه لينذرَ الناسَ عن الشرك، ويدعو إلى التوحيد، هذه هي دعوته ﷻ، وهذا هو الذي يجبُ أن يسيرَ عليه الدعاةُ الصادقون في دعوتهم؛ إنذارُ الناس من الوقوع في الشرك، ودعوتهم إلى التوحيد أولاً، وبخلاف ذلك لا تكونُ الدعوةُ على منهج الرسول ﷺ.

فلا بد من تأصيل هذا المنهج أولاً، ثم بعد ذلك يحصلُ البيانُ للأحكام الأخرى؛ لأنه لا يقومُ الدينُ إلا بوجود التوحيد أولاً، فلو أن الناس تركوا الزنا والخمرَ والسرقَةَ، واتَّصفوا بكل فضيلة من الأعمال والأخلاق، لكنهم لم يتركوا الشركَ، فلن ينفعهم ذلك عند الله، أمّا لو سلّم الإنسانُ من الشرك، ووقع في الكبائر دون الشرك، فهو مرجوٌّ أن يَغْفِرَ الله له برحمته، وقد يُعَذَّبُ بقدر ذنوبه، ولكن مآله إلى الجنة؛ لأنه موحد، ففي الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: «قلتُ: يا رسول الله، ابنُ جُدعانَ كان في الجاهلية يصلُّ الرحمَ، ويُطعمُ المسكينَ، فهل ذاك نافعُه؟ قال: «لا ينفعُه؛ إنه لم يقلْ يوماً: رب اغفرْ لي خطيئتي يومَ الدين»^(١).

فابنُ جدعانَ - مع ما كان عليه من أخلاقٍ كريمة، وإحسانٍ للخلق - لم ينفعه ذلك؛ لأنه لم يوحد الله، ولم يعملْ ما عملَ بناءً على أساس التوحيد؛ قال الله - تعالى -: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً﴾ [الفرقان: ٢٣].

(١) أخرجه مسلم (٢١٤).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدِيرُ ۝ فُرُ فَأَنْذِرْ ۝﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝ وَنِبَاكَ فَطَهِّرْ ۝ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْبِرُ ۝ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝ [المدر: ١ - ٧]، وَمَعْنَى ﴿فُرُ فَأَنْذِرْ﴾:

لَمَّا ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنْ اللَّهَ أَرْسَلَ نَبِيَّهٖ ﷺ بِالنَّذَارَةِ عَنِ الشَّرِكِ، وَالدَّعْوَةِ إِلَى التَّوْحِيدِ؛ أَتْبَعَ ذَلِكَ بِذِكْرِ الدَّلِيلِ كَعَادَتِهِ؛ وَهُوَ قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدِيرُ ۝ فُرُ فَأَنْذِرْ ۝﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝ وَنِبَاكَ فَطَهِّرْ ۝ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْبِرُ ۝ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝ [المدر: ١ - ٧]، فَهَذِهِ الْآيَاتُ أَوَّلُ مَا نَزَلَ بَعْدَ الرِّسَالَةِ؛ فَعَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَوَّلِ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ، قَالَ: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدِيرُ﴾، قُلْتُ: يَقُولُونَ: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، فَقَالَ أَبُو سَلَمَةَ: سَأَلْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ ذَلِكَ، وَقُلْتُ لَهُ مِثْلَ مَا قُلْتُ لِي، فَقَالَ جَابِرٌ: لَا أَحَدَّثُكَ إِلَّا مَا حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «جَاوَرْتُ بِحِرَاءٍ، فَلَمَّا قَضَيْتُ جَوَارِي هَبَطْتُ، فَتَوَدَّيْتُ، فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي فَلَمْ أَرِ شَيْئًا، وَنَظَرْتُ عَنْ شِمَالِي فَلَمْ أَرِ شَيْئًا، وَنَظَرْتُ أَمَامِي فَلَمْ أَرِ شَيْئًا، وَنَظَرْتُ خَلْفِي فَلَمْ أَرِ شَيْئًا، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ شَيْئًا، فَاتَيْتُ خَدِيجَةَ، فَقُلْتُ: دَثِّرُونِي وَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا، قَالَ: فَدَثَّرُونِي وَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا، قَالَ: فَنَزَلَتْ: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدِيرُ ۝ فُرُ فَأَنْذِرْ ۝﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝ [المدر: ١ - ٣]»^(١).

• **وقوله - تعالى -: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدِيرُ﴾** خطابٌ موجهٌ إلى رسول الله ﷺ، والتدثر: التلطف، والتغطية.

• **وقوله - تعالى -: ﴿فُرُ فَأَنْذِرْ﴾**؛ أي: شَمِّرْ عن ساق العزم، وأنذر

(١) أخرجه البخاري (٤٩٢٢).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

يُنْذِرُ عَنِ الشَّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ أَي: عَظِّمُهُ
بِالتَّوْحِيدِ، ﴿وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أَي: طَهِّرْ عَمَلَكَ عَنِ الشَّرْكِ، ﴿وَالرُّجْزَ
فَاهْجُرْ﴾؛ الرُّجْزُ: الْأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلِهَا.

أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ.

النَّاسَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا بِاللَّهِ، وَعَبَدُوا غَيْرَهُ؛ أَي: أَنْذَرَهُمْ وَخَوَّفَهُمْ
عَذَابَ اللَّهِ، وَقَدْ فَسَّرَهُ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: (يُنْذِرُ عَنِ الشَّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى
التَّوْحِيدِ)، وَبِهَذَا الْأَمْرُ حَصَلَ الْإِرْسَالُ.

وقوله - تعالى -: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾؛ أَي: عَظِّمُ رَبَّكَ بِعِبَادَتِهِ وَالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ
فِي حَاجَاتِكَ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْأَلْهَةِ وَالْأَنْدَادِ، وَقَدْ فَسَّرَهُ الشَّيْخُ بِقَوْلِهِ: (أَي:
عَظِّمُهُ بِالتَّوْحِيدِ).

• وقوله - تعالى -: ﴿وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾؛ أَي: لَا تَلْبَسْهَا عَلَى مَعْصِيَةٍ،
وَلَا عَلَى غَدْرَةٍ، وَطَهِّرْ أَعْمَالَكَ مِنَ الشَّرْكِ؛ فَالْتِيَابُ كُنَايَةٌ عَنِ الْأَعْمَالِ؛
قَالَ اللَّهُ - تعالى -: ﴿وَلِبَاسُ الْقَوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]، وَقَدْ فَسَّرَهُ
الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: (أَي: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشَّرْكِ).

• وقوله - تعالى -: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ فَسَّرَهُ الشَّيْخُ بِقَوْلِهِ: (الرُّجْزُ:
الْأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلِهَا).

• قوله: (أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ)؛ أَي: ظَلَّ النَّبِيُّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ
فِي مَكَّةَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَيَحْذَرُهُمْ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ
الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا، وَلَمْ يُؤْمَرْ بِشَيْءٍ غَيْرِ ذَلِكَ.

فَالْتَوْحِيدُ شَأْنُهُ عَظِيمٌ؛ لِأَنَّهُ أَسَاسُ الْمِلَّةِ، وَأَصْلُ الْعَقِيدَةِ، «وَحَاجَةُ
الْعِبَادِ إِلَيْهِ فَوْقَ كُلِّ حَاجَةٍ، وَضُرُورَتُهُمْ إِلَيْهِ فَوْقَ كُلِّ ضَرُورَةٍ؛ لِأَنَّهُ لَا
حَيَاةَ لِلْقُلُوبِ، وَلَا نَعِيمَ وَلَا طَمَآنِينَةَ؛ إِلَّا بِأَنْ تَعْرِفَ رَبَّهَا وَمَعْبُودَهَا

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وفاطرها، بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويكون مع ذلك كله أحبَّ إليها مما سواه، ويكون سعيها فيما يقربها إليه دون غيره من سائر خلقه»^(١).
ولكن من الناس - مع الأسف - من يهون من شأن التوحيد، ويسمي دعائه بـ«الدعاة التقليديين»، ولا شك أن هذا دليل على جهلهم بهذا الأصل العظيم، وقلة خبرتهم بمنهج الأنبياء والسلف الصالح في الدعوة إلى الله.

قال شيخنا صالح الفوزان: «التوحيد هو الأصل والأساس، ولا نجاة إلا بوجود التوحيد أولاً، ولذا يجب التركيز عليه، والعناية به دائماً وأبداً، ودعوة الناس إليه، وتعليم الناس إياه، وأن يبين ما معنى التوحيد، وما معنى الشرك، لا بد أن يعرف المسلم هذا الأمر ويتحقق منه، ويتفقد نفسه؛ حتى لا يقع في شيء من الشرك، أو يخل بالتوحيد، فلا بد من هذا الأمر، ولا بد أن تقوم الدعوة على هذا الأساس»^(٢).

والحكمة من بعثة النبي ﷺ في مكة: أنها أم القرى؛ أي: أصلها الذي ترجع إليه جميع القرى؛ قال - تعالى -: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ؕ أَيْنَتْنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [القصص: ٥٩]، فوجب تطهير مكة من كل ما يخالف الإسلام، حتى يصدر منها الدين والدعوة إلى مشارق الأرض ومغاربها؛ قال - تعالى -: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥].

(١) «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز (١/١٠٩).

(٢) «شرح ثلاثة الأصول»، لفضيلة الشيخ صالح الفوزان (ص ٢٥٣).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ.

• **قوله** رَحِمَهُ اللهُ: **(وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ)؛** أي: في السنة الحادية عشرة أُسْرِيَ بالنبي ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى؛ قال - تعالى -: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ الْإِنشَاءِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: 1]، ثم عُرِجَ به إلى السماء.

فعن شريك بن عبد الله قال: سمعت أنس بن مالك يقول: «لَيْلَةُ أُسْرِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ أَنَّهُ جَاءَهُ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ وَهُوَ نَائِمٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَقَالَ أَوْلَهُمْ: أَيُّهُمْ هُوَ، فَقَالَ أَوْسَطُهُمْ: هُوَ خَيْرُهُمْ، فَقَالَ آخِرُهُمْ: خُذُوا خَيْرَهُمْ، فَكَانَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فَلَمْ يَرَهُمْ حَتَّى أَتَوْهُ لَيْلَةً أُخْرَى فِيمَا يَرَى قَلْبُهُ، وَتَنَامُ عَيْنُهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ، وَكَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلَا تَنَامُ قُلُوبُهُمْ، فَلَمْ يُكَلِّمُوهُ حَتَّى احْتَمَلُوهُ فَوَضَعُوهُ عِنْدَ بَرْ زَمْزَمَ، فَتَوَلَّاهُ مِنْهُمْ جِبْرِيلُ، فَشَقَّ جِبْرِيلُ مَا بَيْنَ نَحْرِهِ إِلَى لَبَّتِهِ حَتَّى فَرَّغَ مِنْ صَدْرِهِ وَجَوْفِهِ، فَعَسَلَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ بِيَدِهِ حَتَّى أَنْقَى جَوْفَهُ، ثُمَّ أَتَى بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهِ تَوْرٌ مِنْ ذَهَبٍ مَحْشُورًا إِيْمَانًا وَحِكْمَةً، فَحَشَا بِهِ صَدْرَهُ وَلَعَادِيدَهُ - يَعْنِي: عُرُوقَ حَلْقِهِ - ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَضْرَبَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِهَا، فَنَادَاهُ أَهْلُ السَّمَاءِ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: جِبْرِيلُ، قَالُوا: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مَعِيَ مُحَمَّدٌ، قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: فَمَرْحَبًا بِهِ وَأَهْلًا، فَيَسْتَبْشِرُ بِهِ أَهْلُ السَّمَاءِ لَا يَعْلَمُ أَهْلُ السَّمَاءِ بِمَا يُرِيدُ اللَّهُ بِهِ فِي الْأَرْضِ حَتَّى يُعْلِمَهُمْ، فَوَجَدَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا آدَمَ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَرَدَّ عَلَيْهِ آدَمَ، وَقَالَ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا بِابْنِي، نَعَمْ الْإِبْنُ أَنْتَ، فَإِذَا هُوَ فِي

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِنَهْرَيْنِ يَطْرِدَانِ، فَقَالَ: مَا هَذَانِ النَّهْرَانِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا النَّيْلُ وَالْفَرَاتُ عُنُصْرُهُمَا، ثُمَّ مَضَى بِهِ فِي السَّمَاءِ، فَإِذَا هُوَ بِنَهْرٍ آخَرَ عَلَيْهِ قَصْرٌ مِنْ لَوْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ، فَضْرَبَ يَدَهُ، فَإِذَا هُوَ مِسْكٌ أَذْفَرُ، قَالَ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي حَبَأَ لَكَ رَبُّكَ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَتْ لَهُ الْأُولَى: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قَالُوا: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ قَالُوا: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: مَرْحَبًا بِهِ وَأَهْلًا، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، وَقَالُوا لَهُ مِثْلَ مَا قَالَتْ الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى الرَّابِعَةِ، فَقَالُوا لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَقَالُوا مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَقَالُوا لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَقَالُوا لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ؛ كُلُّ سَمَاءٍ فِيهَا أَنْبِيَاءٌ قَدْ سَمَاهُمْ، فَأَوْعَيْتُ مِنْهُمْ إِدْرِيسَ فِي الثَّانِيَةِ، وَهَارُونَ فِي الرَّابِعَةِ، وَآخَرَ فِي الْخَامِسَةِ، لَمْ أَحْفَظْ اسْمَهُ، وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّادِسَةِ، وَمُوسَى فِي السَّابِعَةِ بِتَفْضِيلِ كَلَامِ اللَّهِ، فَقَالَ مُوسَى: رَبِّ لَمْ أَظَنَّ أَنْ يُرْفَعَ عَلَيَّ أَحَدٌ، ثُمَّ عَلَا بِهِ فَوْقَ ذَلِكَ بِمَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ، حَتَّى جَاءَ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، وَدَنَا لِلْجَبَّارِ رَبِّ الْعِزَّةِ، فَتَدَلَّى، حَتَّى كَانَ مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، فَأَوْحَى اللَّهُ فِيمَا أَوْحَى إِلَيْهِ: خَمْسِينَ صَلَاةً عَلَى أُمَّتِكَ كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، ثُمَّ هَبَطَ حَتَّى بَلَغَ مُوسَى، فَاحْتَبَسَهُ مُوسَى، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ؛ مَاذَا عَاهَدَ إِلَيْكَ رَبُّكَ؟ قَالَ: عَاهَدَ إِلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، فَارْجِعْ، فَلْيُخَفِّفْ عَنْكَ رَبُّكَ وَعَنْهُمْ، فَالْتَمَتِ النَّبِيُّ ﷺ

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

إِلَى جِبْرِيلَ كَأَنَّهُ يَسْتَشِيرُهُ فِي ذَلِكَ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ جِبْرِيلُ: أَنْ نَعَمْ إِنْ شِئْتَ، فَعَلَا بِهِ إِلَى الْجَبَّارِ، فَقَالَ - وَهُوَ مَكَانُهُ -: يَا رَبِّ، خَفَّفْ عَنَّا؛ فَإِنَّ أُمَّتِي لَا تَسْتَطِيعُ هَذَا، فَوَضَعَ عَنْهُ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مُوسَى، فَاخْتَبَسَهُ، فَلَمْ يَزَلْ يُرَدِّدُهُ مُوسَى إِلَى رَبِّهِ حَتَّى صَارَتْ إِلَى خَمْسِ صَلَوَاتٍ، ثُمَّ اخْتَبَسَهُ مُوسَى عِنْدَ الْخَمْسِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، وَاللَّهِ لَقَدْ رَاوَدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَوْمِي عَلَى أَذْنَى مِنْ هَذَا، فَضَعُفُوا، فَتَرَكَوهُ، فَأُتِمَّتْكَ أَضْعَفُ أَجْسَادًا وَقُلُوبًا وَأَبْدَانًا وَأَبْصَارًا وَأَسْمَاعًا، فَارْجِعْ، فَلْيُخَفَّفْ عَنْكَ رَبُّكَ، كُلَّ ذَلِكَ يَلْتَفِتُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى جِبْرِيلَ لِيُشِيرَ عَلَيْهِ، وَلَا يَكْرَهُ ذَلِكَ جِبْرِيلُ، فَرَفَعَهُ عِنْدَ الْخَامِسَةِ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، إِنَّ أُمَّتِي ضُعَفَاءُ أَجْسَادُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ وَأَسْمَاعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَأَبْدَانُهُمْ، فَخَفَّفْ عَنَّا، فَقَالَ الْجَبَّارُ: يَا مُحَمَّدُ، قَالَ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: إِنَّهُ لَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ، كَمَا فَرَضْتُهُ عَلَيْكَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ، قَالَ: فَكُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا؛ فَهِيَ خَمْسُونَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ، وَهِيَ خَمْسٌ عَلَيْكَ، فَارْجِعْ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: كَيْفَ فَعَلْتُ؟ فَقَالَ: خَفَّفْ عَنَّا؛ أَعْطَانَا بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا، قَالَ مُوسَى: قَدْ - وَاللَّهِ - رَاوَدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى أَذْنَى مِنْ ذَلِكَ، فَتَرَكَوهُ، ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَلْيُخَفَّفْ عَنْكَ أَيْضًا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا مُوسَى، قَدْ - وَاللَّهِ - اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي مِمَّا اخْتَلَفْتُ إِلَيْهِ، قَالَ: فَاهْبِطْ بِاسْمِ اللَّهِ، قَالَ: وَاسْتَيْقِظْ وَهُوَ فِي مَسْجِدِ الْحَرَامِ^(١).

هذه الحوادث التي وقعت لنبيِّنا ﷺ في هذه الليلة من الدلائل

(١) أخرجه البخاري (٧٥١٧).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

.....

العظيمة على نبوته؛ فقد لقي الأنبياء في بيت المقدس، ثم عُرج به إلى السماء.

وقد أُسري به ﷺ مرة واحدة؛ برُوحه وجسده، يقظة لا منامًا، على الصحيح^(١).



شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِينَ.

• **قوله: (وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ)؛ أي:** في تلك الليلة فُرِضَتْ عليه وعلى أمته الصلوات الخمس، وكانت أول ما فُرِضَتْ ركعتين ركعتين، إلا المغرب؛ فإنها فُرِضَتْ ثلاثاً؛ لأنها وترُ النهار، فلما هاجر النبي ﷺ صارت الصلوات رباعية، إلا الفجر بقيت ركعتين، كما قالت عائشة رضي الله عنها: «فُرِضَتْ الصلاة ركعتين، ثم هاجر النبي ﷺ ففُرِضَتْ أربعاً، وترك صلاة السفر على الأولى»^(١).

ونزل عليه جبريل ﷺ فعلمه أوقاتها، قال القرطبي: «ولم يختلفوا في أن جبريل ﷺ هبط صبيحة ليلة الإسراء عند الزوال؛ فعلم النبي ﷺ الصلاة ومواقيتها»^(٢)؛ فعن جابر بن عبد الله أن جبريل أتى النبي ﷺ يعلمه مواقيت الصلاة، فتقدم جبريل، ورسول الله ﷺ خلفه، والناس خلف رسول الله ﷺ، فصلى الظهر حين زالت الشمس، وأتاه حين كان الظل مثل شخصه، فصنع كما صنع، فتقدم جبريل، ورسول الله ﷺ خلفه، والناس خلف رسول الله ﷺ، فصلى العصر، ثم أتاه حين وجبت الشمس، فتقدم جبريل ورسول الله ﷺ خلفه، والناس خلف رسول الله ﷺ، فصلى المغرب، ثم أتاه حين غاب الشفق، فتقدم جبريل، ورسول الله ﷺ خلفه، والناس خلف رسول الله ﷺ، فصلى العشاء، ثم أتاه حين انشق الفجر، فتقدم جبريل، ورسول الله ﷺ خلفه، والناس خلف رسول الله ﷺ، فصلى العداة، ثم أتاه اليوم الثاني حين كان ظل الرجل مثل شخصه، فصنع مثل ما صنع بالأمس، فصلى الظهر، ثم أتاه حين كان ظل الرجل مثل شخصه، فصنع كما صنع بالأمس، فصلى العصر، ثم أتاه حين وجبت

(٢) «تفسير القرطبي» (١٠/٢١١).

(١) أخرجه البخاري (٣٩٣٥).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَبَعْدَهَا أَمْرٌ بِالْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَالْهَجْرَةُ: الْإِنْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الْإِسْلَامِ.

الشمس، فصنع كما صنع بالأمس، فصلى المغرب، فَمِنَّمَا ثم قمنا، ثم نمنا ثم قمنا، فأتاه فصنع كما صنع بالأمس، فصلى العشاء، ثم أتاه حين امتدَّ الفجر، وأصبح والنجوم باديةً مُشْتَبِكَةً، فصنع كما صنع بالأمس، فصلى الغداة، ثم قال: «ما بين هاتين الصلاتين وقتٌ»^(١).

• **قوله: (وبعدها أمر بالهجرة إلى المدينة)**، لما اشتدَّ أذى قريش، وزاد شرُّهم؛ بالصدِّ عن سبيل الله، ومضايقة المسلمين، وتعذيب مَنْ ليس له عشيرة تحميه؛ أذن للمسلمين في الهجرة الأولى إلى الحبشة؛ لأنَّ فيها ملجأ لا يُظلم أحدٌ عنده، ثم عادوا وهاجروا مرةً أخرى إلى الحبشة؛ الهجرة الثانية، كما هو معروف في السيرة، ثم لقي النبي ﷺ اثني عشر رجلاً من الأنصار في منى في موسم الحج، فدعاهم إلى الله وإلى التوحيد، فقبلوا منه دعوته، وبايعوه على الإسلام ببيعة العقبة الأولى، ثم رجعوا إلى قومهم فدعَّوهم إلى الله ﷻ، فأتى النبي ﷺ في الموسم الذي بعده سبعون رجلاً، وبايعوه ببيعة العقبة الثانية؛ وبعد هذه البيعة المباركة أمر النبي ﷺ مَنْ كان في مكة من المسلمين بالهجرة إلى المدينة، فهاجر مَنْ هاجر، وبقي الرسول وبعض أصحابه، حتى أذن الله لنبيه ﷺ في الهجرة إلى المدينة.

• **قوله ﷺ في تعريف الهجرة: (الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام)**، هذا تعريفها في الشرع، أما في اللغة: فهي المفارقة

(١) أخرجه النسائي (٥١٣).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وترك الشيء^(١).

وبلد الشرك: هو الذي تقام فيه شعائر الكفر، ولا تقام فيه شعائر الإسلام على وجه عام شامل.

وبلد الإسلام: هو البلد الذي تقام فيه شعائر الإسلام على وجه عام شامل^(٢)؛ كالأذان وصلاة الجماعة، والأعياد والجمعة.

والصلاة أهم هذه الشعائر، فإذا كانت الصلاة مظهرًا من مظاهر بلد ما؛ فهو بلد إسلام، أما إذا كانت الصلاة لا يُقيمها إلا أفراد أو جماعات متفرقة، وليست من مظاهر البلد العامة؛ فلا يُحكم لهذا البلد بأنه بلد إسلام، وذلك كالبلاد التي فيها أقلّيات مسلمة، يُقيمون فيها الصلاة، ولكن على نطاق ضيق في حدود مجتمعهم الذي يعيشون فيه، أو في حدود بيئتهم؛ فلا توجد عندهم المآذن، ولا يُسمع الأذان في الأنحاء، فمثل هذا لا يُعدّ بلد إسلام، فمثلاً: فرنسا فيها أقلّيات مسلمة، وفيها إقامة للصلاة من قبل هؤلاء الذين وصفناهم، ولكن لا تُعدّ الصلاة مظهرًا من مظاهر البلد؛ فلا يُطلق عليها بلد إسلام لهذا الاعتبار.

قال الشيخ صالح آل الشيخ: «هذا معنى ما قرّره الشيخ محمد بن إبراهيم - حينما سئل عن دار الكفر ما هي؟ فقال: دار الكفر: هي الدار التي يظهر فيها الكفر، ويكون غالبًا».

إذن؛ إذا ظهر الشرك في بلدة، وصار ظهوره غالبًا، معنى ذلك:

(١) انظر: «مفردات ألفاظ القرآن»، للراغب (ص ٨٣٣)، مادة: (هجر).

(٢) انظر: «شرح ثلاثة الأصول»، لفضيلة الشيخ العثيمين (ص ١٢٩ - ١٣٠).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها



أن يكون منتشرًا ظاهرًا بينًا غالبًا للخير؛ فإنَّ هذه الدار تُسمَّى بلدَ شركٍ، هذا باعتبار ما وقع؛ وهو الشرك، أما باعتبار أهل الدار؛ فهذه مسألة فيها خلافٌ بين أهل العلم...

وقد سئل شيخ الإسلام - عن بلدٍ تَظَهَّرَ فيها أحكامُ الكفر وتَظَهَّرَ فيها أحكامُ الإسلام، فقال: هذه الدارُ لا يُحكَّمُ عليها بأنها دارُ كفر، ولا أنها دارُ إسلام؛ بل يُعاملُ المسلمُ فيها بحسبه، ويُعاملُ فيها الكافرُ بحسبه»^(١).

ومناسبة ذكر الهجرة ضمن الأصول الثلاثة التي يجبُ على المسلم معرفتها: بيانُ أن الهجرة من أبرز تكاليفِ الولاء والبراء.



شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَالْهَجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ
الإِسْلَامِ،



بَيَّنَ الشَّيْخُ - حَكَمَ الْهَجْرَةَ؛ فَقَالَ: (الْهَجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ)؛
أَي: وَاجِبٌ عَيْنِي عَلَى كُلِّ مَنْ خَافَ عَلَى دِينِهِ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُقِيمَهُ.

• **وَقَوْلُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ: (مَنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الْإِسْلَامِ)؛** هَذَا فِيهِ بَيَانٌ مِنَ
الشَّيْخِ - أَنَّ الْهَجْرَةَ لَيْسَتْ مُطْلَقَةً، وَإِنَّمَا تَكُونُ مِنْ بَلَدٍ يَظْهَرُ فِيهِ الشِّرْكَ
إِلَى بَلَدٍ فِيهِ الْإِسْلَامُ ظَاهِرٌ، أَوْ مِنْ بَلَدٍ تَظْهَرُ فِيهِ الْبِدْعَةُ إِلَى بَلَدٍ فِيهِ السُّنَّةُ
ظَاهِرَةٌ، كَمَا ذَكَرَ أَهْلُ الْعِلْمِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - فِي أَنْوَاعِ الْهَجْرَةِ وَالْخُرُوجِ
مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ.

وَلِلْعَلَّامَةِ ابْنِ الْعَرَبِيِّ الْمَالِكِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَفْصِيلٌ حَسَنٌ فِي ذَلِكَ؛ إِذْ قَالَ:
«وَهِيَ [أَي: الْهَجْرَةُ] تَنْقَسِمُ إِلَى سِتَّةِ أَقْسَامٍ:

الأول: الْخُرُوجُ مِنْ دَارِ الْحَرْبِ إِلَى دَارِ الْإِسْلَامِ، وَكَانَتْ فَرَضًا فِي
أَيَّامِ النَّبِيِّ ﷺ وَهَذِهِ الْهَجْرَةُ بَاقِيَةٌ مَفْرُوضَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَالتِّي انْقَطَعَتْ
بِالْفَتْحِ هِيَ الْقَصْدُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ حَيْثُ كَانَ، فَمَنْ أَسْلَمَ فِي دَارِ الْحَرْبِ
وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُرُوجُ إِلَى دَارِ الْإِسْلَامِ؛ فَإِنْ بَقِيَ فَقَدْ عَصَى.

الثاني: الْخُرُوجُ مِنْ أَرْضِ الْبِدْعَةِ؛ قَالَ ابْنُ الْقَاسِمِ: سَمِعْتُ مَالِكًا
يَقُولُ: لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يُقِيمَ بِبَلَدٍ سُبَّ فِيهَا السَّلَفُ، وَهَذَا صَحِيحٌ، فَإِنْ
الْمُنْكَرَ إِذَا لَمْ يُقَدَّرْ عَلَى تَغْيِيرِهِ نُزِلَ عَنْهُ؛ قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى -: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ
الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ
فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

وَقَدْ كُنْتُ قُلْتُ لِشَيْخِنَا الْإِمَامِ الزَّاهِدِ أَبِي بَكْرٍ الْفَهْرِيِّ: ارْحَلْ عَنْ
أَرْضِ مِصْرَ إِلَى بِلَادِكَ، فَيَقُولُ: لَا أَحِبُّ أَنْ أَدْخَلَ بِلَادًا غَلَبَ عَلَيْهَا

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها



كثرة الجهل وقلة العقل، فأقول له: فارتحل إلى مكة، أقم في جوار الله وجوار رسوله؛ فقد علمت أن الخروج عن هذه الأرض فرض، لما فيها من البدعة والحرام، فيقول: وعلى يدي فيها هدى كثير، وإرشاد للخلق، وتوحيد، وصد عن العقائد السيئة، ودعاء إلى الله - عز وجل - وتعالى -.

الثالث: الخروج عن أرض غلب عليها الحرام؛ فإن طلب الحلال فرض على كل مسلم.

الرابع: الفرار من الإذاية في البدن؛ وذلك فضل من الله ﷻ أرخص فيه، فإذا خشي المرء على نفسه في موضع فقد أذن الله - سبحانه - له في الخروج عنه، والفرار بنفسه؛ ليخلصها من ذلك المحذور.

وأول من حفظناه فيه: الخليل إبراهيم ﷺ لما خاف من قومه قال: ﴿فَأَمِنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [العنكبوت: ٢٦]، وقال: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ [الصافات: ٩٩]، وموسى قال - سبحانه - فيه: ﴿فَرَجَّ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢١]، وذلك يكثر تعداده.

الخامس: خوف المرض في البلاد الوخمة، والخروج منها إلى الأرض النزهة؛ وقد أذن النبي ﷺ للرعاة حين استوخموا المدينة أن يتنزهوا إلى المسرح، فيكونوا فيه حتى يصحوا، وقد استثنى من ذلك الخروج من الطاعون؛ فمنع الله - سبحانه - منه بالحديث الصحيح عنه النبي ﷺ؛ بيد أنني رأيت علماءنا قالوا: هو مكروه.

السادس: الفرار خوف الإذاية في المال؛ فإن حرمة مال المسلم

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ.

كحرمة دمه، والأهل مثله أو آكد»^(١).

• **قوله: (وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ)؛** أي: أن حكم الهجرة باقٍ إلى قيام الساعة؛ أي: إلى أن تظهر علامة الساعة الكبرى؛ فحينئذٍ تنقطع الهجرة ولا تنفع صاحبها؛ كالتوبة^(٢)، كما في حديث معاوية قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها»^(٣).

قال شيخنا صالح الفوزان: «الهجرة قرينة الجهاد في سبيل الله، وهي فريضة باقية غير منسوخة، فيجب على كل مسلم يحتاج إلى الهجرة أن يهاجر، ولا يجوز للمسلم أن يقيم في بلاد الكفر، وهو لا يقدر على إظهار دينه»^(٤).



(١) «أحكام القرآن» (١/ ٤٨٤، ٤٨٦).

(٢) انظر: «شرح ثلاثة الأصول»، للشيخ الغنيمان (ص ١٦٤).

(٣) أخرجه أبو داود (٢٤٨٩).

(٤) انظر: «شرح ثلاثة الأصول»، لفصيحة الشيخ صالح الفوزان (ص ٢٦٦).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۝٩٨﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ۝٩٩﴾ [النساء: ٩٧ - ٩٩]، وَقَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ فَإِنِّي فَأَعْبُدُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٦]، قَالَ الْبَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ وَلَمْ يَهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللَّهُ بِاسْمِ الْإِيمَانِ.

استدلَّ الشيخُ - على وجوب الهجرة بآيتين فيهما الوعيدُ لِمَنْ ترك الهجرة، وهو يقدرُ عليها، إذا تحقَّقت أسبابُها؛ فَمَنْ لم يهاجرْ حينئذٍ فمأواه جهنمُ وساءت مصيرًا، ولا يخرجُ من الإسلام بذلك، لكن يكون مرتكبًا كبيرةً.

• **قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾** [النساء: ٩٨] فيه بيانُ أحوال أصحاب العذر الذين يسقط عنهم وجوبُ الهجرة؛ وهي:

١ - ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾؛ أي: الضعفاء من الرجال والنساء والأطفال.

٢ - ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾؛ أي: لا يمكنهم الخروج؛ إما لنقص مالٍ، أو لضعف.

٣ - ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾؛ أي: لا يعرفون طريقًا للهجرة.

• **وقوله - تَعَالَى -: ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ فَإِنِّي فَأَعْبُدُونَ﴾**،

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

يدلُّ على أن ترك الهجرة ليس كفرًا، وإنما هو معصية من المعاصي.
وفي هذه الآية إشارة إلى الهجرة من البلد التي لا يُتمكَّن فيها من
إظهار الدين، وذلك بيان أن أرض الله واسعة.



شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهَجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ ﷺ: «لَا تَنْقَطِعُ الْهَجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا».

هذا الحديث لا يُعارضُ حديثُ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا هَجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا»^(١)؛ لأنَّ نَفْيَ الْهَجْرَةِ فِيهِ خَاصٌّ بِالصَّحَابَةِ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ؛ لِأَنَّهَا أَصْبَحَتْ دَارَ إِسْلَامٍ، وَأَمَّا هَذَا الْحَدِيثُ فَيَبَيِّنُ أَنَّ بَابَ الْهَجْرَةِ مَفْتُوحٌ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ؛ فَإِنَّ الْحُكْمَ بَاقٍ بِقَاءِ الْمَحْكُومِ عَلَيْهِ.

وَأَمَّا حُكْمُ السَّفَرِ إِلَى بِلَادِ الْكُفْرِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ إِلَّا بِثَلَاثَةِ شُرُوطٍ^(٢):

- ١ - أَنْ يَكُونَ عِنْدَ الْإِنْسَانِ عِلْمٌ يَدْفَعُ بِهِ الشُّبُهَاتِ.
 - ٢ - أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ دِينٌ يَمْنَعُهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ.
 - ٣ - أَنْ يَكُونَ مُحْتَاجًا إِلَى السَّفَرِ لِأَمْرٍ ضَرُورِيِّ أَوْ حَاجِيٍّ.
- فَإِذَا لَمْ تَتَوَفَّرْ هَذِهِ الشُّرُوطُ؛ فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ السَّفَرُ إِلَى تِلْكَ الْبِلَادِ؛ لَمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْفِتْنَةِ.

وَأَمَّا شُرُوطُ الْإِقَامَةِ فِي بِلَادِ الْكُفْرِ فَقَدْ ذَكَرَهَا الشَّيْخُ ابْنُ عَثِيمِينَ - فَقَالَ:

الشرط الأول: أَمْنُ الْمَقِيمِ عَلَى دِينِهِ؛ بَحِيثٌ يَكُونُ عِنْدَهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ وَقُوَّةِ الْعَزِيمَةِ مَا يَطْمَئِنُّهُ عَلَى الثَّبَاتِ عَلَى دِينِهِ وَالْحَذَرِ مِنَ الانْحِرَافِ وَالزَّيغِ، وَأَنْ يَكُونَ مُضْمِرًا لِعَدَاوَةِ الْكَافِرِينَ وَبَغْضِهِمْ، مُبْتَعِدًا

(١) أخرجه البخاري (٢٧٨٣).

(٢) شرح ثلاثة الأصول، للعثيمين (ص ١٣١).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها



عن موالاتهم ومحبتهم؛ فإن موالاتهم ومحبتهم مما ينافي الإيمان بالله؛ قال - تعالى -: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ الآية [المجادلة: ٢٢]، وقال - تعالى -: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ فَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [المائدة: ٥١ - ٥٢].

الشرط الثاني: أن يتمكن من إظهار دينه بحيث يقوم بشعائر الإسلام بدون ممانع، فلا يُمنع من إقامة الصلاة والجمعة والجماعات إن كان معه من يصلي جماعة ومن يقيم الجمعة، ولا يُمنع من الزكاة والصيام والحج وغيرها من شعائر الدين، فإن كان لا يتمكن من ذلك لم تجز الإقامة لوجوب الهجرة حينئذ^(١).



(١) انظر: «شرح ثلاثة الأصول»، لفضيلة الشيخ العثيمين (ص ١٣١ - ١٣٤).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِالْمَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، مِثْلُ: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالْجِهَادِ، وَالْأَذَانِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ، وَبَعْدَهَا تُوفِّيَ؛ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

● **قوله: (فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِالْمَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ...)** إلخ؛ يعني: أن النبي ﷺ بعد أن أقام بمكة ثلاث عشرة سنة أُمِرَ بالهجرة إلى المدينة، فلما استقرَّ بها، أُمِرَ بباقية شرائع الإسلام؛ مثل: الزكاة، والصوم، والحج، وغير ذلك.

قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «لأن المدينة صارت دار إسلام، وهي العاصمة الأولى للمسلمين، فلهذا أمروا بهذه الأمور؛ لأنهم يتمكنون حينئذٍ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»^(١).

● **قوله: (وبعدها تُوفِّي...)** إلخ؛ أي: بعد أن أكمل الله ﷻ به الدين، وأتم به النعمة على المؤمنين، توفاه إليه بعد أن أكمل في المدينة عشر سنين، واختاره لجواره ليلحق بالرفيق الأعلى؛ من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.



شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَدِينُهُ بَاقٍ، وَهَذَا هُوَ دِينُهُ الْمُتَضَمِّنُ لِكُلِّ خَيْرٍ، فَلَا خَيْرَ إِلَّا دَلَّ
الْأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلَا شَرًّا إِلَّا حَذَّرَهَا مِنْهُ، وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ:
التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ، وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ:
الشِّرْكُ، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ وَيَأْبَاهُ.

بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ:
الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي
رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وَأَكْمَلَ اللَّهُ بِهِ الدِّينَ،
وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي
وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

• **قوله: (وَدِينُهُ بَاقٍ...)** إلخ؛ أي: موجودٌ مؤيَّد محفوظ إلى يوم
القيامة، وهو ما تضمَّنه الكتابُ والسُّنة، وهذا كافٍ لمن تمسَّك به.

• **قوله: (بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً...)** إلخ؛ أي: أن بعثته ﷺ عامةٌ
شاملةٌ لجميع الناس؛ من العرب والعجم؛ الصغار والكبار، والذكور
والإناث، والأحرار والعبيد، في جميع الأرض مشارقها ومغاربها.

• **قوله: (وَأَكْمَلَ اللَّهُ بِهِ الدِّينَ...)** إلخ؛ أي: أن الشريعة نزلت - كما
ذكرنا سابقاً - بالتدرُّج، حتى اكتملت - والله الحمد - قبل وفاة النبي ﷺ؛
فَفَرَضَتِ الزَّكَاةَ وفَرَضَ الصَّوْمَ في السنة الثانية من الهجرة، وفَرَضَ الْحَجَّ
في السنة التاسعة، ثم أنزل الله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ
نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وَالنَّبِيُّ ﷺ واقفٌ بعرفة في
حِجَّةِ الْوَدَاعِ من يوم الجمعة، وبعد نزولها بمدة يسيرة تُوفي النبي ﷺ.

وقد ترك النبي ﷺ أمته على المحجَّة البيضاء، ليلها كنهارها، لا

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

يَزِيغُ عنها إِلَّا هَالِكٌ، وَلَمْ تُقْبَضْ رُوحُهُ الشَّرِيفَةُ ﷺ إِلَّا بَعْدَ أَنْ أَكْمَلَ اللَّهُ الدِّينَ، وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَى عِبَادِهِ.

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ شَهَادَةٌ مِنْ اللَّهِ ﷻ عَلَى كَمَالِ هَذَا الدِّينِ، وَأَنَّهُ صَالِحٌ وَمُصْلِحٌ لِكُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ وَأُمَّةٍ، فَالَّذِي يُحَدِّثُ عِبَادَاتٍ بِلَا دَلِيلٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَلَا مِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ؛ فَإِنَّهُ مَتَّهَمٌ لِهَذَا الدِّينِ بِعَدَمِ التَّمَامِ؛ كَأَنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يُكْمَلَ الدِّينَ مِنْ عِنْدِهِ، وَلَا يَعْتَرِفُ بِتَكْمِيلِ اللَّهِ لَهُ.

فَمَا لَمْ يَكُنْ دِينًا فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَيْسَ الْيَوْمَ بِدِينٍ، وَلَا يَكُونُ مِنْ بَعْدِهِ دِينًا أَبَدًا.



شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ ﷺ: قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَلَهُمْ مَمَاتٌ﴾
 ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْصَمُونَ ﴿الزمر: ٣٠ - ٣١﴾.

• **قوله: (وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ...)** إلخ؛ يعني: أن الله لما أكمل الدين وأتمَّ النعمة؛ تَوَفَّى نَبِيَّهَ ﷺ؛ لأن تلك هي سُنَّةُ الله في خلقه؛ أن كلَّ نفس ذائِقَةُ الموت، والأنبياء والرسل جميعًا داخلون في هذا العموم.

وقد تُوفِّي النبي ﷺ يومَ الاثنين^(١)، الثاني عشرَ من شهر ربيع الأول، في السنة الحادية عشرة من الهجرة، واختاره الله لجواره، فغُسل - صلواتُ الله وسلامه عليه - في ثيابه تَكْرِيمًا له، ثم كُفِنَ في ثلاثة أثواب - أي: لفائف - بِيَضٍ سَحُولِيَّةٍ، ليس فيها قَمِيصٌ ولا عِمَامَةٌ^(٢)، وصلى الناسُ عليه ﷺ أَرْسَالًا بلا إمام.

قال الشافعي: «إنما صَلَّوْا عليه مرة بعد مرة أفذاذًا، لِعَظَمِ قدره، ولتَنَافُسِهِمْ أن يُؤَمَّهُمْ عليه أحدٌ»^(٣).

ثم دُفِنَ ليلةَ الأربعاء بعد أن بُويع الخليفة أبو بكر من بعده.
 فعليه من ربه أفضلُ الصلاة وأتمُّ التسليم.



(١) مسند أحمد، برقم: (٢٤٧٩٠).

(٢) متفق عليه: البخاري (١٢٦٤)، ومسلم (٩٤١).

(٣) انظر: «الفصول في سيرة الرسول»، لابن كثير (ص ٢٦٧).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ، وَالِدَّلِيلُ: قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٥٥]، وَقَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ (٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٧ - ١٨]، وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالِدَّلِيلُ: قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَبِجْزَى الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

• **قوله: (والناس إذا ماتوا...)** إلخ، انتقل الشيخ - إلى أصل آخر؛ وهو: الإيمان باليوم الآخر والبعث بعد الموت، وليس المقصود هنا الإيمان بالموت؛ فالكفار والملاحدة والزنادقة كلهم يؤمنون بالموت، لكنهم كفروا بالبعث بعد الموت.

والبعث: هو إعادة الأجسام التي تفتتت وصارت رميمًا وترابًا، وتفرقت في الأرض، والقادر على إنشائها أول مرة قادر على إعادتها؛ قال الله - تعالى -: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ (٧٧) وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ﴾ (٨٠) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٧٧ - ٨٣].

قال ابن كثير: «قال مجاهد، وعكرمة، وعروة بن الزبير، والسدي، وقتادة: جاء أبي بن خلف - لعنه الله - إلى رسول الله ﷺ وفي يده عظم

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها



رميمٌ وهو يُفْتَتَهُ ويُذَرِّيهِ في الهواء، وهو يقول: يا محمد، أترعُم أن الله يبعثُ هذا؟ فقال: «نعم، يُمِيتُك الله - تعالى - ثم يبعثُك، ثم يحشرُك إلى النار»، ونزلت هذه الآيات من آخرِ يس: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ [يس: ٧٧] إلى آخرهن.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن العاصي بن وائل أخذ عظمًا من البطحاء ففَتَّه بيده، ثم قال لرسول الله ﷺ: أَيُحْيِي اللهُ هذا بعد ما أَرَى؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «نعم، يُمِيتُك الله، ثم يُحْيِيكَ، ثم يُدْخِلُكَ جَهَنَّمَ»^(١).

فالإنسانُ يُبعثُ بعد الموت والحياة البرزخية، وتُنْفَخُ فيه الرُّوحُ ثانية، فيتحرَّكُ ويسيرُ من القبر إلى المحشر، قال - تعالى -: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاجًا كَانَهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُفُضُّونَ﴾ [المعارج: ٤٣]، وقال: ﴿خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَانَهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾  مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر: ٧ - ٨]، ومَن أنكرَ البعث فهو كافر؛ لأن الإيمانَ بالبعث هو أحدُ أركانِ الإيمان الستة؛ كما جاء في حديث جبريلَ المشهور.

وأدلة البعث من القرآن الكريم كثيرة، منها:

١ - قوله - تعالى -: ﴿مِنَّا خَلَقْنَاهُ﴾؛ أي: في ظهرِ آدمَ ﷺ حينما خلقه الله من الأرض، ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾؛ أي: بعد الموت إلى الأرض في القبور، ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾، وهذا هو البعث.

٢ - قوله - تعالى -: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾؛ أي: حينما خلق

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٥٩٣/٦).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

منها آدم عليه السلام، ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ فِيهَا﴾؛ أي: بعد الموت حين تُدفنون في القبور، ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾، وهذا هو البعث؛ يُخرجُ الناسُ من القبور، ويسيرون إلى أرض المحشر.

٣ - قوله - تعالى -: ﴿وَهُوَ الَّذِي بَدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧]؛ لأن الذي يقدر على إيجاد الناس من عدم؛ قادرٌ على إعادتهم بعد الموت.

وفي القرآن إشاراتٌ إلى بعض الأدلة العقلية والحسية على البعث؛ فمن ذلك: ما يُجري الله في الأرض من تغيرات؛ فقد تجددت الأرض صحراء لا نبات فيها ولا حياة، فإذا أنزل الله عليها المطر نبت الزرع، ثم تجف وتعود كما كانت، ثم يعود المطر، وتعود الحياة مرة أخرى، وهكذا؛ وفي هذا المعنى يقول الله - تعالى -: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩].

ويقال للذين يُنكرون البعث: هل يُعقل أن الله الحكم العدل جل جلاله يترك الناس هكذا؛ دون أن يجازي أهل الإيمان بإيمانهم، وأهل الإجمام والكفر بإجمامهم وكفرهم؟! هذا أمرٌ غير معقول، ولهذا قال - تعالى -: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَقِّ﴾ [النجم: ٣١].

وهذا لا يكون إلا يوم القيامة، حينما يُعرضُ الناسُ على الميزان الذي تُوزن فيه الأعمال، ويُنصفُ المظلومُ من الظالم، والمقتولُ من

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

القاتل، كما قال - تعالى -: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [البجائية: ٢١]، وقال - تعالى -: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨].

والمسلمون يوم القيامة على أقسام^(١):

الأول: مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِلَا حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهِيْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى عليه السلام وَقَوْمُهُ، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْأَفْقِ، فَظَنَرْتُ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَى الْأَفْقِ الْآخِرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَلَا عَذَابٍ»^(٢).

الثاني: مَنْ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا، وَهُوَ الْعَرَضُ فَقَطْ دُونَمَا مَنَاقِشَةٍ؛ قال - تعالى -: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ ﴿٧﴾ ﴿فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ ﴿٨﴾ وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق: ٧ - ٩].

الثالث: مَنْ يُحَاسِبُ حِسَابَ مَنَاقِشَةٍ؛ فعن عائشة زوج النبي ﷺ أن النبي ﷺ قال: «مَنْ حُوسِبَ عُذْبٌ» قالت عائشة: أوليس يقول الله - تعالى -: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨]؟ قالت: فقال: «إِنَّمَا

(١) «شرح ثلاثة الأصول»، لصالح الفوزان (ص ٢٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٠٥).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها



ذلك العَرَضُ، ولكن مَنْ نُوقِشَ الحِسابَ يَهْلِكُ»^(١).

أما الكفارُ: فقد اختلف العلماءُ فيهم، هل يُحاسبون أو لا^(٢)؟
فَمِنَ العلماءِ مَنْ يقول: إن الكفار لا يُحاسبون؛ لأنهم ليس لهم
حسنات، وإنما يُذهب بهم إلى النار.

ومن العلماءِ مَنْ يقول: إنهم يُحاسبون حسابَ تقريرٍ؛ أي:
بأعمالهم وكفرهم وإلحادهم، ثم يُذهب بهم إلى النار.

وأما الميزانُ: فهو الآلةُ التي تُوزَنُ بها أعمالُ العباد؛ توضع
الحسناتُ في كفة، والسيئاتُ في كفة^(٣)؛ قال - تعالى -: ﴿وَالْوِزَنُ يَوْمَئِذٍ
الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ
الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٨ - ٩].



(١) أخرجه البخاري (١٠٣).

(٢) «شرح ثلاثة الأصول»، لصالح الفوزان (ص ٢٨٣).

(٣) «شرح ثلاثة الأصول»، لصالح الفوزان (ص ٢٨٤).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَأَرْسَلَ اللَّهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ؛ وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥].

• **قوله: (وَأَرْسَلَ اللَّهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ...)** إلخ، مرَّ بنا أن الإيمان بالرسول من أركان الإيمان التي ذُكرت في حديث جبريل عليه السلام، والواجبُ الإيمانُ بجميعهم؛ من أولهم إلى آخرهم، فمن جحد رسولاً واحداً منهم فهو كافرٌ بالجميع، كما قال الله - تعالى - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ يُرِيدُونَ أَنْ يَفْرَقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [النساء: ١٥٠ - ١٥١].

وعددُ الرسل كثيرٌ؛ كما جاء في الحديث؛ فعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله؛ أنبيأَ كان آدم؟ قال: «نعم، مُعَلِّمٌ مُكَلِّمٌ»، قال: كم بينه وبين نوح؟ قال: «عشر^(١) قرون»، قال: كم بين نوح وإبراهيم؟ قال: «عشر قرون»، قالوا: يا رسول الله، كم كانت الرسل؟ قال: «ثلاثمائة وخمسة عشرة جمًّا غفيرًا»^(٢).

فالواجبُ الإيمانُ بالرسول جميعاً، سواءً من ذكر اسمه ومن لم يُذكر اسمه؛ على ما تقدّم.



(١) كذا ورد اللفظ في «المستدرک» في الموضوعين، والجادة (عشرة).

(٢) أخرجه الحاكم (٣٠٣٩).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ
نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ
مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣].

• **قوله: (وأولهم نوح عليه السلام...)** إلخ؛ أي: أول الرسل نوح - عليه
الصلاة والسلام -؛ بعثه الله إلى قومه لما غلوا في الصالحين، وكان
الناس من قبل على دين التوحيد من آدم عليه السلام إلى نوح عليه السلام قرابة عشرة
قرون، حتى استدرج الشيطان الناس في ذلك الزمان إلى الشرك؛ خطوة
خطوة، فكانت الخطوة الأولى هي نحت تماثيل على صور رجال كانوا
معروفين بالصلاح في ذلك الوقت، وزين لهم الشيطان أن النظر إلى هذه
التماثيل يُنشطهم للعبادة، وذلك حين يتذكرون هؤلاء الرجال الصالحين،
وسموا كل صنم باسم رجل من أولئك الصالحين، وهذه الأسماء مذكورة
في القرآن؛ قال - تعالى -: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا
وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣]، ولم يُخالط هذه الخطوة الأولى
تعظيم لتلك الأصنام أو شرك، وبعد انقراض الجيل الأول، أصبح عند
الجيل الذي تلاه نوع تعظيم لم يكن عند الجيل الأول، ثم زاد هذا
التعظيم جيلًا بعد جيل؛ حتى عُبدت تلك الأصنام من دون الله،
واتخذوها آلهة.

وقد نقل ذلك البخاري في «صحيحه» بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال: «صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد؛ أمّا ودّ
كانت لكلب بدومة الجندل، وأمّا سواع كانت لهذيل، وأمّا يغوث فكانت
لمراد ثم لبني غطفان بالجوف عند سبأ، وأمّا يعوق فكانت لهمدان، وأمّا
نسر فكانت لحميمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح،

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنْ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا
يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا، وَسَمُّوْهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ
أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ عُيِدَتْ»^(١).



شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا رَسُولًا؛ مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ؛
يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ؛ وَالدَّلِيلُ:
قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ
وَأَجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وَافْتَرَضَ اللَّهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ
بِالطَّاغُوتِ وَالْإِيمَانَ بِاللَّهِ، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -: «مَعْنَى
الطَّاغُوتِ: مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ؛ مِنْ مَعْبُودٍ، أَوْ مَتَّبُوعٍ، أَوْ
مُطَاعٍ»، وَالطَّوَاغِيَةُ كَثِيرَةٌ.

• **قوله: (وكل أمة بعث الله إليها رسولاً...)** إلخ؛ أي: أن الله ﷻ
لم يدع أمة من الأمم إلا وقد بعث لها رسولاً يقيم الحجة عليها؛
لئلا يكون لها عليه حجة بعد الرسل، قال - تعالى -: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى
نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، وقال: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر:
٢٤].

وكانت دعوة الرسل جميعهم من أولهم إلى آخرهم؛ هي التوحيد،
قال - تعالى -: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ
أُمَّةٍ رَسُولًا﴾، وكل ما يُعبد من دون الله فهو طاغوت، فمعنى قوله:
﴿وَأَجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾؛ أي: اجتنبوا عبادة الأوثان والقبور، وغيرها من
الطواغيت.

فالله ﷻ خلق الخلق من أجل إفراده وحده بالعبادة - سبحانه - لا
شريك له، والكفر بالطاغوت؛ قال - تعالى -: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ بَيَّنَّ
الرُّسُلُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ
الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦].

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وقد ذكر الله الطاغوت في آيات كثيرة؛ منها: قوله - تعالى -: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٥٦) **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** [البقرة: ٢٥٦ - ٢٥٧]، وقوله - تعالى -: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾ [النساء: ٥١]، وقوله - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَىٰ اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [النحل: ٣٦].

والطاغوت في اللغة: مأخوذ من الطغيان؛ أي: مجاوزة الحد^(١)؛ يُقال: طغى الماء؛ إذا ارتفع، قال - تعالى -: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكِ فِي الْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: ١١]، وأما الطاغوت في الشرع: فهو كما قال ابن القيم رحمه الله ونقله عنه الشيخ هنا: **(ما تجاوز به العبد حده؛ من معبود، أو متبوع، أو مطاع)**، وهذا التعريف جامع شامل؛ لأن الله قد حدَّ للعبد حدوداً، عليه أن يقف عندها، وأمر بعبادته وحده لا شريك له، وأمر باتباع رسوله ﷺ؛ فمن تجاوز هذا الأمر فلا شك أنه قد طغى وتجاوز الحدَّ.

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وعليه؛ فالذي يعبدُه الناسُ وهو راضٍ بعبادتهم له؛ فهو طاغوتٌ، مثلُ: فرعونَ، والنمرودِ، وكذلك مشايخُ الطرق الصوفية الغلاة الذين يعبدُهم أتباعُهم، ويرضون بذلك.

وقد أمر الله - تعالى - جميعَ الخلق أن يتبعوا محمداً ﷺ؛ فلا يجوزُ لأحد أن يتبعَ غيره في مخالفته ﷺ، ومن اتبعَ غيره في مخالفته ﷺ فهو طاغوتٌ.

ومن الأمثلة على ذلك: ما يقوله بعضُ الصوفية أنهم يَسْعُهُم الخروجُ عن الشريعة الإسلامية، ولا تلزمُهم متابعةُ النبي ﷺ؛ لأنهم يزعمون الأخذَ والتلقيَ عن المصدر الذي أخذ منه الرسول ﷺ؛ أي: عن الله مباشرة؛ فبلغ بهم الطغيانُ إلى هذا الحدِّ، فلا شك أن هؤلاء هم رؤوسُ الطواغيت؛ لأنه لا طريقَ إلى الله - تعالى - إلا باتباعِ رسوله ﷺ؛ قال - تعالى -: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ [آل عمران: ٣١ - ٣٢].

وكذلك بعضُ متعصِّبة المذاهب الفقهية تُتلى عليه آياتٌ وأحاديثٌ مخالفةٌ لمذهبه، فيقول: المذهبُ على خلافه! بل وصل الحالُ ببعضهم إلى أن قال ما حكاه العلامةُ الفقيهُ محمد سفر المدني في أرجوزة «رسالة الهدى»: وقال بعضُ: (لو أَتَيْتَنِي مائةً مِنَ الأحاديثِ رَوَاهَا الثَّقةُ وجاءني قولٌ عن الإمامِ قَدَمْتُهُ)، فانظرْ لذا الكلامِ^(١) وهذا كلامٌ قبيحٌ ولا بد؛ نسألُ الله السلامة! ولذا بَوَّبَ الشيخُ

(١) «رسالة الهدى في الاتباع للنبي المقتدى ﷺ»، لمحمد سعيد سفر المدني، (ص ٥٥).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها



في «كتاب التوحيد» بقوله: «بابٌ مَنْ أطاع العلماء والأمرءَ في تحريم ما أحلَّ الله أو تحليل ما حرم الله؛ فقد اتخذهم أرباباً من دون الله»^(١)، وهذا من أعظم الأبواب والتراجم التي تضمَّنها «كتاب التوحيد». فالطاعة المطلقة لا تكون إلا لله ولرسوله؛ لأنَّ الحلال ما أحلَّه الله، والحرام ما حرَّمه الله، وليس لأحد أن يشارك الله في التحليل والتحريم، ولذلك حَكَمَ الله على مَنْ حلَّ وحرم، أو أطاع مَنْ فعل ذلك، بأنه مشرك؛ قال - تعالى -: ﴿يَتَّخِذُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، وقال - تعالى -: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ [١١٨] وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرَرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ [١١٩] وَذَرُوا ظَهَرَ الْآثِمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْآثِمَ سَيَجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ [١٢٠] وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِرُحُونَ إِيَّاكُمْ أَوْلِيَاءُ لِيُجَدِّلُوَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١١٨ - ١٢١].

وعليه؛ فلا يجوز لأحد أن يحلل أو يحرم من قبل نفسه، أو أن يطيع مَنْ حلَّ أو حرم من قبل نفسه، فمَنْ فعل ذلك فإنه طاغوت، أو مطيع للطواغيت الذين يحللون ويحرمون من دون الله، وهذا معنى قول ابن القيم: «أو مطاع».

«فائدة» قال الشيخ ابن عثيمين: «الأمرءَ يُطاعون شرعاً إذا أمروا

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

بما لا يُخالف أمر الله ورسوله، وفي هذه الحال لا يصدق عليهم أنهم طواغيث، والواجب لهم على الرعية السمع والطاعة، وطاعتهم لولاية الأمر - في هذا الحال بهذا القيد - طاعة الله - ورسوله - لأن الله - تعالى - يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩] ^(١).

وقال أيضًا: «والناس مع حُكَّامهم على أربعة أحوال:

الأولى: أن يقوى الوازعُ الإيماني والرادعُ السلطاني، وهذه أكملُ الأحوال وأعلاها.

الثانية: أن يضعفَ الوازعُ الإيماني والرادعُ السلطاني، وهذه أدنى الأحوال وأخطرها على المجتمع؛ سواءً على حكامه ومحكوميه؛ لأنه إذا ضعفَ الوازعُ الإيماني والرادعُ السلطاني حصلت الفوضى الفكرية، والخلقية، والعملية.

الثالثة: أن يضعفَ الوازعُ الإيماني ويقوى الرادعُ السلطاني؛ وهذه مرتبةٌ وسطى؛ لأنه إذا قوِيَ الرادعُ السلطاني كان أصلحَ للأمة في المظهر، فإذا اختفت قوةُ السلطان فلا تسأل عن حال الأمة وسوء عملها.

الرابعة: أن يقوى الوازعُ الإيماني ويضعفَ الرادعُ السلطاني، فيكون المظهرُ أدنى منه في الحال الثالثة، لكنه فيما بين الإنسان وربه أكملُ وأعلى ^(٢).

(١) «مجموع فتاوى ورسائل العثيمين» (١٩٩/٢).

(٢) «شرح ثلاثة الأصول»، لفضيلة الشيخ صالح العثيمين (ص ١٥١ - ١٥٢).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللَّهُ.

• **قوله: «وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ»؛ أي: أن كبار الطواغيت - بحسب التعريف الذي ذكره ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ هم خمسة:**
الأول: (إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللَّهُ)، وسُمي بذلك لأنه أبلَس من الرحمة؛ أي: يئس منها؛ فالمُبْلِس: هو اليائس من الشيء، وإِبْلِيسُ لما امتنع من السجود لآدم، وعصى الله، وتكبر، وقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢]؛ عاقبه الله بالطرد والإبعاد من رحمته - سبحانه - والحرمان من نعمته.

وإنما كان إبليسُ رأسَ الطواغيت؛ لأنه هو الذي يأمرُ بعبادة غير الله، وهو الذي يأمرُ باتِّباع غيرِ رسول الله ﷺ.



شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ.

الثاني: (مَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ)؛ أي: وهو راضٍ عن صرف هذه العبادة له من دون الله، وأما مَنْ عُبِدَ وهو غير راضٍ عن ذلك؛ فليس بطاغوت، فعيسى عليه السلام عُبِدَ من دون الله، ولكنه غير راضٍ؛ قال - تعالى -: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُخِيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحٰنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَالِمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة: ١١٦ - ١١٧].

الثالث: «مَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ»، وهذا مثل فرعون الذي دعا الناس إلى عبادته، وقال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]، ومثل الثمروود، ومثل غلاة الصوفية الذين يدعون الناس إلى عبادتهم؛ حتى إنهم يؤصون الناس أن يعبدوهم بعدما يموتون؛ فكل هؤلاء طواغيت.

الرابع: (مَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ)، ويدخل في هذا: السحرة، والمنجمون، والكهّان، وغيرهم ممن يدّعي علم الغيب؛ فهؤلاء كلهم طواغيت؛ لأنه لا يعلم الغيب إلا الله وحده؛ كما قال - تعالى -: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، أو مَنْ أطلع الله «من رسله» على شيء من الغيب؛ لأجل مصلحة البشر، أو آية لرسول؛ قال - تعالى -: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٦ - ٢٧]، فمَنْ

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

ادعى علم الغيب فقد جعل نفسه شريكاً لله فيما اختص به - سبحانه - ،
 فيكون طاغوتاً ، وهذا من أعظم أنواع الردة عن الإسلام .
 واعلم - رحمك الله - أن الغيب يُطلق على كل ما غاب عن
 الإنسان ، وهو نوعان ^(١) :

النوع الأول : غيب نسبي ؛ كالأمور الواقعة التي تكون معلومة
 لشخص ، ومجهولة لآخر .

النوع الثاني : غيب حقيقي ؛ كالأمور المستقبلية ، وهذا لا يعلمه
 أحد إلا الله وحده ، أو مَنْ أطلعه الله عليه من الرسل ، فمن ادعى علمه
 فهو كافر ؛ لأنه مكذب لله وَعَلَيْكَ ولرسوله .



شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ.

الخامسُ من الطواغيت: ما ذكره المصنفُ في قوله: **(وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ)**؛ فالحكمُ بما أنزل الله - تعالى - يدخلُ في توحيد الربوبية؛ لأنه تنفيذٌ لحكم الله الذي هو مقتضى ربوبيته وكمالِ مُلكه وتصرفه، ولهذا سَمَّى الله - تعالى - المتبوعين في غير ما أنزل الله - تعالى - أرباباً لتابعيهم، قال - تعالى -: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَرْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (٦٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٩﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥ - ٦٩].

وقد اشتملت هذه الآياتُ على ذكر ما عمله المنافقون، وإليك تفصيله:

- ١ - يريدون أن يكون التحاكمُ إلى الطاغوت.
- ٢ - إذا دُعُوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول؛ صَدُّوا، وأعرضوا.
- ٣ - إذا أُصيبوا بمصيبة بما قدَّمت أيديهم، جاءوا يحلفون أنهم ما أرادوا إلا الإحسانَ والتوفيقَ؛ كحالٍ من يرفضُ اليومَ أحكامَ الإسلام،

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

ويحكمُ بالقوانينِ المخالفةِ لها؛ زعمًا منه أن ذلك هو الإحسانُ الموافقُ لأحوالِ العصر.

وفي هذه الآيات أقسم الله - تعالى - بربوبيته لرسوله مؤكدًا أنه لا يصلحُ الإيمانُ إلا بثلاثة أمور:

الأول: أن يكونَ التحاكمُ في كل نزاعٍ إلى رسول الله ﷺ.

الثاني: أن تشرَحَ الصدورُ بحكمه، ولا يكونَ في النفس حرجٌ أو ضيق.

الثالث: أن يحصلَ التسليمُ بقبول ما حكم به، وتنفيذه بغير تَوَانٍ أو انحراف.

وأما الذين يحكمون بغير ما أنزل الله؛ فهم على أقسام^(١):

١ - مَنْ لم يحكم بما أنزل الله استخفافًا بحكمه، أو اعتقادًا أنَّ غيره أصلحُ منه؛ فهذا كافرٌ كفرًا مخرجًا من الملة.

٢ - مَنْ لم يحكم بما أنزل الله من غير استخفاف أو اعتقادٍ أنَّ غيره أصلحُ منه؛ فهذا ظالمٌ وليس بكافر، وتختلف مراتبُ ظلمه بحسبِ المحكوم به ووسائلِ الحكم.

٣ - مَنْ لم يحكم بما أنزل الله، لا استخفافًا بحكم الله ولا اعتقادًا أنَّ غيره أصلحُ منه، وإنما حكم بذلك محاباةً للمحكوم له، أو مراعاةً لرشوة أو غيرها من عَرَضِ الدنيا؛ فهذا فاسقٌ، وليس بكافر، وتختلفُ مراتبُ فسقه بحسبِ المحكوم به ووسائلِ الحكم.

(١) «شرح ثلاثة الأصول»، للعثيمين (ص ١٥٨).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَيَعْلَمُ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَفِي الْحَدِيثِ: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ

• **قوله - تعالى -: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾** الآية، هذا هو معنى «لا إله إلا الله». **وفي الحديث: (رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ)^(١)**؛ أي: لا يُكره أحدٌ على الدخول في الإسلام؛ لأن الدخول في الإسلام لا بد أن يكون عن اقتناع واعتقادٍ بالقلب، والإسلام - والله الحمد - ليس فيه ما يُكره؛ بل كله محبوب ومرغوب فيه، والكفرُ كُلُّه شر، وكله مكروه، وقد تبين هذا من هذا، وتميز الرشد - وهو: الحق - من الغي - وهو: الباطل -، والإنسان عنده عقل وفكرٌ يوازن به بين الحق والباطل.

• **وقوله - تعالى -: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ﴾**، قدم فيه الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله، وهذا على قاعدة: التخلية قبل التحلية؛ لأن الإيمان بالله لا ينفع إلا بعد الكفر بالطاغوت، فمن آمن بالله ولم يكفر بالطاغوت لم ينفعه إيمانه؛ قال - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [النحل: ٣٦].

• **قوله: (رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ)**؛ تقدم أن الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله، هذا هو رأس أمر الدين، والشهادتان هما رأس الإسلام وأصله، فلا يدخل الإنسان في الإسلام إلا إذا أتى بهما نطقاً، وعلماً، وعملاً، واعتقاداً.

(١) «سنن الترمذي»، ت: شاكر (٢٦١٦).

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

وَاللَّهُ أَعْلَمُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَسَلِّمْ.



• **قوله: (وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ...)** إلخ؛ أي: أن الصلاة هي عمود الإسلام الذي يقوم عليه، وبغيره لا يقوم.

(وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)؛ أي: والجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام؛ لأنه دليل على قوة هذا الدين، ولا يتحقق الجهاد إلا بوجود قوة الإيمان، والقوة المادية؛ قال - تعالى - : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وختم المصنف الرسالة بقوله: (وَاللَّهُ أَعْلَمُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَسَلِّمْ).
والحمد لله رب العالمين.



فهرس المصادر والمراجع

- ١ - **تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى**: المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٢ - **الجنى الدانى فى حروف المعانى**: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادى المصرى المالكي (ت ٧٤٩هـ)، المحقق: د. فخر الدين قباوة - الأستاذ محمد نديم فاضل الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م عدد الصفحات: ٦٢٢، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ.
- ٣ - **شرح صحيح مسلم (المسمى: الكوكب الوهاج والروض البهاج فى شرح صحيح مسلم بن الحجاج)**: لمحمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهري الشافعي، نزىل مكة المكرمة والمجاور بها، مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة البرفسور: هاشم محمد علي مهدي، المستشار برابطة العالم الإسلامى - مكة المكرمة، الناشر: دار المنهاج - دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- ٤ - **التنبهات المختصرة شرح الواجبات المتحتمات المعرفة على كل مسلم ومسلمة**: إبراهيم بن الشيخ صالح بن أحمد الخريصى الناشر: دار الصمىعى للنشر والتوزىع، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، عدد الصفحات: ٤٢، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ.
- ٥ - **المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر**: المؤلف: نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشىبانى، الجزرى، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (ت ٦٣٧هـ)، المحقق: محمد محىى الدين عبد الحمىد، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر - بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ.
- ٦ - **التفسىر الميسر**: المؤلف: نخبة من أساتذة التفسىر، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشرىف - السعودىة، الطبعة: الثانية، مزىدة ومنقحة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، عدد الصفحات: ٦٠٤، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ.

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

- ٧ - **التحبير شرح التحرير في أصول الفقه**: المؤلف: علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرادوي الدمشقي الصالحي الحنبلي (ت ٨٨٥هـ)، دراسة وتحقيق: د. عبد الرحمن الجبرين، د. عوض القرني، د. أحمد السراح، أصل التحقيق: ٣ رسائل دكتوراه - قسم أصول الفقه في كلية الشريعة بالرياض، الناشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ٨ - **التمهيد في أصول الفقه**: المؤلف: محفوظ بن أحمد بن الحسن أبو الخطاب الكلؤداني الحنبلي (٤٣٢ - ٥١٠ هـ)، دراسة وتحقيق: ج ١، ٢ (د. مفيد محمد أبو عمشة)، ج ٣، ٤ (د. محمد بن علي بن إبراهيم)، الناشر: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي - جامعة أم القرى، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥م.
- ٩ - **روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل**: المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠هـ)، الناشر: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: ٢، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ.
- ١٠ - **الموسوعة القرآنية المتخصصة**: المؤلف: مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، عام النشر: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، عدد الصفحات: ٨٨٢، تاريخ النشر بالشاملة: ١٥ رمضان ١٤٣٣هـ.
- ١١ - **معجم الفروق اللغوية**: المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ)، المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ، عدد الصفحات: ٥٨٢، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ.
- ١٢ - **التمهيد لشرح كتاب التوحيد**: المؤلف: دروس ألقاها صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ثم طبعت، الناشر: دار التوحيد، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ١، عدد الصفحات: ٦٣٤، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ.

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

١٣ - **العقيدة السفارينية (الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية):** المؤلف: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (ت ١١٨٨هـ)، المحقق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، الناشر: مكتبة أضواء السلف - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٩٩٨، عدد الصفحات: ١٠٠، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ.

١٤ - **العدة في أصول الفقه:** المؤلف: القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين الفراء البغدادي الحنبلي (٣٨٠ - ٤٥٨ هـ)، حققه وعلق عليه وخرج نصه: د أحمد بن علي بن سير المبارك، الأستاذ المشارك في كلية الشريعة بالرياض - جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية، الناشر: بدون ناشر، الطبعة: الثانية ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

١٥ - **تيسير علم أصول الفقه:** المؤلف: عبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب اليعقوب الجديع العنزي، الناشر: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، عدد الصفحات: ٣٩٦، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ.

١٦ - **رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه:** المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، المحقق: عبد الله بن محمد المنديفر، الناشر: مطابع الشرق الأوسط - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ، عدد الصفحات: ٤٦، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ.

١٧ - **العقيدة الواسطية:** المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: بدون طبعة أو عام نشر، عدد الصفحات: ٣٢، تاريخ النشر بالشاملة: ٢٩ ربيع الأول ١٤٣٧هـ.

١٨ - **إعراب القرآن وبيانه:** المؤلف: محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت ١٤٠٣هـ)، الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية، (دار الإمامة - دمشق - بيروت)، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت)، الطبعة: الرابعة، ١٤١٥هـ، عدد المجلدات: ١٠، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ.

فهرس المصادر والمراجع

١٩ - **درء تعارض العقل والنقل**: المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، عدد الأجزاء: ١٠، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١ هـ.

٢٠ - **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة**: المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٦٩١ - ٧٥١)، تحقيق: حسين بن عكاشة بن رمضان، تخريج: حسين بن حسن باقر - كريم محمد عيد، راجعه: محمد أجمل الإصلاحي - سعود بن عبد العزيز العريفي، الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت)، الطبعة: الأولى (لدار ابن حزم)، ١٤٤٢ هـ - ٢٠٢٠ م، عدد الأجزاء: ٢.

٢١ - **البحر المحيط في التفسير**: المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت الطبعة: ١٤٢٠ هـ، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١ هـ.

٢٢ - **إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد**: المؤلف: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الطبعة الثالثة، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، عدد الأجزاء: ٢، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١ هـ.

٢٣ - **الأسئلة والأجوبة في العقيدة**: المؤلف: صالح بن عبد الرحمن بن عبد الله الأطرم (ت ١٤٢٨ هـ): الناشر: دار الوطن، الرياض: الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ، عدد الصفحات: ٧٧، تاريخ النشر بالشاملة: ٥ جمادى الآخرة ١٤٣٢ هـ.

٢٤ - **الإيمان لابن منده**: المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنده العبدي (ت ٣٩٥ هـ)، المحقق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦، عدد الأجزاء: ٢، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١ هـ.

٢٥ - **الولاء والبراء والعداء في الإسلام**: المؤلف: أبو فيصل البدراني، عدد الصفحات: ١٢٣، تاريخ النشر بالشاملة: ٢٨ رجب ١٤٣٣ هـ.

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

- ٢٦ - **الصارم المسلول على شاتم الرسول**: المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية، عدد الصفحات: ٥٨٧، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ.
- ٢٧ - **شرح الرسالة التدمرية**: المؤلف: محمد بن عبد الرحمن الخميس، الناشر: دار أطلس الخضراء، الطبعة: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، عدد الصفحات: ٤٥٦، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ.
- ٢٨ - **تصحيح الفصيح وشرحه**: المؤلف: أبو محمد، عبد الله بن جعفر بن محمد بن دُرُسْتَوَيْه ابن المرزيان (ت ٣٤٧هـ)، المحقق: د. محمد بدوي المختون، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية [القاهرة]، عام النشر: ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، عدد الصفحات: ٥٤٧، أعدده للشاملة: فريق رابطة النساخ برعاية (مركز النخب العلمية) تاريخ النشر بالشاملة: ٢٦ ربيع الآخر ١٤٣٦هـ.
- ٢٩ - **تاج العروس من جواهر القاموس**: المؤلف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الرِّيْدِي (ت ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ.
- ٣٠ - **التحفة السنية شرح منظومة ابن أبي داود الحائية**: المؤلف: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، الناشر: مطابع أضواء المنتدى، عدد الصفحات: ١٢٤، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ.
- ٣١ - **تهذيب اللغة**: المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ) المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ٨، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ.
- ٣٢ - **اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل**: المؤلف: محمد علي السراج، مراجعة: خير الدين شمسي باشا، الناشر: دار الفكر - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، عدد الصفحات: ٣٠٠، أعدده للشاملة: أبو إبراهيم حسانين، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ.

فهرس المصادر والمراجع

- ٣٣ - **صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال**: المؤلف: الحسين بن محمد المهدي - عضو المحكمة العليا للجمهورية اليمنية، الناشر: سُجل هذا الكتاب بوزارة الثقافة، بدار الكتاب برقم إيداع (٤٤٩) لسنة ٢٠٠٩م: راجعه: الأستاذ العلامة عبد الحميد محمد المهدي: مكتبة المحامي: أحمد بن محمد المهدي.
- ٣٤ - **المفيد في مهمات التوحيد**: المؤلف: الدكتور عبد القادر بن محمد عطا صوفي، الناشر: دار الاعلام، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ - ١٤٢٣هـ، عدد الصفحات: ٢٣١، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ.
- ٣٥ - **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**: المؤلف: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت ١٠١٤هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: ٩، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ.
- ٣٦ - **التعريفات**: المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، عدد الصفحات: ٢٦٢، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ.
- ٣٧ - **تقريب التدمرية**: المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت ١٤٢١هـ)، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الدمام، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، عدد الصفحات: ١٣٨، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ.
- ٣٨ - **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**: المؤلف: ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (المتوفى: ٧٦٩هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، الطبعة: العشرون ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، عدد الأجزاء: ٤، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ.
- ٣٩ - **منازل السائرين**: المؤلف: أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي (ت ٤٨١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الصفحات: ١٣٩، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ.

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

- ٤٠ - **تفسير حقائق الروح والريحان في رواي علوم القرآن**: المؤلف: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ٣٣ (٣٢)، تاريخ النشر بالشاملة: ١١ رمضان ١٤٣٦هـ.
- ٤١ - **الدراري المضية شرح الدرر البهية**: المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، عدد الأجزاء: ٢، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ.
- ٤٢ - **الشرح الممتع على زاد المستقنع**: المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت ١٤٢١هـ)، دار النشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ - ١٤٢٨هـ، عدد الأجزاء: ١٥، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ.
- ٤٣ - **شرح الزركشي**: المؤلف: شمس الدين محمد بن عبد الله الزركشي المصري الحنبلي (ت ٧٧٢هـ)، الناشر: دار العبيكان، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، عدد الأجزاء: ٧، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ.
- ٤٤ - **توضيح الأحكام من بلوغ المرام**: المؤلف: أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح بن حمد بن محمد بن حمد بن إبراهيم البسام التميمي (ت ١٤٢٣هـ)، الناشر: مكتبة الأسد، مكة المكرمة، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ٧، تاريخ النشر بالشاملة: ٢٩ ذو القعدة ١٤٣٥هـ.
- ٤٥ - **كتاب التوحيد وقرعة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين**: المؤلف: عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، المحقق: بشير محمد عيون، الناشر: مكتبة المؤيد، الطائف، المملكة العربية السعودية، مكتبة دار البيان، دمشق، الجمهورية العربية السورية، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، عدد الصفحات: ٣٣٢، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ.
- ٤٦ - **مختار الصحاح**: المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، عدد الصفحات: ٣٥٠، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ.

فهرس المصادر والمراجع

- ٤٧ - **إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل**: المؤلف: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، عدد الصفحات: ٧٥٨، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ.
- ٤٨ - **النحو الوافي**: المؤلف: عباس حسن (ت ١٣٩٨هـ)، الناشر: دار المعارف، الطبعة: الطبعة الخامسة عشرة، عدد الأجزاء: ٤، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ.
- ٤٩ - **ألفية ابن مالك**: المؤلف: محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (ت ٦٧٢هـ)، الناشر: دار التعاون، عدد الصفحات: ٨٠، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ.
- ٥٠ - **عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك**: المؤلف: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، عدد الصفحات: ١٩٨، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ.
- ٥١ - **التفسير البسيط**: المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ، عدد الأجزاء: ٢٥ (٢٤) وجزء للفهارس)، تاريخ النشر بالشاملة: ٢٩ رمضان ١٤٣٥هـ.
- ٥٢ - **إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد**: المؤلف: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: ٢، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ.
- ٥٣ - **فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام**: المؤلف: محمد بن صالح العثيمين، تحقيق وتعليق: صبحي بن محمد رمضان، أم إسراء بنت عرفة بيومي، الناشر: المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- ٥٤ - **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**: المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (ت ٨٥٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، عدد الأجزاء: ٢٥×١٢، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ.

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

- ٥٥ - **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل** [آثار الإمام ابن قيم الجوزية وما لحقها من أعمال: المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٦٥٩ - ٧٥١)، تحقيق: زاهر بن سالم بلفقيه، راجعه: سليمان بن عبد الله العمير - أحمد حاج عثمان، الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت)، الطبعة: الثانية، ١٤٤١ هـ - ٢٠١٩ م (الأولى لدار ابن حزم)، عدد الأجزاء: ٢، تاريخ النشر بالشاملة: ١٩ شعبان ١٤٤٢ هـ.
- ٥٦ - **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام**: المؤلف: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت ٥٨١ هـ)، المحقق: عمر عبد السلام السلامي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ٧، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١ هـ.
- ٥٧ - **التعليق على الدرة المضيئة في السيرة النبوية للمقدسي**: المؤلف: أبو هاشم صالح بن عواد بن صالح المغامسي، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، تاريخ النشر بالشاملة: ١٢ شعبان ١٤٣٢ هـ.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
- المقدمة	٩
- فضل الابتداء بالبسملة	١٦
- الكلام على بسم الله الرحمن الرحيم وإعرابها	١٧
- بيان معنى العلم وقسميه والدعاء بالرحمة	١٩
- بيان معنى الواجب وبيان أقسامه	٢٢
- أولى المسائل الأربعة التي يجب تعلمها والفرق بين العلم والمعرفة	٢٦
- بيان معنى الدليل وأنواعه	٣١
- بيان أدلة التوحيد السمعية والعقلية	٣١
- ثاني المسائل التي يجب تعلمها وهي العمل بالعلم	٣٣
- ثالث المسائل التي يجب تعلمها وهو الدعوة إليه	٣٤
- رابع المسائل التي يجب تعلمها وهو الصبر على الأذى فيه	٣٦
- الصبر لغة وشرعاً وأقسامه	٣٦
- الأدلة على المسائل الأربع التي يجب تعلمها	٣٧
- كلام الإمام الشافعي على سورة العصر	٤٠
- بيان ما يجب على كل مسلم ومسلمة تعلمه	٤٢
- إثبات صفة الخلق لله تعالى والأدلة عليها	٤٣
- الكلام على أن القسمة العقلية لأدلة إثبات صفة الخلق لله تعالى تتضمن ثلاثة احتمالات	٤٤
- الكلام على أن الله رزقنا والأدلة السمعية من القرآن والسنة والعقلية	٤٦

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

الصفحة

الموضوع

- ٤٧ الكلام على بيان أن الله لم يتركنا هملاً والأدلة عليه
- ٤٨ بيان الدليل على إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام
- ٤٩ بيان أن من أطاع الله دخل الجنة ومن عصاه فقد أبى
- ٥٢ باب بيان أن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد شيئاً
- ٥٣ بيان معنى الشرك لغة وشرعاً
- ٥٤ القول في أنواع الشرك
- ٥٨ الدليل القائم على عدم الإشراف بالله تعالى
- ٦٠ الدليل على أن من أطاع الرسول لا يجوز له موالة من حاد الله ورسوله
- ٦٠ بيان معنى الكفر لغة واصطلاحاً وأنواعه
- ٦٤ بيان معنى التوحيد لغة واصطلاحاً وبيان أنواعه التي اشتمل عليها
- ٦٦ بيان معنى الموالة وتقسيمها إلى قسمين
- ٦٩ بيان الكلام على قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]
- ٧٣ تنبيهات وضوابط في معاملة الكافرين
- ٧٦ أقسام الناس في الولاء والبراء
- ٧٧ بيان معنى الحنيفة
- ٨٠ معنى الإخلاص وفوائده
- ٨١ بيان أنواع العبادة
- ٨٢ بيان معنى الجن لغة وهل هم مكلفون والحكمة من خلقهم
- ٨٦ بيان حرمة من تلبس بالشرك
- ٨٩ بيان معنى الشرك والمقولات الواردة فيه
- ٩١ بيان معنى الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
- معنى الرب وأنه الذي رباني	٩٢
- معنى التربية وانقسامها إلى عامة وخاصة	٩٣
- الكلام على دليل التربية ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]	٩٦
- بيان كيف عرف المسلم ربه	٩٨
- أقسام الآيات في الشرع	٩٩
- الإشارة إلى أعظم آيات الله عز وجل	١٠٣
- ذكر إثبات الربوبية والعبادة لله عز وجل والكلام على قول الله تعالى: ﴿إِن رَّبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]	١٠٩
- بيان أنواع العبادة التي أمر الله بها	١١٢
- معنى الدعاء الوارد في القرآن الكريم	١١٥
- قسمة الشيخ صالح آل الشيخ للشرك	١١٨
- بيان معنى حديث «الدعاء مخ العبادة» وأقسام الدعاء والدليل عليه	١٢١
- بيان معنى الخوف وأنواعه والأدلة عليه	١٢٥
- بيان العلاقة بين الخوف والمحبة والرجاء	١٢٨
- بيان معنى الرجاء لغة واصطلاحاً وأنواعه والأدلة عليه	١٢٩
- الفرق بين الرجاء والتمني	١٢٩
- شروط العمل الصالح	١٣١
- بيان معنى التوكل وأنواعه والأدلة عليه	١٣٣
- التوكل أعظم أنواع العبادة	١٣٤
- فائدة	١٣٦
- بيان معنى الرغبة والرغبة والخشوع وأنواعهم والأدلة عليهم	١٣٧
- بيان معنى الخشية والأدلة عليها	١٣٩

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

الصفحة

الموضوع

- بيان معنى الإنابة والأدلة عليه ١٤١
- قسمة ابن القيم للإنابة ١٤٢
- بيان معنى الاستعانة وأنواعها والأدلة عليه ١٤٥
- بيان معنى الاستعاذة والأدلة عليها ١٤٧
- بيان معنى الاستغاثة وأنواعها والأدلة عليه ١٥٢
- بيان معنى الذبح والأدلة عليه وأنواعه ١٥٤
- بيان معنى النذر والأدلة عليه وأنواعه ١٥٤
- متى يكون النذر شركًا ١٥٩
- بيان معنى قول المصنف (معرفة دين الإسلام) ١٦٠
- بيان الأصل الثاني وهو معرفة دين الإسلام ١٦٠
- مراتب الإسلام ١٦٦
- معنى لا إله إلا الله ١٧٣
- أدلة شهادة أن محمدًا رسول الله ١٨٢
- معنى شهادة أن لا إله إلا الله ١٨٤
- المرتبة الثانية مرتبة الإيمان ١٩٢
- أدلة الإيمان بالقدر ٢١١
- المرتبة الثالثة الإحسان ٢١٣
- الأصل الثالث: معرفة نبيكم ﷺ ٢٢٢
- فرض الصلوات الخمس عليه ﷺ ٢٤٠
- الأدلة على موته ﷺ ٢٥٤